

كتاب الرحلة الجارية والرياض الأنيبة

تأليف
الشيخ عبد الله القديمي الحنبلي

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية



مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة

البريد الإلكتروني :

Alsakafa_aldinaya@hotmail.com

هاتف: +2025922620

فاكس: + 2025936277

فهرست الهيئة المصرية العامة

لدار الكتب والوثائق القومية :

كتاب الرحلة الحجازية والرياض الانسية

تأليف: عبد الله القدومي الحنبلي

ط-1 القاهرة :مكتبة الثقافة الدينية 2015

عدد الصفحات: 240

1-الحجاز موصف ورحلات

ا-العنوان

رقم الايداع : 2015/10105

الترقيم الدولي: 0-643-341-977-978



بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى.

أما بعد،

فهذه نبذة يسيرة من مناقب جامع هذه الرسالة الميمونة المباركة إن شاء الله تسميماً واقتداءً بالعلماء الأعلام. وفضلاء أهل الإسلام حيث جرت عاداتهم الكريمة بذلك وسبقت مآثرهم الحميدة والله أعلم بما هنالك فأقول إن جامعها هو الفقيه المحدث الناهج المنهج الأحمد والمحيى في هذا الزمان لمذهب الإمام المجلد الإمام أحمد وهو والدنا وقدوتنا وأستاذنا الفاضل الشيخ عبد الله بن الشيخ عودة بن عبد الله بن العلامة الحافظ لكتاب الله والقائم بحقوق إخوانه وحقوق مولاه الشيخ عيسى بن الحاج سلامه ابن الحاج عبيد القدومي بلدًا النابلسي نسبة الأثرى معتقدًا والخلوتي طريقة وهو أحد علماء القرن الثاني عشر المعاصر لخاتمة المحققين الشيخ محمد السفاريني الذي شاع فضله واشتهر وقد أجازته وأثنى عليه ثناء جميلاً فقال أنه صاحبنا وأخونا في الله عز وجل وكذلك ذكره العلامة المرادي في تاريخ علماء القرن الثاني عشر ونص عبارته هكذا (عيسى القدومي) هو العالم الفاضل والصالح الكامل اشتغل بتحصيل العلوم الشرعية وحقق كثيراً من العلوم الأدبية وكان ذلك بمحروسة دمشق من البلاد الشامية ولم يزل دائباً في التحصيل حتى استفاد وأفاد وبلغ إن شاء الله المنى والمراد وأخذ الطريقة الخلوتية عن الأستاذ البكري ثم انقطع للعبادة والأوراد وكان كثير التلاوة للقرآن الكريم فعادت بركته على جميع الإخوان. وعلت رتبته بين الأقران.

ولم يزل مشتغلاً بالعبادة حتى نقله الله إلى أعلى فراديس الجنان اه
كلام المرادى ثم إن العلامة الفاضل الشيخ عيسى القدومى هو الحد الأعلى لنا
ولحاضرة المكرم ابن العم الفاضل والمحقق الكامل مربي السالكين ومفيد
الطالبين الأستاذ لنا وإخواننا الشيخ موسى القدومى المدرس بالمدرسة
الصلاحية الكائنة بالجامع الكبير بنابلس المحمية حفظه الله تعالى وأدام به النفع
العميم .

ثم إن والدنا المنوه بذكره ولد بقرية كفر قدوم من أعمال نابلس سنة
ست وأربعين بعد المائتين والألف من الهجرة الشريفة وبها نشأ وبها تعلم
القرآن الكريم وقد ظهرت منه النجابة فى صغره فكان كثير المجالسة لأهل
الفضل والأدب من القرية المذكورة لكونها منبع الفضل والأدب من قديم
الزمان يشهد بذلك لها أهل الدراية والعرفان من المجاورين والقاطنين فى تلك
السقاع الخالية غالباً من أهل الأدب والانتفاع وقد سمعت منه مراراً أنه فى
حال صغره كان كثير الانكباب على ملازمة المطالعة فى الكتب الموضوعية
بمسجد قريتهم وكن كثير الإعراض عن اللعب مع أولاد بلدتهم وإنما يميل
غالباً لأهل الأدب وكانوا كثيراً عددهم فى تلك القرية ملازمين لذكر الحكايات
الأدبية والأبحاث المرضية مع المحافظة على أداء العبادات بمسجد قريتهم .

ولما تم له حفظه الله تعالى ستة عشر عاماً تآقت نفسه الأبية ونهضت
همة العلية لاجتناء ثمار العلوم وللتبحر لأخذ فوائدها من المنطوق والمفهوم
فرحل إلى دمشق الشام لأخذ العلم عن فضلائها الفخام فسكن بالمدرسة
المرادية عند جماعة من الطلبة ذوى الأخلاق المرضية منهم بل هو أجلهم
الشيخ عبد الرحيم التفال رحمه الله الملك المتعال لفلقد ذكر والدنا حفظه الله

تعالى أنه انتفع من ملازمته له حيث قرأ عليه جملة صالحة من الفقه الحنبلى ومن كتب العربية ولم يزل ملازمًا له حتى تعرف بحضرة الأستاذ صاحب المناقب السنية والأفعال المرضية الشيخ حسن بن عمر الملقب بالشطى سيد الطائفة الحنبلية وكان من أفضل أهل زمانه علمًا وعبادة وانكفافيًا عن خوارم المرواة فلازمه سنين وأخذ عنه الفقه الحنبلى والحديث وجانبًا من علم الفرائض ومن المعلوم العربية حتى انتفع منه فالحمد لله رب اللرية فهو سبحانه المنعم والمتفضل فله الحمد فى الأولى والأخرى وله الفضل فى الأولى والعقبى.

ولما تقضت أيام طلبه للعلم بدمشق الشام قفل راحلا إلى وطنه وقريته التى نشأ ولم يزل ولله الحمد مشتغلا بالإفادة والاستفادة والبحث فى مسائل العلوم مع التفهم والزيادة إلى أن آن أوان مفارقتة لذلك الوطن لما فيه من المشاغبة والأحن التى تنفر منها الطباع وتملها الأسماع فرحل إلى مدينة نابلس لما فيها من الخير العميم والفضل الجسيم ولكون أهلها يحسنون الجوار ويعرفون الحق لأهله من الفضلاء الأخيار فسكن فى بلدتهم وبذل الهمة فى الإفادة والتعليم فى مساجدهم حتى ولله الحمد كثر عنده الراغبون وانتفع بمرسته المشتغلون وقد شاركه فى هذا النفع العميم والخير الجسيم ابن العم المكرم والفاضل المفخم الشيخ موسى القدومى فشمروا عن ساعد الجد والاجتهاد حتى بلغ المنى إن شاء الله ولم يزالا على نفع الطالبين وتعليم المريدين إلى أن دخلت سنة سبعة عشر فتوجه والدنا لزيارة القدس الشريف ثم لزيارة السيد الجليل سيدنا إبراهيم الخليل على نبينا وعليه الصلاة والسلام.

وهناك حصلت نفحات ربانية وتجليات إحسانية أوجبت كمال الشوق لزيارة البيت المكرم وللمشول للاعتاب النبوية عند الحبيب المفخم فحمله ذلك

على مفارقة الأوطان ومبارحة الأخلاء والأخذان ففي سنة ثمانية عشر سافر إلى بلد خير خلق الله فنال شرقاً بالمجاورة في حرم رسول الله ﷺ وشرف وكرم فأقام به سنين وأعواماً وأشهرها عديدة وأياماً وفي خلال ذلك حج إلى بيت الله الحرام وتلى بمشاهدة تلك المشاعر الفخام ررقه الله بمنه الرضى والقبول آمين .

ثم إننى سمعت والدنا يقول لما سكنت المدينة المنورة استوطنت طيبة الطاهرة المطيبة حبب إلى العزلة عن الناس فكنت أستوحش من أهل الدنيا وأخالط جماعة من العلماء الأبرار الفضلاء الأخيار منهم الشيخ حبيب العالم الهندى الزاهد العابد صاحب الإشارات والإفادات ومنهم الشيخ محمد إسحق العالم الهندى أيضاً وكان دمث الأخلاق متواضعاً قانعاً من الدنيا بما ساقه الله إليه ذا ذهن ثاقب يغوص على المسائل الفقهية ويبحث طويلاً فى مسائل التوحيد مع الانقطاع عن الدنيا ومحبة التفريد وكذلك أخبرنى والدى أن الله عز وجل قبض له جماعة من علماء الآخرة من المهاجرين والزائرين لذلك الجناب الرفيع فكانوا يقبلون عليه ويقبل عليهم ويحبونه ويحبهم ويتفعلون منه ويتفعل منهم .

وأخبرنى أيضاً أنه كان إذا اعتراه هم شديد أو أمر يكرهه يادر إلى زيارة القبر المكرم واستحضر عظمة النبى المفخم فيرى من المثول بين يديه ومن إكثار الصلاة والتسليم عليه انشراحاً زائداً فيوجب له ذلك السرور والبهجة والحبور قال لى ولقد جربت ذلك مراراً ورأيت إجابة الدعاء تكراراً وأخبرنى أيضاً أنه اجتمع عليه كثير من علماء العصر الأجلة فكانوا على اختلاف مذاهبهم وتنوع طباعهم يميلون إليه بقلوبهم ويدعون له بالسنتهم ويجرى بينه وبينهم

المباحثات فى المسائل العلمية والمذاكرات الأدبية وينفض المجلس وهم عنه راضون ولمجلسه عاشقون وهو الآن مقيم بنابلس تحركه نسمات العود والرجوع وتهزه نفحات ما انطوت عليه الضلوع من خدمة العلم عند الأعتاب المصطفوية ولذة المثول على الأبواب النبوية ولا شك عند كل راغب فى الدين ومعتقد به حق الينين أن سكنى المدينة النبوية لعمل صالح من أجل الطاعات لمن حسنت منه النية إذ هى مهبط الوحي ومحل نزول آى التنزيل وهى بلدة سكن بها سراة الأمة وهاجر إليها قادة كل فريق وقبيل وإنما أردنا بهذه الفقرة المدرج فيها بعض النعوت الشريفة والخصال الكريمة التنويه على علو منزلة العلم وأهله ومزية أفضلية محله على وجه الإجمال .

ختم الله أحوالنا بصالح العمل المقبول فإنه أكرم مرجو وأقرب مأمول متشفعين إليه بنبيه الأمين وصفيه المكين ﷺ عليه وزاده شرقاً وفضلاً لديه وعلى آله السادة الأئمة وأصحابه القادة هداة الأمة ما لاح بأرق وذو شارق والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات تم تحريراً فى الخامس عشر من شهر ربيع الثانى من سنة أربع وعشرين بعد الثلاثمائة والألف هجرية .

بقلم الفقير إلى الله عز شأنه يوسف بن الشيخ عبد الله القدومى
الحنبلى خادم العلم الشريف بمدرسة الجامع الكبير السلاحي بنابلس عفى الله
عنه بمنه وكرمه أمين

بقلم

عيسى القدومى عبد الله

1. The first part of the text

2. The second part of the text

3. The third part of the text

4. The fourth part of the text

5. The fifth part of the text

6. The sixth part of the text

7. The seventh part of the text

8. The eighth part of the text

9. The ninth part of the text

10. The tenth part of the text

11. The eleventh part of the text

12. The twelfth part of the text

13. The thirteenth part of the text

14. The fourteenth part of the text

15. The fifteenth part of the text

16. The sixteenth part of the text

17. The seventeenth part of the text

18. The eighteenth part of the text

19. The nineteenth part of the text

20. The twentieth part of the text

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الحمد لله خلق الإنسان وشرفه بمعرفته وجعل له السمع والبصر والفؤاد وأهله لخدمته أحمدته تعالى على نعمه التي لا تحصى وأشكره على آلائه التي لا تستقصى وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة صادرة عن صميم الفؤاد مدخرة عند من لا تضيع لديه الودائع ليوم تذوب فيه الأكباد وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله المرسل رحمة للعالمين وحجة على الخلق أجمعين الذي دحض الشرك وله أباد ﷺ عليه وعلى آله وصحبه البررة الأمجاد صلاة وسلاماً دائماً دائمين إلى يوم التناد وسلم تسليماً.

، أما بعد ،

فإن الاشتغال بالعلوم الشرعية والبحث عن غوامضها المرعية من أجل الطاعات وأسنى المطالب لمن حسنت منه النية هذا ولما من الله الكريم من فضله على هذا العبد الفقير والعاجز الحقيير بالرحلة إلى بلد رسول الله ثم بالمجورة في حرم خلق الله ألزمت نفسى بخدمة العلم الشريف باذلا هممتى فى تحصيل مقامه المنيف فكانت تارة أشتغل بالبحث عن المسائل الفقهية وطوراً أعمل فكرى فى تحقيق المباحث النحوية غير أنى جعلت جل مطلوبى وغاية مأمولى ومرغوبى علم الحديث المعول علياً فى القديم والحديث لأن غالب الأحكام الشرعية مبنية عليه وقواعدها موكولة إليه ولأنه لا شك عند العقلاء النظر أن الحبيب يهوى كلام محبوبه فى سائر الأقطار (ولما عزمت على جمع هذه الرسالة) جعلت ألتقط ما فيها من كتب عديدة وأودعتها مسائل ومباحث إن شاء الله نافعة مفيدة مسميتها بالرحلة الحجازية والرياض الأنسية فى الحوادث والمسائل العلمية وربتها على مقدمة وفصول وخاتمة.

المقدمة فى ذكر الهجرة) وأحكامها وفضائلها وذكر الرحلة إلى الأماكن الفاضلة لطلب العلم وغيره من الأعمال الصالحة وذكر فضائل المساجد الثلاثة وأنها لا تشد الرحال لمسجد يصلى فيه إلا إليها ثم أتبع ذلك بفصول مشتملة على مسائل علمية وحكايات أدبية وأحكام فقهية ثم أختتم جميع ما ذكرته إن شاء الله تعالى بذكر فصول مشتملة على فضائل المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام وعلى فضائل الصلاة والتسليم على سيد المرسلين وإمام المتقين بالمدينة المنورة مرغّب فيه جاءت بذلك الآثار ودلت على فضله الأخبار وتنافس فيه العلماء الأخيار إلى زماننا هذا والله أعلم.

المقدمة فى ذكر فضل الهجرة وبيان أحكامها

اعلم أن الهجرة هى الخروج من بلد يغلب فيه حكم الكفر والبدع المضلة كالرفض والاعتزال إلى بلد يغلب فيه حكم الإسلام والسنة وحكمها الوجوب على قادر عليها عاجز عن إظهار دينه ببلد الكفر أو البدع المضلة فعلم أن لوجوب الهجرة شرطين (الأول) أن لا يكون قادراً على إظهار دينه ببلد الكفر والثانى أن يكون قادراً على الهجرة متمكناً منها كما هو منطوق الآية الكريمة فإن كان قادراً على إظهار دينه ببلد الكفر فالهجرة مستحبة فى حقه استحباباً مؤكداً لقوله عليه السلام أنا برىء من مسلم بين مشركين لا تتراء ناراهما رواه أبو داود وكذا النسائى فى السنن ومعنى قوله لا تتراء ناراهما أن المسلم لا يحل له الإقامة بين المشركين بحيث يكون بموضع يرى نارهم إذ أوقدت ويرون ناره وهو محمول على من عاجز عن إظهار دينه ببلد الكفر وكان قادراً على الهجرة متمكناً منها فحيثئذٍ تجب الهجرة عليه كما تقدم.

مطلب فى حكم الهجرة من بين أهل المعاصى:

وأما الهجرة من بين أهل المعاصى والفسوق لو أظهروا ذلك فلا تجب على المسلم ولو قادراً عليها بل تستحب لقوله ﷺ من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان وتغيير المنكر بقلبه كراهية ولفاعله عند عدم الاستطاعة على التغيير باليد واللسان وهذا ظاهر لا يخفى والله أعلم.

وأما فضل الهجرة فيدل عليه قوله تعالى ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغماً كثيراً وسعة ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله الآية وهذه الآية صريحة الدلالة على فضل الهجرة حيث كانت لله ورسوله خالصة من شوائب الرياء وحفظ النفس (وقال ﷺ من فر بدينه من أرض إلى أرض وإن كان ما بينهما شبراً استوجب الجنة وكان رفيق أبيه إبراهيم ونيبه محمد ﷺ ذكره الخطيب فى تفسيره بغير سند.

وحديث مبتدأ إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه.

صريح خبر الدلالة على فضل الهجرة حيث كانت خالصة لله ورسوله لأن معنى الحديث من كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله أى صحيحة مقبولة مثاب عليها لأنها لله ورسوله وفى ذلك من التفضيم لها ما لا يخفى والله أعلم. وقال ﷺ: لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار وفى ذلك تفضيم عظيم لشأن الهجرة كما لا يخفى.

مطلب أول من هاجر لله سيدنا إبراهيم عليه السلام:

(وأول) من هاجر لله سيدنا إبراهيم الخليل على نبينا وعليه أفضل الصلاة والتسليم وذلك أنه حين دعا قومه إلى عبادة الله وحده ونهاهم وإياه عن عبادة الأصنام تسلطوا عليه بالأذى كما يحكى الله عز وجل ذلك عنه فى القرآن الكريم قال تعالى فأمن من له لوط وقال إني مهاجر إلى ربي إنه هو العزيز الحكيم .

قال المفسرون كانت هجرة إبراهيم من كوش وهى قرية من سواد العجم إلى حران ثم من حران إلى الأرض المقدسة فكان له هجرتان .
ثم لا يخفى إن هذه الهجرة كانت له بعد قصة النار التى أوقدت له وكانت له ناراً عظيمة لم يمكن لهم رميه فيها إلا مغلولاً فى المنجنيق وفى تلك الحالة تعرض له جبريل عليه الصلاة والسلام وقال له هل لك من حاجة فقال أما إليك فلا فقال له سل ربك فقال حسبى من سؤالى علمه بحالى فجعل الله ببركة قوله ذلك النار روضة ولم يحترق منه إلا وثاقه فاطلع عليه نمرود من الصرح الذى بناه وقال إن إلهك يا إبراهيم لعظيم وإنى مقرب إليه قرباناً قيل ذبح أربعة آلاف بقرة وكف عن إبراهيم وكان إذ ذاك ابن ست عشرة سنة .

مطلب فى انقلاب النار له هواء طيبة لإبراهيم:

ثم إن انقلاب النار هواء طيبة ليس بيدع أى ليس بمستحيل عقلاً غير أنه هكذا على خلاف المعتاد فهو إذن من معجزاته كانقلاب العصا لموسى عليه السلام حية تسعى تبتلع الألوف من الحبال والعصى وكإحياء القتيل لبني إسرائيل معجزة لموسى عليه الصلاة والسلام فإن فيه انقلاباً كان ميتاً فصار حياً

فهو انتقال من حاله إلى حاله وذلك كله من الخوارق العجيبة ولا يستبعد حصولها في زمن النبوة.

وقيل: كانت النار بحالها أى على هيئتها المحرقة لكن الله تعالى دفع عن إبراهيم أذاها فقط مع بقائها على حالتها الأولى ونظير ذلك ما يرى فى السمندل وهو طير يرمى نفسه فى النار فلا تؤذيه فعلى القول الأول تكون النار قد انقلبت عن حالتها الأولى من الإحراق إلى البرودة وعلى القول الثانى لم تتغير النار عن طبيعتها لكن الله سلب منها الأذى فقط.

قال البيضاوى: ويشعر بذلك قوله على إبراهيم فإنه يفهم منه أن ذلك خصوصية لإبراهيم عليه السلام ليكون معجزة له ولذلك قال تعالى وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين أى أخسر من كل خاسر حيث عاد سعيهم فى إهلاكهم له برهاناً قاطعاً على أنهم على الباطل وإبراهيم عليه السلام على الحق (ولما هاجر إبراهيم عليه السلام إلى الله عز وجل أبدله الله تعالى بما لا يقدر عليه غيره من سعة الرزق ورغد العيش وكثرة الولد والحزم فى الشيخوخة وكثرة النسل والثناء الحسن والمحبة من جميع الخلق وصار معروفاً بشيخ المرسلين وقدوة الموحدين بعد أن كان حاملاً الذكر لا مال له ولا ولد وكل ذلك بركة صدقة فى هجرته.

مطلب فى هجرة نبينا محمد ﷺ إلى المدينة:

وهكذا أجرى لنبينا محمد عليه الصلاة والسلام لما دعا قومه إلى عبادة الله عز وجل وحده ونهاهم عن عبادة الأصنام وأمرهم بترك ما كان عليه آباءهم تسلطوا عليه بالأذى وهموا بقتله فعصمه من ذلك وتجاه من جميع أنواع المهالك وأمره بالهجرة من بين أظهرهم وأمره جبريل عليه الصلاة

والسلام أن يستصحب أبا بكر معه قالت عائشة رضی الله عنها بينما نحن جلوس يوماً في بيت أبي بكر إذ قال قائل هذا رسول الله متقنعا قالت فجاء رسول الله ﷺ فقال يا أبا بكر أنه قد أذن لي في الهجرة فقال الصحبة يا رسول الله بأبي وأمي أنت قالت عائشة فجهزناهما أحث الجهاز.

وكان من قوله ﷺ حين خرج من مكة ووقف على الحزورة. ونظر إلى البيت المكرم وقال والله إنك لأحب أرض الله إلى وإنك لأحب أرض الله إلى الله ولولا أنى أخرجت منك ما خرجت.

ولما فقدت قريش رسول الله ﷺ طلبوه بمكة أعلاها وأسفلها وبعثوا القافلة في أثره فما وجدوا شيئا غير أن الذي ذهب قبل ثور^(١) وجد أثره هنالك فلم يزل يتبعه أى الأثر حتى انقطع وشق ذلك على قريش وجعلوا مائة ناقة لمن يرده وانتهى مسيره ﷺ إلى الغار، فدخل فيه هو وأبو بكر وأمر الله العنكبوت فنسجت على الغار وأرسل الله حمامتين وحشيتين فوقفتا على وجه الغار فعشتا وباضتا على بابه فكان ذلك مما صد المشركين عنه.

ثم أقبل فتیان قريش من كل بطن بعصيتهم وسيوفهم فجعلوا ينظرون في الغار فلم يرو إلا حمامتين وحشيتين بضم الغار فعرفوا أنه ليس فيه أحد قالوا لو دخلا في الغار لتكسر البيض وتفسخ نسج العنكبوت وهذا أبلغ في الإعجاز من مقاومة القوم بالجنود لأن الجنود معتادة وبيض الحمام ونسج العنكبوت في زمن يسير مع حصول الوقاية به من العدو بخارق للعادة.

ولله در صاحب الهمزية الشيخ شرف الدين إلا بوصيرى حيث قال:

(١) اسم جبل.

مطلب فى أبيات الهمزية:

ويح قوم جفوا نبياً بأرض ألقته ضبابها والظباء
 وسلوه وحن جذع إليه وقلوه ووده القـرياء
 أخرجوه منها وأواه غار وحمته حمامة ورقا (١)
 وكفته بنجسها عنكبوت ما كفته الحمامة الحصداء (٢)

ذكر قاسم بن ثابت فى الدلائل أن رسول الله ﷺ لما دخل الغار وأبو بكر معه أنبت الله على باب الغار شجرة يقال لها الرأفة قال قاسم وهى شجرة معروفة يروى عن أبى حنيفة (٣) أنه قال أنها شجرة تكون مثل قامة الإنسان لها خيطان وزهر أبيض تحشى به المخاد فيكون كالريش لخفته ولينه لأنه كالقطن فحجبت عن الغار أعين الكفار.

ويروى أنه ﷺ لما دخل الغار قال اللهم أعم أبصارهم عنا فعميت أبصارهم عن دخوله وجعلوا يضربون حوله يميناً وشمالاً ولا يرون فيه أحداً يشير إلى ذلك فول صاحب البرأة فى منظومته

وقاية الله أغنت عن مضاعفة من الدرود ومن عال من الأطم

وفى الصحيح عن أنس قال أبو بكر يا رسول الله لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لرآنا فقال له رسول الله ﷺ ما ظنك باثنين الله ثالثهما. وروى أيضاً أن أبا بكر لما رأى القافة اشتد حزنه على رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ لا تحزن إن الله معنا.

(١) فيها بياض وسواد.

(٢) كثيرة الريش.

(٣) هو رجل من الأدباء.

تأمل قول موسى عليه السلام لبنى إسرائيل كلا إن معى ربي سيهدين
وقول نبينا ﷺ للصديق إن الله معنا فموسى عليه السلام خص بشهود المعية
ولم يتعد منه إلى أتباعه ونبينا ﷺ تعدى منه ذلك الشهود إلى الصديق لأن
الصديق أمد بنور المعية فشهد سرها فسرى سر الكعبة عليه وإلا لم يثبت تحت
أعباء هذا التجلى والشهود.

قالت أسماء بنت أبى بكر فلما خفى علينا الأمر ولم ندر أين توجه
رسول الله ﷺ أتى رجل من الجن وأنشد هذه الأبيات الآتية فكان الناس
يسمعون صوته ولا يرون شخصه وهو ينشد:

مطلب فى أبيات شاعر الجن:

جزى الله رب الناس خير جزائه	رفيقين حلا خيمتى أم معبد
هما نزلا بالبر ثم ترحلا	فأفلح من أمسى رفيق محمد
فيال قصى ما زوى الله عنكم	به من فعال لا تجازى وسودد
ليهن بنى كعب مكان فتاتهم	ومقعدها للمؤمنين برمصد
سلوا أختكم عن شاتها وأنائها	فإنكم أن تسئلوا الشاة تشهد
دعاها بشاة حائل فتحلبت	أنه بصريح ضرة ^(١) الشاة مزبد
نفادرها رهناً لديهما لحرب	برد دها فى مصدر ثم مورد

مطلب فى ذكر أم معبد وما ظهر لديها من المعجزات:

قالت أسماء فلما سمعنا الشاعر عرفنا حيث توجه النبى ﷺ وأما أم
معبد المذكورة فى الشعر المتقدم فهى عاتكة بنت خالد الخزاعية وكانت برزة

(١) بالضاد والراء المشددة.

جلدة تحتبى^(١) اهـ بفناء ثم تستقى وتطعم من يمر بها وكان النبي ﷺ وأبو بكر أتيا عليها فطلبا منها لبناً أو لحمًا يشتريانه فلم يجدا عندها شيئاً فنظر رسول الله ﷺ إلى الشاة فى كسر الخيمة خلفها الجهد عن الغنم فسألها رسول الله ﷺ هل بها لبن فقالت لا فقال أتأتين لى أن أحلبها فقالت نعم بأبى أنت وأمى إن رأيت بها حلباً فأحلبها فدعى بالشاة فاعتقلها ومسح ضرعها وسمى الله عز وجل فتفاجت ودرت ودعى بإناء فحلب فيه وسقى القوم حتى شرب آخرهم ثم حلب فيه مرة أخرى عللا بعد نهل ثم غادره عندها آسة فلما جاء زوجها أبو معبد ورأى اللبن وسقته قال ما هذا يا أم معبد أنى لك هذا ولا حلوب فى البيت وذهب به العجب فقالت إنه مر بنا رجل مبارك صفيته كذا وكذا فقال صفيه لى يا أم معبد فقالت رأيت رجلا ظاهر الوضأة مبلج الوجه حسن الخلق لم تبعه نجلة^(٢) ولم تزر به صعلة^(٣) وسيم فى عينيه دعج وفى أشفاره وطف^(٤) وفى صوته صحل^(٥) أحور أكحل أزج شديد سواد الشعر إذا صمت فعليه الوقار وإذا تكلم سما وعلاه البها حلو المنطق أجمل الناس من يعيدوا حلاهم من قريب ربعة هو أنضر الثلاثة^(٦) وأحسنهم فقال هذا والله صاحب قریش ولو رأيت لأتبعته اهـ.

وفى الوفا أنها هاجرت هي وزوجها وأسلما وذلك ببركة ما رآيا من المعجزة ثم تعرض لهما بقديد سراقه بن مالك بن جعشم المدلجى .

(١) أى تجلس . (٢) هى عظم البطن .

(٣) هى صغر الرأس . (٤) طول .

(٥) بجه . (٦) الثلاثة أبو بكر وعامر والنبي ﷺ .

مطلب في المعجزة التي ظهرت لسراقة:

وسبب تعرضه لهما ما حكاه سراقة بن مالك ورواه عنه البخارى في صحيحه أنه قال جاءنا رسل قريش يجعلون في رسول الله ﷺ وأبى بكر دية كل واحد منهما لمن قتله أو أسره فبينما أنا جالس في مجالس قومي إذا قبل رجل منهم فقال يا سراقة إنى قد رأيت آتفا سورة بالسواحل وما أراها إلا محمداً وأصحابه قال سراقة فعرفت أنهم هم ثم لبثت ساعة ثم قمت فدخلت فأمرت جارىتى أن تخرج بفرس من وراء أكمة فتحسبها على وأخذت رمحى فركبت فلما دنوت منهم سقطت عن فرسى ثم ركبت وقربت حتى سمعت قراءة النبي ﷺ هو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات فبينما أنا كذلك إذ ساخت يدا فرسى في الأرض إلى الركبتين فسقطت عنها ثم خلصتها وركبت أفعل ذلك ثلاث مراراً ونحن في جلد من الأرض فطلبت الأمان حيثئذٍ منهما وقلت أنا سراقة اعلم أنكما قد دعوتما على فادعوا لى ولكما على أن أراد الناس عنكما ولا أضركما قال ووقع في نفسى أن سيظهر أمر محمد ﷺ وعرضت عليهما الزاد والمتاع فلم يرزاني اهـ.

وفي الحديث أن النبي ﷺ كتب كتاباً لسراقة يطلبه وقال له كيف بك إذا لبست سوارى كسرى فعجب سراقة من ذلك فلما أتى عمر دعا سراقة فألبسه السوارين إظهاراً للمعجزة وقال له ارفع يديك وقل الله أكبر الحمد لله الذى سلبهما كسرى وألبسهما أعرابياً من بنى مدلج ورفع عمر صوته بذلك ثم قسم ذلك عمر بين المسلمين وإنما ألبسهما سراقة لإظهار المعجزة فإنها من أعظم المعجزات.

ولما بلغ المسلمين بالمدينة خروج رسول الله ﷺ كانوا يغدون إلى الحرة

ينتظرونه حتى قدم عليهم فجعل كلما مر على دار من دور الأنصار يدعونه إلى المقام عندهم فقال رسول الله ﷺ خلوا سبيل الناقة فإنها مأمورة فما زالت تسير حتى بركت على باب أبي أيوب الأنصارى فنزل عنها ﷺ وقال هذا المنزل إن شاء الله تعالى .

ولما تم تحريرنا لمسألة الهجرة النبوية التي أسلفنا ذكرها سألتني صاحبنا الفاضل ويحث معي هل تقدمم شيء من الأنصار يوجب مهاجرته عليه السلام إليهم أم أتاهم نبي الله بغتة وطلب صاحبنا بيان ذلك لمزيد الفائدة وتكميل العائدة (فقلت) لعمري أنها مسألة شريفة وخصلة منيفة وقد صح أن النبي ﷺ مكث سنين يعرض نفسه الشريفة على القبائل بالموسم .

مطلب فى كلام المواهب فى الأوس والخزرج:

وفى المواهب اللدنية ولما أراد الله إظهار دينه وإعزاز نبيه ﷺ وإنجاز مواعده له خرج ﷺ إلى الموسم الذى لقى فيه الأنصار الأوس والخزرج كما كان يصنع فى كل موسم يعرض نفسه على قبائل العرب فيقول هل من رجل يحملنى إلى قومه لأبلغ كلام ربي فإن قريشاً قد منعونى أن أبلغ كلام ربي فيينما هو عند العقبة لقى رهطاً من الخزرج قال أفلا تجلسون! كلمكم قالوا بلى فجلسوا معه فدعاهم إلى الله عز وجل وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم شيئاً من القرآن فاطمأنت قلوبهم وحثت لسماع القرآن لما أراد الله بهم من الخير .

وكان الأوس والخزرج يسمعون من اليهود جيرانهم يقولون لهم إن نبياً سيبعث الآن قد أظل زمانه نتبعه فنقلتكم معه قتل عاد فلما كلمهم النبي ﷺ عرفوا النعت الذى كانوا يسمونه من اليهودى .

وقال بعضهم لبعض بادروا لأتباعه لا تسبقنا اليهود إليه فأجابوهم إلى مادعاهم إليه وصدقوه وقبلوا منه ما عرضه عليهم من الإسلام وأسلم منهم ستة نفر وكلهم من الخزرج آمنوا بالله ورسوله لما سمعوا القرآن الكريم فقال لهم النبي ﷺ تمنعون ظهري حتى أبلغ رسالة ربي فقالوا يا رسول الله إنما كانت بعث عام أول وهى يوم من أيامنا واقتتلنا به فإن تقدم ونحن كذلك لا يكون لنا عليك اجتماع فدعنا حتى نرجع إلى عشائرتنا لعل الله أن يصلح ذات بيتنا وندعوهم إلى ما دعوتنا إليه فعسى الله أن يجمعهم عليك فإن اجتمعت كلمتهم عليك واتبعوك فلا أحد أعز منك وموعدك الموسم العام المقبل وانصرفوا إلى المدينة ولم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر رسول الله ﷺ.

مطلب نزول قوله تعالى: إن الله اشترى... إلخ فى مبايعة الأنصار:

فلما كان العام المقبل اثنا عشر رجلا منهم وهى العقبة الثانية فاسلموا وبايعوا على وفق البيعة التى ألزمت عند فتح مكة وهى أن لا نشرك بالله شيئاً ولا نسرق ولا نزنى ولا نقتل أولادنا ولا نأتى بيهتان نفتربه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه فى معروف وأن نقول بالحق حيث كنا لا نخاف فى الله لومة لائم.

ثم قال لهم عليه الصلاة والسلام بعد هذه المبايعة فإن وفيتم فلکم الجنة فضلاً من الله ومن أصاب منكم من هذه القاذورات شيئاً كان أمره مفوضاً إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء عفى عنه بفضلته ولم يكن اقتال فرض يومئذٍ فلم يبايع عليه.

ثم انصرفوا إلى المدينة فأظهر الله الإسلام وأعز أهله وبعث الأوس

والخزرج إلى النبي ﷺ ابعث إلينا من يعلمنا فبعث إليهم مصعب بن عمير وأمره أن يعلمهم القرآن وشرائع الإسلام وأن يفقههم في الدين فأسلم على يد مصعب بن عمير خلق كثير من الأنصار وأسلم في جماعتهم سعد بن معاذ الذى اهتز العرش لموته ووافق حكمه حكم الله في بنى قريظة .

ثم أسلم أسيد بن حضير وأسلم بإسلامهما خلق كثير عنهم جميع بنى عبد الأشهل أسلموا فى يوم واحد الرجال والنساء ولم يكن فى بنى عبد الأشهل منافق ولا منافقة بل كانوا كلهم حنفاء مخلصين لله عز وجل رضى الله عنهم .

وكان أول من بايعه ﷺ أسعد بن زرارة ويقال البراء بن معرور ثم أسيد بن الحضير بايعوه على أنهم يمنعونه منه نساءهم وأبناءهم وعلى حرب الأحمر والأسود يعنى العرب والعجم أو الجن والإنس (وكان) أول آية نزلت فى الإذن بالقتال إذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير .

وفى حديث جابر بن عبد الله عند الإمام أحمد بإسناد حسن وصححه الحاكم وابن حبان أن النبي ﷺ مكث عشر سنين يتبع الناس فى منازلهم بمنى وغيرها يقول من يؤوينى من ينصرنى حتى أبلغ رسالة ربي وله الجنة أن أسلم قال جابر حتى بعثنا الله له من يشرب أى المدينة المنورة فصدقناه وأمنا به وأتبعنا النور الذى أنزل معه ورحل إليه منا سبعين من رجلا فواعدناه شعب العقبة فقلنا على نبايعك يا رسول الله فقال على الإيمان بالله وحده وعلى السمع والطاعة فى النشاط والكسل وعلى النفقة فى العسر واليسر وعلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وعلى أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم قالوا فما لنا يا رسول الله قال الجنة اهـ .

قال ابن إسحاق ولما تمت بيعة هؤلاء لرسول الله ﷺ قال ﷺ رأيت في المنام أنى أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل فذهب وهلى إلى أنها اليمامة أو هجر فإذا هى المدينة يثرب فأمر رسول الله ﷺ من كان معه بالهجرة إلى المدينة فخرجوا إرسالا إلى آخر القصة .

قال المفسرون وفى مبايعة الأنصار هذه لرسول الله ﷺ نزل قوله تعالى إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة الآية .

وفى تفسير الخطيب على هذه الآية روى أن الأنصار لما بايعوا رسول الله ﷺ ليلة العقبة بمكة وهم سبعون نفساً قال له عبد الله بن رواحة اشترط لنفسك ولربك ما شئت فقال اشترط لربى أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ولنفسى أن تمنعونى مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم قالوا فإذا فعلنا ذلك فما لنا قال لكم الجنة قالوا ربح بالبيع لا نقييل ولا نستقييل فنزلت إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم الآية .

وفى تفسير البيضاوى على قوله إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم هو تمثيل لا ثابة الله إياهم الجنة على بذل أنفسهم وأموالهم فى سبيل الله اهـ .

ومر أعرابى على النبى ﷺ وهو يقرأ هذه الآية فقال الأعرابى كلام من هذا فقال له عليه الصلاة والسلام كلام الله عز وجل فقال الأعرابى والله إنه بيع مريح لا نقييله ولا نستقبله فخرج إلى الغزو فقاتل حتى استشهد فقيل عمل قليلا وربح كثيراً .

وقال الحسن اسمعوا والله هى بيعة رابحة وكفة راجحة بايع الله تعالى بها كل مؤمن والله ما على وجه الأرض مؤمن إلا وقد دخل فى هذه البيعة

وقوله بأن لهم الجنة الباء تدخل على الثمن فالمشترى رب العالمين والبايع هم المؤمنون بذلوا أنفسهم وأموالهم فى سبيل الله فعوضهم الله بذل ذلك الجنة وهو على طريق التمثيل كما تقدم وقوله يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون هو استئناف بيان يبين ما لأجله الشراء وقوله وعدا عليه حقاها مصدران منصوبان بفعليهما محذوفين أى وعد ذلك وعدا وحق ذلك حقا ثم أخبر تعالى بأن هذا الوعد الذى وعده للمجاهدين فى سبيله وعد ثابت مؤكد كما يشير إليه لفظ على^(١) فهو ثابت فى التوراة والإنجيل والقرآن وقوله ومن أوفى بعهه من الله معناه لا أحد أوفى منه سبحانه وتعالى لأن الأخلاف لا يقدم عليه الكرام من الناس فكيف يخالفهم الذى له الغنى المطلق وقوله فاستبشروا أى فافرحوا غاية الفرح ببيعكم الذى بايعتم به فإنه أوجب لكم عظام المطالب كما يشير إليه تعالى وذلك هو الفوز العظيم (قال الخطيب) فى تفسيره فثبت بما قرناه اشتمالا هذه الآية على هذه الوجوه العشرة فى التأكيد والتقرير كما مر بيان ذلك.

مطلب فى درجات المجاهدين:

وفى صحيح البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال قال رسول الله ﷺ من آمن بالله وبرسوله وأقام الصلاة وصام رمضان كان حقا على الله عز وجل أن يدخله الجنة جاهدا فى سبيل الله أو جلس فى أرضه التى ولد فيها فقالوا يا رسول الله أفلا نبشر الناس بذلك قال أن فى الجنة مثله درجة أعدها الله للمجاهدين فى سبيله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض فإذا سئلتهم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة (قال شيخ البخارى) أراه قال وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة ا هـ.

(١) فى قوله وعدا عليه.

وفى هذا الحديث تأنيس لمن حرم الجهاد وأنه ليس محروماً من الأجر بل له من الإيمان والتزام الفرائض ما يوصله إلى الجنة وأن قصر عن درجة المجاهدين كما لا يخفى والله أعلم (ثم إن الحديث المذكور يدل على أن الجهاد ليس فرض عين وإنما هو من فروض الكفاية لكنه فيه ثواب عظيم وأجر جسيم لمن جاهد لتكون كلمة الله هي العليا وقد يشكل على هذا قوله تعالى أن الذين توفتهم الملائكة ظالمى أنفسهم أى بترك الهجرة إلى رسول الله ﷺ ومساعدتهم للكفار وقالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض إلى آخر الآية .

وحمل المفسرون هذه الآية على قوم أسلموا بمكة ولم يهاجروا مع قدرتهم على الهجرة وساعدوا المشركين على حرب المسلمين فجمعوا بين قبحين تركوا الهجرة الواجبة عليهم وساعدوا المشركين على قتال المسلمين فاستحقوا بذلك الجزاء والله أعلم .

مطلب فى الوعيد على من ترك الهجرة وهو قادر عليها:

وفى الآية المتقدمة تأكيد على الهجرة ووعيد شديد لمن تركها وهو يقدر عليها وهو محمل على الذى لا يقدر على إظهار دينه ببلد الكفر أو ذلك خاص بزمنه ﷺ فى أول الأمر . وكذلك قوله تعالى والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شىء حتى يهاجروا يدل على تأكيد أمر الهجرة إلى رسول الله ﷺ وتعظيم شأنها عند الله عز وجل .

وقد مدح الله عز وجل من هاجر وجعله قريباً للمؤمن المجاهد فى سبيل الله فقال تعالى والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقاً لهم مغفرة ورزق كريم وقوله تعالى

أولئك هم المؤمنون حقًا صريح في دخول الأعمال الصالحة في مسمى الإيمان الشرعى على أنها كمال لا جزء منه ولا شرط في صحته وبذلك يقول جمهور الأمة وسرارة الأمة كما هو مقرر في محله والله أعلم.

وقال جمهور المفسرين فى قوله تعالى أولئك هم المؤمنون حقًا معناه أولئك هم الكاملون فى الإيمان حقًا أى لأنهم حققوا إيمانهم بتحقيق مقتضاه من الهجرة إلى الله ورسوله والجهاد فى سبيله لإعلاء كلمته وبذل المال ونصرة الحق.

وعبارة البيضاوى صريحة فيما قلناه ولفظه عند تفسير الآية هكذا لما قسم الله المؤمنين ثلاثة أقسام آمنوا بالله وهاجروا وقسم آمنوا بالله ولم يهاجروا وقسم آمنوا بالله وأووا ونصروا وجاهدوا بين أن الكاملين فى الإيمان منهم هم الذين حققوا إيمانهم بتحصيل مقتضاه من الهجرة والجهاد وبذل المال ونصرة الحق ووعد لهم الموعد الكريم فقال تعالى لهم مغفرة ورزق كريم وقال عند قوله تعالى الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقًا وهو يدل لمن قال الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية بناء على أن العمل الصالح داخل فيه أى فى الإيمان على أنه كمال له والله أعلم.

مطلب فى ذكر الرحلة لطلب العلم:

وبيان من رحل لذلك من الأخيار والأئمة الأبيار اعلم أن الرحلة إلى الأماكن الفاضلة ولا سيما الحرمين الشريفين من دأب الصالحين وشعار المتقين وردت بفضلها الآثار وندب إليها النبى المختار وتنافس فيها الصالحون وفضلها الفضلاء المتسقون وفى الخبر أن النبى ﷺ قال اطلبوا العلم ولو بالصين وكان سعيد بن المسيب يسافر الأيام فى طلب الحديث الواحد (قال) الشعبى لو شافر

رجل من الشام إلى أقصى اليمن في كلمة تدل على هدى أو تنهى عن رد أما رأيت أن سفره كان ضايعاً .

وفي صحيح البخارى ما لفظه باب فضل الخروج فى طلب العلم ورحل جابر بن عبد الله مسيرة شهر إلى عبد الله بن أنيس فى حديث واحد أى بلغة أنه يحدث به عن رسول الله ﷺ فى القصاص وذكره البخارى أيضاً فى كتاب بلفظ ويذكر عن جابر بن عبد الله عن عبد الله بن أنيس قال سمعت النبى ﷺ يقول يحشر الله العباد فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب أنا الملك أنا الديان إلى آخره فذكره البخارى فى كتاب العلم تعليقاً مجزوماً به فى قوله ورحل جابر بن عبد الله وذكره فى كتاب التوحيد بصيغة التمريض ولفضله ويذكر عن جابر إلى آخره وأشار بعضهم إلى الجواب عن ذلك بأن أصل الرحلة صحيح وأما لفظ الحديث فمختلف فيه عند الحفاظ اهـ .

أقول أن هذا الحديث قد أخرجه الهمام أحمد فى مسنده ولفظه عن جابر بن عبد الله قال خرجت إلى الشام إلى عبد الله بن أنيس فسألته عن حديث يحدث به عن رسول الله ﷺ فى القصاص فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول يحشر الله العباد وأومى بيده إلى الشام حفاة عراة غرلا بهما أى ليس معهم شىء فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب أنا الملك الديان إلى آخره .

مطلب فى ذكر رحلة الإمام أحمد لطلب الحديث:

وقال الدميرى فى حياة الحيوان وفى مناقب الإمام أحمد أنه بلغه أن رجلا من وراء النهر عنده أحاديث ثلاثية فرحل الإمام أحمد إليه فوجد شيخاً

يكعم كلبًا فسلم عليه فرد عليه السلام ثم اشتغل الشيخ بإطعام الكلب فوجد الإمام في نفسه إذا أقبل الشيخ على الكلب ولم يقبل عليه فلما فرغ الشيخ من طعمة الكلب التفت إلى الإمام أحمد وقال له كأنك وجدت في نفسك إذا أقبلت على الكلب ولم أقبل عليك قال نعم فقال الشيخ حدثني أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال من قطع^(١) رجاء من ارتجاه قطع الله منه رجاء يوم القيامة فلم يلج الجنة وأرضنا هذه ليست بأرض كلاب وقد قصدني هذا الكلب فخفت أن أقطع رجاءه فيقطع الله رجائي منه يوم القيامة فقال الإمام أحمد هذا الحديث يكفيني ثم قفل راجعاً إلى أهله اهـ.

هذا ولما سمع صاحبنا الفاضل بذكر الحديث الثلاثي سأل ما حقيقة الحديث الثلاثي فأخبرته بأنه ما كان بين المخرج له وبين النبي ﷺ ثلاثة رواه صحابى وتابعى وتابع تابعى وحيثئذ يجتمع فى الإسناد من أفراد الثلاثة قرون المفضلة فى قوله ﷺ خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم (قال) عمران بن حصين راوى الحديث فلا أدرى أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة ثم إن بعدهم قومًا يشهدون ولا يستشهدون يخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن أخرجاه فى الصحيحين عن عمران بن حصين رضى الله عنه .

(١) قوله من قطع رجاء من ارتجاه الخ لعله محمول على المضطر الذى يرجو الخلاص مما هو فيه ويكون من قصده قادراً على خلاصه وقوله فلم يلج الجنة أى مع السابقين الأوفى والحديث لم نقف عليه إلا فى هذا الموضع اهـ كاتبة والمضطر كالغريق فى الماء إذا قصد من يحسن السباحة وكالذى يقصده حيوان مفترس ليأكله فيرجوا من هو قادر على الذب عنه اهـ كاتبة أى فى المنام اهـ.

حقيقة الحديث الثلاثي:

ثم إن صاحبنا الفاضل بحث معي في مسألة الأحاديث الثلاثية وطلب أن نزين رسالتنا هذه بذكر جملة من ثلاثيات المسند مسند الإمام أحمد تيمناً وتبركاً بذكر هذا الإمام الجليل وذكر شيوخه فقلت حباً وكرامة وهالك ما تيسر منها.

مطلب في ذكر أحاديث ثلاثية من مسند الإمام أحمد:

قال الإمام أحمد في مسنده حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار ومحمد بن المنكدر أنهما سمعا جابر بن عبد الله يقول قال رسول الله ﷺ دخلت الجنة فرأيت فيها قصرًا من ذهب فقلت لمن هذا القصر فقيل لعمر بن الخطاب فأردت أن أدخله فأنظر إليه فذكرت غيرتك يا أبا حفص قال فبكى عمر وقال وعليك يغار يا رسول الله اهـ.

فمن فوائد هذا الحديث الصحيح وجوب اعتقاد أن الجنة موجودة إلا أن (قال) الإمام أبو الحسن الأشعري جملة ما عليه أهل الحديث وأهل السنة الإقرار بالله^(١) وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وما جاء عن الله عز وجل وما جاء عن الثابت لا يردون من ذلك شيئاً إلى أن قال ويقرون بأن الجنة والنار مخلوقتان الآن اهـ فالحق الذي عليه أهل السنة والجماعة أن الجنة والنار مخلوقتان الآن.

وقال الإمام أحمد طيب الله ثراه خلقت الجنة والنار وخلق ما فيهما

(١) أي بأنه إله واحد لا شريك له وأنه موصوف بصفات الكمال منزّه عن صفات النقص والحدوث اهـ والإقرار بالملائكة بأنهم عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وبالكتب بأنها كلام الله ووحيه وتنزيله على أنبيائه اهـ.

خلقهما الله للبقاء لا للفناء فإن احتج مبتدع أو زنديق على فئتهما بقول الله عز وجل كل شيء هالك إلا وجهه قيل له كل شيء مما كتب عليه الهلاك والفناء هالك والجنة والنار ولم يكتب عليهما ذلك فهما مما يبقى كالحور العين خلقهن الله للبقاء لا للفناء فلم يكتب عليهن الموت ومن قال خلاف هذا فهو ضال مبتدع مخالف لأهل الحق والله أعلم.

الحديث الثانى من ثلاثيات المسند ما ذكره بقوله حدثنا محمد بن عدى عن حميد الطويل عن أنس بن مالك قال كان يعجبنا أن يجيء الرجل من أهل البادية فيسأل رسول الله ﷺ فجاء أعرابى فقال متى الساعة يا رسول الله وأقيمت الصلاة فضلى النبي ﷺ فلما فرغ من صلاته قال أين السائل عن الساعة فقال أنا يا رسول الله قال ما أعددت لها قال ما أعددت لها من كبير عمل صلاة ولا صيام ولا صدقه إلا أنى أحب الله ورسوله فقال رسول الله ﷺ المرء مع من أحب قال أنس فما رأيت المسلمين فرحوا بعد الإسلام بشيء ما فرحوا به قال أنس رضى الله عنه فأنا أحب أبا بكر وعمر وأرجو أن أكون معهم وإن لم أعمل بأعمالهما.

فمن فوائد هذا الحديث أن الحب فى الله من أوثق عرى الإيمان.

وقال ﷺ من أعطى الله ومنع الله وأحب الله وأبغض لله فقد استكمل الإيمان.

وسئل النبي ﷺ عن أفضل الإيمان فقال أن تحب لله وتبغض لله وتعمل لسانك فى ذكر الله عز وجل وجوابه ﷺ الأعرابى بغير ما سئل دليل على أن من سئل عما ليس بهمه لا يستحق الجواب عنه ويفتى بما يهمه أو بما هو أهم ويسمى فى البديع الأسلوب الحكيم ونظيره فى القرآن يسئلونك عن

الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج سئلوا عن الهلال لم يبدو صغيراً ثم يكبر ثم يصغر فأجيبوا بالحكمة المقتضية لذلك وهم لم يريدوها وإنما أرادوا السبب^(١) المقتضى لذلك ولا فائدة لهم في بيانه فأجيبوا بالحكمة التي لهم فيها فوائد ونفع والله أعلم.

الحديث الثالث من أحاديث ثلاثيات المسند ما ذكره الإمام أحمد بقوله حدثنا محمد بن أبي عدي قال حدثنا حميد الطويل عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال إذا أراد الله بعبد خيراً استعمله قالوا وكيف يستعمله يا رسول الله قال يوقفه لعمل صالح قبل موته ثم يقضيه عليه اهـ.

وفي حديث آخر عن النبي ﷺ إذا أراد الله بعبد خيراً استعمله قيل يا رسول الله وما استعمله قال يفتح له عملاً صالحاً بين يدي موته حتى يتوب ويرضى عنه ويرضى من حوله من أهله وجيرانه اهـ.

ومن فوائد هذا الحديث أن الأمور بخواتيمها وفي حديث أبي أمامة أن النبي ﷺ قال إذا أراد الله بعبد خيراً طهره قبل موته قالوا وما طهور العبد قال عمل صالح يلهمه إياه حتى يقضيه عليه.

وفي حديث آخر إسناده حسن قال رسول الله ﷺ إذا أراد الله بعبد خيراً غسله قالوا يا رسول الله وما غسله قال يفتح له عملاً صالحاً قبل موته ثم يقضيه عليه اهـ ومعنى غسله طيب ثنائه بين الناس شبه ما رزقه الله من العمل الصالح بالعمل بال غسل والله أعلم.

(١) السبب المقتضى لذلك عند أهل السنة هو تجلى الرب على أحد النيرين في وقت مخصوص فيحدث فيهما الكسوف ولذا صح ولكنهما آيتان من آيات الله بخوف الله بهما عباده.

تنبه لما كان أمر الخاتمة معلوماً لنا بالمشاهدة أسند الأمر إليه وإلا فالمعول عليه أمر السابقة والتحقيق أن الذى يظهر فى الخاتمة هو عين ما كمن فى السابقة لأن بينهما تلازماً .

فى الصحيحين عن على رضى الله أن النبى ﷺ قال ما من نفس منقوسة إلا وقد كتب مكانها من الجنة والنار وإلا قد كتبت شقية أو سعيدة قال رجل يا رسول الله أفلا نكث على كتابنا وندع لعمل فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له أما أهل السعادة فيسيرون لعمل أهل السعادة وأما أهل الشقاوة فيسيرون لعمل أهل الشقاوة ثم قرأ فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى الآيتين .

وبالجملة فقد كان ﷺ يكثر أن يقول فى دعائه يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك فنسأل الله تعالى أن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا ونسأله تعالى أن يهب لنا من لدنه رحمة إنه هو الوهاب وبالله التوفيق .

الحديث الرابع من ثلاثيات المسند قال الإمام أحمد حدثنا سفيان بن عيينة قال أنبأنا محمد بن المنكدر سمع جابر بن عبد الله يقول مرضت فأتانى رسول الله ﷺ يعودنى هو وأبو بكر ما شين وقد أغمى على فلم أكلمه (١) ﷺ فتوضأ النبى ﷺ وصبه على فأفقت فقلت سبأ يا رسول الله كيف أصنع فى مالى لمن الميراث إنما يرثنى كلاله ولى أخوات فلم يرد على شيئاً حتى نزلت آية الميراث يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلاله وكان يومئذ ليس له ولد ولا والد وإنما له أخوات انتهى والكلالة من لا ولد له ولا والد وقيل هى اسم للورثة الذين لا ولد فيهم ولا والد .

(١) أى لعدم شعورى به ا هـ .

ومن فوائد هذا الحديث أن عيادة المريض المسلم غير المبتدع وغير المتجاهر بالمعاصي مسنونة مؤكدة على ما تقرر في الفقه وقد تكره وقد تجب وقد وردت الآثار الكثيرة بمشروعيتها وفضلها.

ففى سنن أبى داود وابن ماجه وغيرهما عن أبى هريرة رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال حق المسلم على المسلم خمس رد السلام وعيادة المريض واتباع الجنائز وإجابة الدعوة وتشميت العاطس.

وفى مسلم حق المسلم على المسلم ست فزاد وإذا استنصحك فانصح له والحق قد يكون واجباً وقد يكون مستحباً مؤكداً الاستحباب.

ومن فوائده أيضاً أن المريض يعاد ولم لم يكن له شعور بالعائد وأن الماء المتسعمل ظاهر كما لا يخفى والله أعلم.

الحديث الخامس من ثلاثيات المسند قال الإمام أحمد رحمه الله حدثنا وكيع بن الجراح قال حدثنا سلمة بن وردان قال سمعت أنس بن مالك يقول قال رسول الله ﷺ لأصحابه ذات يوم من أصبح منكم اليوم صائماً قال عمر أنا قال من عاد منكم اليوم مريضاً قال عمر أنا من شهد منكم اليوم جنازة قال عمر أنا من تصدق منكم اليوم بصدقة قال عمر أنا قال ﷺ وجبت وجبت أه أى وجبت له الجنة.

وقد كثر فى الحديث من فعل كذا فقد أوجب أى فعل فعلا وجبت له به الجنة ومعنى الوجوب هنا تحقق الوقوع بوعد الله وجل تفضلا منه وتكرماً لا وجوباً عليه تعالى وله نظائر كثيرة ويؤخذ منه مدح فاعل هذه الخصال إذا فعلها فى يوم واحد ابتغاء مرضات الله عز وجل.

أما شهود الجنائز ففيه أجر عظيم وثواب جسيم حيث كان الله عز وجل وقد صح أن النبي ﷺ قال من شهد الجنائز حتى يصلى عليها فله قيراط ومن شهدها حتى تدفن فله قيراطان قيل وما القيراطان قال مثل الجبلين العظيمين .

وفى رواية للبخارى من اتبع جنازة مسلم إيماناً واحتساباً وكان معه حتى يصلى عليها ويفرغ من دفنها فإنه يرجع من الأجر بقيراطان كل قيراط مثل أحد ومن صلى عليها ثم رجع قبل أن تدفن فإنه يرجع بقيراط واحد .

وأما عيادة المريض من المسلم فقد جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال عودوا المرضى واتبعوا الجنائز يذكركم الآخرة صحيح .

وقال ﷺ خمس من فعل واحدة منهن كان ضامناً على الله عز وجل من عاد مريضاً أو خرج مع جنازة أو خرج غازياً أو دخل على إمام يريد تعزيته وتوقيره أو قعد في بيته فسلم الناس منه وسلم من الناس فهو ضامن على الله عز وجل حديث حسن أخرجه الإمام أحمد والطبراني وغيرهما .

وأما الصيام ففضائله كثيرة ومحاسنه شهيرة وقد قال النبي ﷺ لرجل سأله عن أحب العمل فقال له عليك بالصوم فإنه لا عدل له .

وقال ﷺ من قال لا إله إلا الله ختم له بها دخل الجنة ومن صام يوماً ابتغاء وجه الله ختم له به دخل الجنة ومن صام تصدق بصدقة بتغاء وجه الله ختم له بها دخل الجنة أخرجه الإمام أحمد من حديث أبي حذيفة .

ثم أن هذا الحديث المتقدم ذكره عن سيدنا عمر وهم من الراوى والمحفوظ أنه عن سيدنا أبي بكر الصديق ففى صحيح مسلم وغيره من حديث أبى هريرة أن النبي ﷺ صلى صلاة الصبح ثم أقبل على أصحابه بوجهه فقال

من أصبح منكم اليوم صائمًا فقال أبو بكر أنا فقال من أطعم منكم اليوم مسكينًا فقال أبو بكر أنا فقال من عاد منكم اليوم مريضًا فقال أبو بكر أنا فقال رسول الله ﷺ من تبع منكم اليوم جنازة فقال أبو بكر أنا فقال رسول الله ﷺ ما اجتمعت هذه الخصال قط في رجل مسلم إلا دخل الجنة اهـ.

يؤخذ من هذا الحديث تفقد الكبير جماعته وسؤاله عن أفعالهم للخيرات ومراعاة أحوالهم.

وفيه أيضًا أنه يجوز للشخص أن يخبر عما يفعل من أفعال البر غير مفتخر لذلك وفيه حث الشيخ لجماعته وأتباعه على أفعال البر يتبين فضائلها وما أعد الله سبحانه وتعالى لفاعليها كما لا يخفى والله تعالى أعلم.

مطلب في ذكر الأخبار المرغبة في إتيان حرم المدينة:

هذا ولما انتهى بنا الغرض من النقل عن ثلاثيات المسند رجعنا إلى أصل البحث الذي شرعنا فيه وهو ذكر فضل الرحلة إلى الحرمين الشريفين أطلب العلم فيهما (فنقول) أنه قد وردت أخبار كثيرة ترغب في إتيان حرم المدينة والمجاورة فيه فمنها قوله ﷺ من جاء مسجدي هذا لم يأت به إلا خيبر يتعلمه فهو بمنزلة المجاهد في سبيل الله ومن جاء لغير ذلك فهو بمنزلة الرجل ينظر إلى متاع غيره^(١) رواه الحافظ القزويني في سننه.

وروى أيضًا بسنده إلى زر بن جيس أنه قال أتيت صفوان بن عسال المرادي وهو بالمدينة فقال ما حاجتك فقلت أنيط العلم قال فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول ما من خبارج خرج من بيته في طلب العلم إلا وضعت له الملائكة أجنحتها رضا بما يصنع.

(١) أى فلا يستفيد شيئًا غير النظر اهـ.

وصح أن النبي ﷺ فقال لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد مسجدي
هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى، ولفظه كما في البخاري لا تشد الرحال
إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجد رسول الله ﷺ والمسجد الأقصى
وهذا الحديث يتعين التقدير فيه أي لا تشد الرحال إلى مسجد للصلاة فيه إلا
إلى ثلاثة مساجد.

ويدل لهذا التقدير ما رواه الإمام أحمد في مسنده بإسناد حسن أن النبي
ﷺ قال لا ينبغي للمطى أن تشد رحاله إلى مسجد تبغى فيه الصلاة غير
المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا فلا يتناول النهي شد الرحال
إلى صلة الأرحام ولا إلى زيارة الإخوان ولا لقضاء حق واجب عليه احتاج
فيه إلى شد الرحل كما لا يخفى ولأن الاستثناء إنما يكون من جنس المستثنى
منه كما إذا قلت ما رأيت إلا زيداً كان تقديره ما رأيت رجلاً واحداً إلا زيداً
لا ما رأيت شيئاً أو حيواناً إلا زيداً (وحيث) ثبت ذلك فمن نذر الصلاة في
أحد المساجد غير الثلاثة لم يلزمه إتيانه للصلاة فيه ومن نذر إتيان أحد هذه
المساجد الثلاثة للصلاة فيه أو الاعتكاف لزمه ذلك وفاء بالنذر لقوله عليه
الصلاة والسلام من نذر أن يطيع الله تعالى فليطعمه وإنما تعينت هذه الثلاثة
بالنذر لفضليتها على غيرها وهذا ما عليه الجمهور.

مطلب في فضل الصلاة بالمساجد الثلاثة؛

وقال ﷺ صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا
المسجد الحرام أي فإن الصلاة فيه خير من الصلاة في مسجدي، ويدل له
حديث الإمام أحمد عن ابن الزبير رفعه إلى النبي ﷺ أنه قال صلاة في
المسجد الحرام أفضل من مائة صلاة في مسجدي هذا.

وعند البزار بإسناد حسن والطبراني أيضاً من حديث أبي الدرداء قال قال النبي ﷺ الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة والصلاة في مسجدي هذا ألف صلاة والصلاة في بيت المقدس بخمسمائة صلاة.

قال العلماء ولفظ الصلاة يشمل الفرض والنقل قالوا وأن هذا الثواب باعتبار المضاعفة لا الجزاء كما لا يخفى وهل يدخل في التضعيف ما زيد في المسجد النبوي أم لا أن غلبنا اسم الإشارة في قوله مسجدي هذا القصر التضعيف فيه ولم يعم ما زيد فيه لأن التضعيف إنما ورد في مسجده وقد أكداه بقوله.

وقد صرح بذلك النووي بخلاف المسجد الحرام فإن التضعيف يعم الحرم كله، واستنبط منه تفضيل مكة على المدينة لأن الأمانة تشرف بفضل العبارة فيها على غيرها مما تكون العبادة في مرجوحة وهو قول الجمهور والمشهور عن مالك تفضيل المدينة والله أعلم.

ثم أن صاحبنا الفاضل بحث معنا في مسجد قباء هل ثبت فيه تضعيف كالمساجد الثلاثة فقلت له المشهور عن العلماء أنه لم يثبت فيه تضعيف وقد ورد في فضله أن النبي ﷺ كان يأتي مسجد قباء كل سبت ماشياً وراكباً ويصلي فيه.

مطلب في فضائل الصلاة في مسجد قباء:

وروى النسائي من حديث سهل بن حنيف عن النبي ﷺ قال من خرج حتى يأتي مسجد قباء فصلى فيه كان له عدل عمرة.

وعند الترمذي من حديث أسيد بن حضير قال قال النبي ﷺ الصلاة في مسجد قباء كعمرة.

وعند ابن أبي شيبة في أخبار المدينة بإسناد صحيح عن سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه قال لأن أصلى في مسجد قباء ركعتين أحب إلى من أن أتى بيت المقدس مرتين ولو يعلمون ما فى قباء لضربوا أكباد الإبل انتهى من القسطلانى .

وروى البيهقى عن جابر بن عبد الله أن النبى ﷺ قال الصلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام والجمعة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة جمعة فيما سواه إلا المسجد الحرام وشهر رمضان فى مسجدى هذا أفضل من صوم ألف شهر رمضان فيما سواه إلا المسجد الحرام أى وكذا يقال فى بقية العبادات من اعتكاف ونحوه .

وروى الإمام أحمد بإسناد رواه روة الصحيح من حديث أنس قال قال النبى ﷺ من صلى فى مسجدى أربعين صلاة لا تفوته صلاة كتبت له براءة من النار وبرائة من النفاق، أقول أن هذه الفضائل ثابتة لعموم المسجد النبوى ويلحق به فى الثواب ما زيد فيه عند الجمهور .

وأما ما ورد من الفضل لبعض المسجد النبوى كالروضة الشريفة فيشير إليه قوله ﷺ ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة .

مطلب فى فضل الروضة الشريفة:

وقوله ﷺ ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة ومنبرى على حوضى وفى لفظ ومنبرير على ترعة من ترع الجنة وفى المازنى .

قال العلماء رحمهم الله تعالى لم يثبت خبر عن بقعة أنها من الجنة بخصوصها إلا هذه البقعة المقدسة نعم ثبت ذلك فى الحجر الأسود أى فهذه

البقعة المقدسة روضة من رياض الجنة الآن وتعود إليها إن شاء الله تعالى ويكون للعامل فيها روضة بالجنة والمراد بالبیت قبره ﷺ لأن قبره في حجرته وهي بيته.

وأما ما ورد من الفضائل للمدينة المنورة فكثير من ذلك قوله ﷺ أن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تآرز الحية إلى جحرها حديث صحيح.

ومن ذلك قوله ﷺ تفتح اليمن فيأتي قوم ييسون فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون وتفتح العراق فيأتي قوم فييسون فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون وتفتح الشام فيأتي قوم ييسون فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون حديث صحيح.

ومن ذلك ما أخبر به النبي ﷺ عن المدينة بأنه لا يدخلها الدجال ولا الطاعون وأن الملائكة تحرسها من الدجال تقف على أبوابها. ولها يومئذ سبعة أبواب.

وأخبراً ﷺ بأن من صبر على لأوائها كان له النبي ﷺ شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة وكل ذلك صحيح.

مطلب في فضل الرحلة لزيارة الإخوان ولصلة الأرحام؛

هذا وأما الرحلة إلى غير طلب العلم كالرحلة لزيارة الإخوان أو لصلة الأرحام فقد جاء في فضلها آثار كثيرة:

منها قوله ﷺ امش ميلاً عد مريضاً امش ميلين أصلح بين اثنين امش ثلاثة أميال رزاقاً في الله.

ومنها قوله ﷺ زار رجل أنجاله في قرية فأرصد الله له ملكان على مدرجته أي طريقه فقال أين تريد فقال أريد أخالي في هذه القرية فقال له أهل له عليك من نعمة تربها قال لا إلا أنى أحبه في الله قال فإنى رسول الله إليك أن الله أحبك كما أحبته اهـ.

ففى هذا الحديث الصحيح فضل المحبة فى الله تعالى وفضل زيارة الإخوان الصالحين وفيه جوار روية الملائكة لكن الظاهر أن ذلك يكون إذا تصوروا بصور الأدميين والله أعلم (ولما) وقف صاحبنا الفاضل على ما قدمناه من فضل الرحلة إلى الحرمين الشريفين طلب أن نذكر أمام المقصود مقدمة تشمل على فصول فيها بيان فضل العلم وشرفه وشرف أهله العاملين فانشرح صدرى لذلك وألقى حب ذلك فى قلبى بإلهام كان يلقي فى روعى وأنا اتجاه الروضة الشريفة والبقعة الطاهرة المنيفة فعلمت أنه من الخير الإلهى ورجوت من الله الكريم أن يمن علينا بالقبول والرضى أنه جواد كريم رءوف رحيم فهاك ما تيسر من ذلك .

مطلب فى فضل العلم وأهله العاملين؛

بسم الله الرحمن الرحيم

فصل فى ذكر العلم وفضل أهله وما ورد فى ذلك من الآثار والآيات والأخبار وقال تعالى وقل رب زدنى علما وقال تعالى يرفع الله الذين آمنوا والذين أتوا العلم درجات وقال تعالى قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون (وأما) الأحاديث والآثار فكثيرة جداً.

منها قوله ﷺ من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين ويلمهمه رشده وهو صحيح مجمع على صحته .

ومنها قوله ﷺ من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة رواه الترمذى فى سننه (ومنها) ما فى سنن ابن ماجه عن كثير بن قيس قال كنت جالساً عند أبى الدرداء فى مسجد دمشق فأتاه رجل فقال يا أبا الدرداء أتيتك من المدينة مدينة رسول الله ﷺ لحديث بلغنى عنك أنك تحدث به عن رسول الله ﷺ قال فما جاء بك تجارة لا قال ولا جاء بك غيره قال لا قال أبو الدرداء إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة وأن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم وأن طالب العلم ليستغفر له من السماء والأرض حتى الحيطان فى الماء وأن فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب إن العلماء ورثة الأنبياء وأن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر اهـ.

كتب فى الحاشية على قوله أن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم ما لفظه يحتمل أن يكون وضع الملائكة أجنحتها على حقيقة وإن لم يشاهد ويحتمل أن يكون مجازاً عن التواضع له تعظيماً لحق طالب العلم ومحبة فيه (وكتب) على قوله سهل الله له طريقاً إلى الجنة ما لفظه يحتمل أن يكون كناية عن التوفيق للخيرات فى الدنيا أو كناية عن إدخاله الجنة فلا تعب انتهى.

فصل ومن الأحاديث الجامعة لأنواع من المعلوم والمعارف ما أورده الحافظ القزوينى فى سننه عند ذكر لفضل العلم وشرفه وقد جرى التنبيه على بعض ما فيه من الفوائد عند قراءتنا للسنن بالحرم النبوى (وهذا لفظه هكذا) عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال من نفس عن مسلم كربة من كرب

الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن متر مسلماً متره الله في الدنيا والآخرة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا حفتهم الملائكة ونزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وذكروهم الله فيمن عنده.

مطلب في قوله ﷺ من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه:

ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه انتهى.

كتب في الحاشية أى حاشية السنن ما لفظه قوله ومن أبطأ به عمله الخ الباء للتعدية يقال بطأ به وأبطأ بمعنى واحد أى من أخره عن الشيء النافع تفريطه في العمل الصالح لم ينفعه في الآخرة شرف النسب.

وقيل يريد أن التقرب إلى الله عز وجل لا يحصل بالنسب وكثرة العشائر بل بالإيمان والعمل الصالح فمن لم يتقرب بذلك فلا يتقرب إليه تعالى بعلو النسب انتهى كلام المحشى على السنن سنن ابن ماجه.

وأقول أنه لا ريب في فضيلة النسب الزاكي وعلو منزلته عند الله تعالى بدليل ما صح عن النبي ﷺ أنه قال إني تارك فيكم ثقلين:

أحدهما كتاب الله المبين. وثانيهما عترتي أهل بيتي فاحفظوني فيهما وحيثُ فاصحاب النسب الزاكي على أقسام:

منهم المؤمن العالم العامل وهم سادة هذه الأمى وحبهم فرض على كل

مسلم.

ومنهم المؤمن المخلط في عمله الذى لا يعرف شيئاً من الفقه والدين بل هو معتمد على نسبة تارك لما ينفعه في آخرته فهذا له فضيلة النسب وعليه خسارة فقد العمل وأمره مفوض إلى الله عز وجل .

القسم الثالث من أصحاب النسب من وصل إلى حد الكفر باستحلال المحرمات وانتهاك الموبقات وهذا إن وجد فلا كلام فيه والله أعلم .
قال بعضهم من آمن بالله ورسوله من السادة الأشراف واعتقد صحة دين الإسلام وأحب هذا النبي الكريم ولكنه ارتكب ما لا يليق به فهذا أمره مفوض إلى الله عز وجل إن شاء عفى عنه وإن شاء عذبه ولكنه لا يليق به الاعتزاز بالاعتماد على النسب الشريف والله أعلم .

مطلب فى قوله عليه الصلاة والسلام يا عباس اشتر نفسك إلخ:

وعلى كل حال فحب أهل بيت النبوة واجب على جميع المسلمين كما لا يخفى والله أعلم وصح أن النبي ﷺ حين أنزل الله عز وجل عليه وأنذر عشيرتك الأقربين أنه صعد الصفا وقال يا معشر قريش أو كلمة نحوها (اشتروا) أنفسكم بشيء من الله لا أغنى عنكم من الله شيئاً أى لم تؤمنوا بما جئت به يا بنى عبد مناف اشتروا أنفسكم بشيء من الله لا أغنى عنكم من الله شيئاً أى لم تؤمنوا بما جئت به يا عباس ابن عبد المطلب لا أغنى عنك من الله شيئاً ويا صفية عمة رسول الله لا أغنى عنك من الله شيئاً يا فاطمة بنت محمد ﷺ سليني من ما شئت من مالى لا أغنى عنك من الله شيئاً قد بلغت انتهى .

والمراد من ذلك الحث لهم على الإيمان والعمل الصالح وأن لا يتكلموا على النسب فإن شرف النسب مرتبط بالإيمان بما جاء به النبي ﷺ وتعامه

وكماله مرتبط بالأعمال الصالحة فمن فرط منهم في الإيمان فقد خاب سعيه
ومن فرط في الأعمال الصالحة فأمره مفوض إلى الله عز وجل كما تقرر في
أصول الشرع والله أعلم.

مطلب في حكاية شريف يروي أحاديث موضوعة:

ويحضرني الآن حكاية تقدم وقوعها معنا ونحن بمدينة نابلس عمرها
الله بالإسلام ووفق أهلها لفعل الخيرات والمبرات على الدوام وملخص الحكاية
أنه قدم على نابلس رجل من ذوى النسب الزاكي وله ولد بنابلس وهما من
مدينة صيدا وقد أعطيا من فصاحة اللسان وقوة الجنان ما أوجب لهما التصدر
والتقدم على الأقران فجعلا فى المجالس ييثان فضيلة النسب الطاهر ويرويان
فى ذلك أحاديث من الأحاديث الموضوعة والأخبار المختلفة المصنوعة ومع
ذلك فليس لهما معارض ولا لحيتهما داحض لذلاقة ألسنتهما ونصوع
فصاحتهما وكنت أجلس قليلا معهما فأورد بالمجلس يوماً حديثاً مسنداً إلى
النبي ﷺ أنه قال أبنائى أبنائى إن أحسنوا فلا أنفسهم وإن أساءوا فعلى .

فقلت لهما إن مفاد هذا الأثر أن صحيح النسب له أن يفعل ما شاء وأنه
يثاب على إحسانه ولا يسأل عن عصيانه لتحمل النبي ﷺ ذلك عن أبناء
وهذا موائم للآيات القرآنية ولصحيح الأخبار النبوية والإمساك عن ها الأمر
الخطير أجدر بكما فتشاغلا عن ذلك ويحثا فى أمر آخر ولم يزل دأبهما ذلك
إلى أن ارتحلا إلى مدينة يافا ونزلا بمنزل صاحب المكارم المرحوم الحاج أحمد
أفندى الطاهر وقدر لنا الاجتماع بهما فى منزله فجعلا يتكلمان فى نشر تلك
الأخبار المستقدم ذكرها فعارضتهما برفق وقلت لهما إنى أخشى عليكم أن
تدخلوا فى الوعيد الشديد والأمر الأكيد وتلوث عليهما ما صح عن النبي ﷺ

وهو قوله أن كذبًا على ليس ككذب على غيرى من قال على فليقل حقًا أو صدقًا ومن تقول على ما لم أقل فليتبؤ مقعده من النار (وفى لفظ) صحيح إياكم وكثرة الحديث عنى .

التحذير من رواية أحاديث لا يعلم راويها وأن تعمد الكذب عليه ﷺ من الكبائر العظام:

قال وقد صرح العلماء قاطبة بأن من تعمد الكذب على النبي ﷺ فهو محكوم بكفره والعياذ بالله أن استجل ذلك فأمسكا عن نشر تلك الأراجيف وتابا إلى الله عز وجل والله يغفر لهما بمنه وفضله أنه جواد كريم رءوف رحيم .

هذا ولما أتمنا يراد هذه الحكاية بقصد النصيحة والتذکر . والاعتبار لردع من يكثر من الأحاديث المسندة إلى النبي المختار بلا موقف موثوق به أو كتاب تلقته الأمة بالقبول واعتراف بصحته الأئمة الفحول بحث معنا صاحبنا الفاضل فى مسألة كثر وقوعها بين الناس يجد أحدهم كتابًا لا يعرف صاحبه ولا يدرى مؤلفه وفيه قال النبي ﷺ كذا وكذا وأكثر ما يتلى به القصاص والخطباء والوعاظ فهل يحل لهم الاعتماد على ما يجدون فى الأوراق التى لا يوثق بها ولا يعرف مؤلفها أم لا يدلهم من الوقوف على الحقيقة والعلم بأن الحديث له مخرج من أئمة الحديث المعول عليهم فى القديم والحديث .

فقلت أن المفتى به المنع من إطلاق قال رسول الله ﷺ كذا وكذا إلا بعد الوقوف على حقيقة حال الحديث ومعرفة من رواه ومن أخرجه من الأئمة .

وقد صرح بذلك العلماء الراسخون والحفاظ النقادون فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة ويصيبهم عذاب أليم والله أعلم

فصل لقد أتحفنا صاحبنا الفاضل بنسخة من مشكاة المصابيح وعليها شرح العلامة ملاً على القارى وذلك بالحرم النبوى فأثرنا النقل عنها لبعض أحاديث تدل على فضل العلم وشرف أهله .

فمنها حديث أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه قال ذكر لرسول الله ﷺ رجلان أحدهما عابد والآخر عالم فقال رسول الله ﷺ فضل العالم على العابد كفضلى على أدناكم ثم قال ﷺ أن الله وملائكته وأهل السموات وأهل الأرض حتى النملة فى جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير رواه الترمذى فى سننه مرفوعاً ورواه محكول مرسلًا ثم تلا هذه الآية .

قال فى الشرح وإنما تلا هذه الآية استشهاداً لبيان علة الفضل لأن العالم الحقيقى من أعرف الناس بالله وأخشاهم لله فهو وأعلم بالله وبجلاله ورفيع كبريائه من العابد الذى ليس بعالم بل غلبت عبادته على علمه .

وقال بعض العارفين العالم من عقل عن الله فامثل أمره واجتنب ما نهى عنه اهـ .

وكتب ملا على القارى على قوله ﷺ من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة وأن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع ما لفظه (قال زين العرب) وغيره قبل معناه إنها تتواضع له أى لطالب العلم توقيراً لعلمه ونظيره قوله تعالى وانخفض لهما جناح الذل من الرحمة أى تواضع لهما أو المراد الكف عن الطيران والتزول للذكر نظير قوله فى الحديث السابق وحفت بهم الملائكة أو المراد الحقيقة وإن لم تشهد وهى فرش أجنحتها وبسطها لطالب العلم لتحمله عليها نقله السيد جمال الدين .

مطلب فى حكاية أدبية:

ونقل العلامة ابن القيم عن أحمد بن شعيب أنه قال كنا عند بعض المحدثين فحدثنا بهذا الحديث وفى المجلس رجل من المعتزلة فجعل يستهزئ بالحديث وقال والله لأطرقن غداً فعلى لأطأ بها أجنحة الملائكة ففعل ومشى بالنعلين فحفت رجلاه أى انتقبت وأصابها الأكلة جزاء له على استهزائه (وقال) الطبرانى سمعت ابن يحيى الساحى يقول كنا نمشى فى أزقة البصرة إلى باب بعض المحدثين فأسرعنا المشى ومعنا رجل ماجن متهم فى دينه فقال ارفعوا أرجلكم عن أجنحة الملائكة لا تكسروها كالمستهزئ بالحديث فما زال عن موضعه حتى حفت قدماه وسقط على الأرض اهـ وألخفا رقة القدم ضد الخشونة وفى السنن والمسائيد عن صفوان بن عسال أنه قال قلت يا رسول الله جئت أطلب العلم قال مرحباً بطلب العلم إن طالب العلم لتخف به الملائكة وتظله بأجنحتها حتى تبلغ السماء الدنيا من حبهم لما يطلب قال الحاكم إسناده صحيح انتهى النقل عن مشكاة المصابيح وشرحها والله أعلم.

فصل ومن الأحاديث الدالة على فضل العلم وشرف أهله ما أودعه الخافظ القزوينى فى سننه ومر بنا حال قراءتنا للسنن بالحرم النبوى وهو قوله ﷺ الخير عادة والشر لجاجة ومن يرد الله به خيراً يفقه فى الدين ويلهمه رشده رواه فى السنن عن معاوية رضى الله عنه.

كتب فى الحاشية عليه أن معناه أن أهل الخير يعتادونه فيسهل عليهم فعله وأما الشر فيقع من أهله بسبب اللجاجة وهى الغضب اهـ.

وقد أورد صاحبنا الفاضل أشكالا ههنا على مفهوم الحديث السابق وقال أن مفهومه من لم يتفقه فى الدين لم يرد الله به خيراً مع أنه قد يموت قبل البلوغ وقبل ان يتفقه فى الدين أو يموت بعد البلوغ وقبل أن يتفقه فى الدين.

والجواب عن ذلك بأن المعنى من يرد الله به خيراً أى عظيماً جسيماً يفقه في الدين فهذا يندفع الإشكال .

مطلب فى مفاهيم الكتاب والسنة:

وهذا على مذهب من يرى أن مفاهيم الكتاب والسنة حجة وهم الجمهور يرون أن المفهوم حجة إذا لم يرد على سبب خاص ولم يرد به بيان الواقع ولم يخرج مخرج الغالب .

فالأول كقوله تعالى ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصناً وردت على سبب خاص كما ذكره المفسرون وهو أن ابن أبى كان يكره فتياته على البغاء وهن مؤمنات يردن التحصن .

والثانى كقوله تعالى ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه مفهومه أن من دعا مع الله إلهاً آخر وله برهان على ذل فلا يكون حسابه على ربه فأجاب العلماء عن ذلك بأن هذا يراد به بيان الواقع وجملة لا برهان له به صفة كاشفة ليس للاحتراز بل لبيان الواقع والله أعلم والثالث كقوله تعالى وربائبكم اللاتى فى حجوركم أى وحرم عليكم بنات أزواجكم اللاتى هن فى حجوركم مع أن بنت الزوجة تحرم سواء كانت فى حجر الزوج أو لا بل تحرم بالدخول بأمرها والله أعلم .

وروى ابن مسعود عن النبى ﷺ أنه قال الناس رجلان عالم ومتعلم ولا خير فيما سواهما رواه الطبرانى عن ابن مسعود بإسناد حسن اهـ .

والمراد نفى الخير الكامل عمن لم يتفقه فى الدين فلا إشكال كما تقدم والله أعلم .

فصل فى ذكر جماعة لهم فى طلب العلم الشرعى وهم عارون عنه وقد جالسنا كثيراً منهم بالحرم النبوى فوجدناهم متضلعين من العلوم الأدبية والرياضية ولهم إلمام بالفقه ولكنه لا إلمام لهم بعلم السنة التفسير فسألناهم عن سبب ذلك فاعتذروا بأن غالب الشيوخ عندهم لا يبذلون جهدهم فى علم السنة المطهرة التفسير فلهذا قل حظهم من التحصيل لهذين العلمين الشريفين علم السنة المطهرة وعلم التفسير فبحث معنا صاحبنا الفاضل فى ذكر شىء من فضائل العلمين المذكورين فقلت حباً وكرامة وهاك ما تيسر منه .

مطلب فى قوله عليه الصلاة والسلام العلم ثلاثة:

فمن ذلك ما رواه أبو داود فى سننه وابن ماجه عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبى ﷺ قال العلم ثلاثة آية محكمة أو سنة قائمة أو قريضة عادية وما سوى ذلك فهو فضل .

قال فى شرح المشكاة والتعريف فى العلم للعهد وهو العلم النافع فى ادين وحيث أن العلم مطلق فينبغى تقييده بما يفهم منه المقصود فيقال علم الشريعة أقسام ثلاثة علم التفسير وعلم السنة المعبر عنه بعلم الحديث وعلم الفقه فى الدين فأشار إلى الأول ويقول آية محكمة وإلى الثانى بقوله أو سنة قائمة وإلى الثالث بقوله أو قريضة عادلة وما سوى المذكور فهو فضل أى رائد لا يتنفع به فى باب الدين بل ربما يستعاذ منه وكان النبى ﷺ يقول أعوذ بك من علم لا ينفع .

وقوله آية محكمة معناه أنها أحكمت عبارتها بأن حفظت تمن الاحتمال والاشتباه فكانت أم الكتاب فتحمل التشابهات عليها وترد إليها . وقوله أو سنة قائم معنى قيامها ثبوتها ودوامها بالمحافظة عليها وحفظ متونها واستنباط

الأحكام منها. وقوله أو فريضة عادلة أى مستقيمة مستنبطة من الكتاب والسنة. وقوله وما سوى ذلك فهو فضل أى زائد لا مدخل له فى أصل الدين ولله در الإمام القرطبي حيث قال فى هذا المعنى:

ما العلم إلا كتاب الله أوثره يجلو بنور هداه كل ملتبس
نور لمقتبس خبير لملتمس جمى لمحترس نعمى لمبتأس
وقد أجاد من قال

العلم قال الله قال رسوله قال الصحابة هم ذو العرفان
ما العلم نصبك للخلاف سفاهة بين الرسول وبين رأى فلان
وأقويل علماء السلف فى هذا المعنى كثيرة مشهورة والله أعلم.

مطلب فى فضل علماء الحديث:

فصل ومن فضائل علم السنة وعلماء الحديث ما رواه الحفاظ المتقنون من حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه قال قال رسول الله ﷺ إن أولى الناس بى يوم القيامة أكثرهم على صلاة قال الترمذى حسن غريب (قال) بعض الحفاظ ليهن^(١) أهل الحديث هذه^(٢) البشرى فقد أتم الله نعمه عليهم بهذه الفضيلة الكبرى فإنهم أولى الناس بنبيهم ﷺ وأقر بهم إن شاء الله تعالى وسيلة إليه يوم القيامة فإنهم يخلدون ذكره فى طروسهم ويجددون الصلاة والتسليم عليه فى دروسهم فهم إن شاء الله الفرقة الناجية حشرنا الله فى زمرتهم بمنه وكرمه آمين.

(١) أى ليسر.

(٢) فاعل ليهن.

مطلب دعاءه عليه السلام لأهل الحديث:

وقال ﷺ نضر الله امرأ سمع مقالتي فحفظها ووعاها وأداها كما سمعها فرب حامل فقه إلى من هو أفقه رواه أبو داود وغيره وروى الترمذى بلفظ نضر الله امرأ سمع منا شيئاً فبلغه كما سمعه فرب مبلغ أوعى من سامع ثم قال حسن صحيح.

وعند أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه قال النبى ﷺ فى حجة الوداع نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فرب حامل فقه ليس بفقيه رواه البزار بإسناد حسن ورواه جماعة من الأئمة الثقة.

وقوله نضر الله يروى بتشديد الضاد وهو المشهور بتخفيفها ومعناه خصه الله أى من كانت هذه صفة بالبهجة والسرور لأنه سعى فى نضارة العلم وبهجته وتجديد السنة فجازاه فى دعائه له بما يناسب حاله.

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ ارحم خلفائى قلنا يا رسول الله ومن خلفاؤك قال الذينى يروون أحاديثى ويعلمونها الناس رواه الطبرانى عن ابن عباس.

وفى حديث أسامة بن زيد عن النبى ﷺ أنه قال يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الفالين وأنحال المبطلين وتأويل الجاهلين أهـ.

وهذا الحديث روى من جوه كثيرة وكلها ضعيفة لكن لكثرتها ينجبر فيلتحق بالحسن والله أعلم.

مطلب مناقب البخارى:

ثم إن البين المعلوم عند الجميع أن البخارى إمام المحدثين وسيد أهل هذه الصناعة فى عصره شهد له بذلك معاصروه وأثنى عليه بذلك فضلاؤهم فطلب منى صاحبنا الفاضل أن نذكر فى هذه الرسالة شيئا من مآثره الحميدة ومزايه السيدة تيمنا وتبركا بذلك فقلت حبا وكرامة، فمن ذلك ما رواه الحفاظ المتقنون فى فضل كتابه الصحيح مسندا إلى أبى سهل محمد بن أحمد المروزى قال سمعت أبا زيد المروزى يقول كنت نائما بين الركن والمقام فرأيت النبى ﷺ فى المنام فقال لي يا أبا زيد إلى متى تدرس كتاب الشافعى وما تدرس كتابى فقلت وما كتابك يا رسول الله قال جامع محمد بن إسماعيل.

وقال الحافظ الذهبى فى تاريخ الإسلام وأما جامع البخارى الصحيح فأجل كتب الإسلام وأفضلها بعد كتاب الله تعالى قال وهو أعلى إسناد فى وقتنا هذا للناس فلو رحل الشخص ألف فرسخ إلى سماعه لما ضاعت رحلته اهـ. وروى الثقات عن الإمام البخارى أنه قال رأيت النبى ﷺ فى المنام وكأنى واقف بين يديه ويدي مروحة أذب بها عنه فسألت بعض المعبرين فقال لى أنت تذب الكذب عنه فهذا الذى حملنى على جمع الصحيح.

أقول إن رؤيا النبى ﷺ فى المنام حق بدليل ما صح عنه ﷺ من قوله من رأتى فى المنام فقد رأتى حقا فإن الشيطان لا يتمثل بى وفى هذين المنامين دلالة على فضله ورفعة قدره كما لا يخفى ويلزم من مدح كتابه مدحه بذاته انتهى كما لا يخفى والله أعلم.

ثم إن قوله ﷺ نضر الله امرأ سمع مقالتي الخ صريح فى مدح علماء الحديث المجمع على فضلهم فى القديم والحديث.

وفي السنن للحافظ القزويني ما هذا لفظه عن زيد بن ثابت أن رسول الله ﷺ قال نضر الله امرأ سمع مقالتي فبلغها كما سمعها فرب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه لى من هو أفقه منه زاد فيه على بن محمد أى وهو أحد رواة الحديث قال النبى ﷺ ثلاث لا يغفل عليهن قلب امرئ مسلم إخلاص العمل لله والمنصب لا يمة المسلمين ولزوم جماعتهم اهـ.

ومعنى قوله لا يغفل عليهن قلب امرئ مسلم أن المسلم لا يدخل فى قلبه خيانة أو حقد يمنع من تبليغ العلم إلى أهله أو يمنعه من إخلاص العمل لله أو يمنعه من لزوم جماعة المسلمين، فينبغى للمسلم الثابت عليها حتى لا يمنعه شىء من تبليغ العلم وما بعده وبهذا يظهر مناسبة هذه الجملة لما قبلها (وقدمنا) قريباً أن معنى قوله نضر الله امرأ أى حسن وجهه ورزقه النضارة وهى حسن الوجه وبريقه أو أراد حسن الله قدره وألبسه النضرة أى زينه وجمله وأوصله إلى نضرة الجنة أى حسنها ونعيمها (قال) الإمام سفيان بن عيينة ما من أحد يطلب الحديث لله إلا وفى وجهه نضرة أى حسن وجمال لهذا الحديث.

وفي الجامع الصغير ما لفظه قال النبى ﷺ نضر الله امرأ سمع منا شيئاً فبلغه كما سمعه فرب مبلغ أوعى من سامع اهـ أى لما رزق من كمال الفطنة وانفهم والمعرفة، وكان ابن سيرين يقول صدق رسول الله قد رأيناهم كما أخبر النبى ﷺ ورمز له حم ت حب عن ابن مسعود وإسناده صحيح.

وقال النبى ﷺ نضر الله امرأ سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه غيره فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ورب حامل فقه ليس بفقيه رمز له ت والضيا المقدسى عن زيد بن ثابت.

وذكر في حواش السنن ما لفظه قال القاضي أبو الطيب الطبرى ما لفظه رأيت النبي ﷺ في المنام فقلت يا رسول الله أنت قلت نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها الخ وتلوت عليه الحديث جميعه ووجهه يتهلل فقال نعم اه من حاشية السنن.

مطلب فى حكاية أدبية:

فصل ومن الدليل على فضل الرحلة لطلب العلم ما قص الله فى كتابه عن سيدنا موسى عليه السلام حيث قال وإذا قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أى لا أبرح أسير فجملة أسير فى محل نصب خبرها فهى من برح الناقصة وبعضهم منع ذلك وجعلها من برح التامة فيكون المعنى لا أبرح أى لا أفارق ما أنا عليه حتى أبلغ الخ فتححتاج إلى المفعول به ومجمع البحرين هو ملتقى أفارق ما أنا عليه حتى أبلغ الخ فتححتاج إلى المفعول به ومجمع البحرين هو ملتقى بحرى فارس والروم مما يلى المشرق وعد موسى عليه السلام لقاء الخضر فيه وقوله أو أمضى حقبا أى أو أسير زمانا طويلا.

مطلب فى رحلة موسى عليه السلام إلى الخضر:

وفى الصحيح أن موسى عليه السلام قام خطيبا فى بنى إسرائيل فسأل أى الناس أعلم فقال أنا فعتب الله عليه ولم يرد العلم إليه أى فيقول الله أعلم فأوحى الله إليه أن لى عبدا بمجمع البحرين هو أعلم منك أى فى علم الباطن قال موسى يارب فكيف لى به قال تأخذ معك حوتا وتجعله فى مكمل فحيث ما فقدت الحوت فيوثم تأخذ حوتا فجعله فى مكمل ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون حتى إذا أتينا الصخرة التى عند مجمع البحرين وضعا رءوسهما فناما واضطرب الحوت فى المكمل أى لأنه أصابه من ماء عين الحياة

التي في أصل الصخرة وخرج أي الحوت منه أي من المكتل فسقط في البحر فاتخذ سبيله في البحر سرّياً وأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ موسى نسي صاحبه يوشع أن يخبره بأمر الحوت فانطلقا سائرين بقية يومهما وليلتهما حتى إذا كان من الغد قال موسى لفتاه آتينا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصيباً أي تعباً قال ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذي أمر الله به فقال له فتاه أرايت إذ أرينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجباً قال فكان أي دخول الحوت في الماء للحوت سرّباً ولموسى ولفتاه عجباً (فقال موسى ذلك ما كنا نبغي فارتدا على آثارهما قصصاً) أي رجعا يقصان آثارهما قصصاً حتى انتهيا إلى الصخرة فذهبا يلتمسان الخضر فإذا رجل نائم مسجى ثوباً فسلم عليه موسى فقال الخضر وإني بأرضك السلام وفي رواية وهل بأرضي من سلام (ثم قال له من أنت) قال أنا موسى قال موسى بنى إسرائيل قال نعم قال ما شأنك قال أتيتك لتعلمني مما علمت رشداً أي أتيتك لتعلمني علماً ذا رشد مما علمت قال إنك لن تستطيع معي صبراً ثم قال يا موسى إني على علم من علم الله علمنيه لأتعلمه أنت أي لأتعلمه جميعه ثم كان منها ما كان كما قص الله عنهما في كتابه .

وفي رواية أخرى في صحيح البخاري عن سعيد بن جبير أنه قال إني لعند ابن عباس في بيته إذ قال سلوني فقلت أي أبا عبد الله جعلني الله فداك بالكوفة رجل قاص يقال له نوف البكالي يزعم أنه أي موسى صاحب الخضر ليس بموسى بنى إسرائيل قال ابن عباس كذب عدو الله حدثني أبي ابن كعب قال قال رسول الله ﷺ إن موسى بنى إسرائيل ذكر الناس يوماً فوعظهم موعظة بليغة فاضت منها العيون ورقت القلوب يوم ولى فأدركه رجل فقال

أى رسول الله هل فى الأرض أحد أعلم منك قال لا فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه فأوحى الله إليه يبلى عبدنا الخضر هو أعلم منك قال موسى أى رب فأين هو قال بمجمع البحرين قال موسى أى رب اجعل لى علمًا أعلم ذلك منه قال خذ نونًا أى حوتًا ميت فإنه حيث يفقد الحوت حيث ينفخ فيه الروح فأخذ موسى حوتًا مملوحًا فجعله فى مكمل وقال لفتاه أخبرنى حين يفارقك الحوت فقال له فتاه ما كلفت كثيرًا وانطلقا يمشيان حتى أتيا الصخرة وضعا رءوسهما وناما إذ تضرب الحوت وموسى نائم فذكر قوله تعالى وإذا قال موسى لفتاه الآية.

مطلب فى سبب رحلة موسى إلى الخضر:

وظاهر ما فى تفسير البيضاوى أن فى ذهاب موسى إلى الخضر سببًا آخر فإنه قال وقيل إن موسى عليه السلام سأل ربه عز وجل فقال يارب أى عبادك أحب إليك قال الذى يذكرنى ولا ينسانى قال فأى عبادك أقضى قال الذى يقضى بالحق ولا يتبع الهوى قال فأى عبادك أعلم قال الذى يتغى علم الناس إلى علمه عسى أن يصيب كلمة تدل على هدى أو ترده عن ردى فقال يارب إن كان فى عبادك أعلم منى فادللنى عليه قال الله تعالى له عبدنا خضر أعلم منك قال يارب أين أطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال يارب كيف لى به قال تأخذ معك حوتًا مملوحًا فى مكمل فحيث فقدت الحوت فهو هناك ففعل موسى ما أمر به وذهب مع فتاه وقال له إذا فقدت الحوت فأخبرنى فكان من أمرهما ما قص الله عنهما هـ. أقول أن ما بى الصحيح هو الذى يتعين المصير إليه وغيره لا يعول عليه لأن القصة واحدة والتعدد غير ممكن والله أعلم.

فصل ولما وقف صاحبنا الفاضل على الآية الكريمة التي قدمنا الكلام عليها سأل عن بقية ما يلزم من البحث عنها وملخص يحثه أن قوله تعالى إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان إلى قوله فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم الخ لا يخفى أن الولدان لا ذنب لهم يستحقون بسببه العفو فما الجواب عن ذلك.

مطلب في جواب رافع للإشكال:

أقول أن الجواب عن ذلك أشار له القاضي البيضاوي بقوله أن أريد به الممالك فظاهر وإن أريد به الصبيان فللمبالغة في الأمر والأشعار بأنهم أي الصبيان على صدد وجوب الهجرة فإنهم إذا بلغوا وقدروا على الهجرة فلا محيص لهم عنها وأن قومهم يجب عليهم أن يهاجروا بهم متى أمكنت الهجرة اهـ.

ثم إن صاحبنا الفاضل أبدى على الآية الكريمة سؤالا آخر مفاده أن قوله تعالى إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان مجمل فهل ورد التعيين للمستضعفين بأعيانهم قلنا نعم، فقد صح عن ابن عباس أنه كان يقول كنت أنا وأمي ممن عذر الله أي من المستضعفين، وكان النبي ﷺ يدعو لهؤلاء المستضعفين في كل صلاة.

قال أبو هريرة كان النبي ﷺ يدعو إذا قال سمع الله لمن حمده في الركعة الأخيرة من صلاة العشاء قنت يقول اللهم أنج عياش بن ربيعة اللهم أنج لوليد ابن الوليد اللهم أنج سلمة بن هشام اللهم أنج المستضعفين من المسلمين اللهم اشدد وطأتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين كسنى يوسف اهـ.

ولما نزل قوله تعالى ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً كثيراً وسعة الخ سمعها أي هذه الآية رجل من بنى قيس يقال له جندع بن ضمرة قال ما أنا ممن استثنى الله عز وجل وإني لأجد حيلة ولى من المال ما يبلغنى المدينة وأبعد منها والله لا أبيت الليلة بمكة أخرجونى فخرجوا به يحملونه على سرير حتى أتوا به التنعيم فأدرکه الموت فصفق بيمينه على شماله ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك أبايعك على ما يبايعك عليه رسولك فبلغ خبره أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا لو وافى المدينة لكان أتم وأوفى أجراً وضحك المشركون منه وقالوا ما أدرك هذا ما طلب فنزل قوله تعالى ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله أى ثبت أجره عند الله تعالى ثبوت الواجب تفضلاً منه رحمة وكان الله غفوراً رحيمًا هـ.

ولما تم هذا قال لى صاحبنا أنه سبق لنا تقرير بأن حكم الهجرة الوجوب عند استيفاء الشروط وأن حكمها باق لا ينقطع فيشكل على هذا الحديث لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية فما الجواب عن ذلك .

وأجيب بأن المعنى لا هجرة من مكة بعد الفتح واجبة لأنها صارت دار إيمان وتستمر إلى قيام الساعة والهجرة إنما تجب من دار الشرك والكفر والله أعلم ولما فرغنا من الكلام على فضل الهجرة وأحكامها وفضل الرحلة فى طلب العلم فذكرنا جملة صالحة من فضل العلم وأهله العاملين به شرعنا فى ذكر جملة صالحة من التحذير عن طلب العلم لغير الله وذكر الآفات المرتبة على فساد النية فى طلب العلم فقلنا .

مطلب فى وعيد من يطلب العلم لغير الله:

فصل فى وعيد من يطلب العلم لغير الله والتحذير من ذلك روى الترمذى فى سننه عن كعب بن مالك قال قال رسول الله ﷺ من طلب العلم ليجارى به العلماء أو ليمارى به السفهاء أو يصرف به وجوه الناس إليه أدخله الله النار (وروى الحافظ فى سننه بسنده إلى أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ من تعلم علماً مما يتتغى به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة يعنى ربحها.

وروى الحافظ القزوينى أيضاً بسنده إلى جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال لا تعلموا العلم لتباهوا به العلماء ولا لتماروا به السفهاء ولا لتخيروا به المجالس فمن فعل ذلك فالنار النار (أقول) أن محصل ما تقدم أن فساد النية فى الأعمال الصالحة ولا سيما طلب العلم الشرعى لتحصيل الدنيا موجب لعذاب الله ولضياع الأجر فى الآخرة (فإن قال) قائل فهل لهذا الداء من دواء وكيف يصنع من ابتلى بفساد النية (قلت) الدواء النافع التوبة النصوح والندم على ما مضى فإن التوبة النصوح تكون سبباً لمحو أثر الذنوب.

وقد دل على ذلك ما جاء عن النبى ﷺ أنه قال التائب من الذنب كم لا ذنب له، وقال ﷺ لو لم تذبوا لذهب الله بكم ولجاء بقرم يذنبون ثم يستغفرون فيغفر لهم اهـ.

وقد جرى بيننا وبين صديقنا الفاضل البحث فيما إذا كان العامل أتى بالعمل لله ثم خالطه شىء من الرياء بعد ذلك فهل يبطل ثواب عمله بذلك من أصله أم يبطل منه بقدر ما خالطه فيه وظاهر كلام النووى رحمه الله أن

الرياء في العمل يبطل الثواب من أصله وقد نقل ذلك العزيزي عنه عند قوله ﷺ قال الله تعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه اهـ قال العزيزي قال النووي هكذا وقع في بعض الأصول وشركه وفي بعضها وشريكه وفي بعضها وشركته ومعناه أنا غنى عن المشاركة وغيرها فمن عمل شيئاً لي ولغيري لم أقبله بل أتركه لذلك الغير والمراد أن عمل المرأى باطل لأبواب فيه ويأتم اهـ.

قال المناوي المراد بالشرك هنا العمل انتهى (وظاهر) كلام جماعة من أئمة مذهبنا أن العمل إذا كان لله ثم خالطه شيء من الريا يبطل منه بقدر ما خالطه ولا يبطل من أصله وعمن صرح بذلك الحافظ ابن الجوزي والله أعلم (وأما) التوبة والاستغفار الصحيحان فقد كثرت فيهما الآثار وتواترت الأخبار تواتراً معنوياً (ومن ذلك) قوله ﷺ قال السله تعالى يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني^(١) غفرت لك ولا أبالي يا ابن آدم لو أنك أتيتني بتراب الأرض خطايا لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بترابها مغفرة حديث صحيح.

فصل ومن غريب ما وقع في السنن عن محمد بن سيرين عن أبي العجفاء أنه ذكر عن سيدنا عمر رضى الله عنه أنه خطب يوماً فقال أيها الناس لا تغالوا في مهور النساء فإنه لو كانت مكرمة في الدنيا أو تقوى عند الله كان أولاكم وأحقكم بها نبي الله محمد ﷺ ما أصدق امرأة من نسائه ولا أصدقت امرأة من بناته أكثر من أوقية وأن الرجل ليثقل صدقة امرأته حتى

(١) أي نادماً عازماً على عدم العود.

يكون لها عداوة فى نفسه ويقول قد كلفت إليك علق القربة أو عرق القربة قال أبو العجفاء وكنت رجلاً عربياً مولداً ما أدري ما علق القربة أو عرق القربة اهـ (وقوله) قد كلفت إليك الخ أصله أنه يقول تحملت الأمر الشديد الشبيه بحامل القربة وفى الصحاح قال الأصمعى يقال لقيت من فلان عرق القربة ومعناه الشدة وعلق القربة حبلها الذى تعلق به كأنه يقول كنت غنياً فافتقرت واحتجت إلى حبل القربة وأصله أن القربة تحملها الإماء ومن لا معين له وربما افتقر الرجل الكريم واحتاج إلى حيايا بنفسه فيعرق لما يلحقه من المشقة والحياء من الناس فيقال تحملت لك عرق القربة اهـ.

مطلب فى حكاية امرأة وردها على عمر:

وفى المقاصد الحسنة ما لفظه روى أبو يعلى فى مسنده الكبير أن عمر لما نهى عن إكثار المهر بالوجه المذكور اعترضته امرأة من قريش فقالت له يا أمير المؤمنين نهيت الناس أن يزيدوا النساء صدقاتهن على أربعمائة درهم (قال) نعم (فقالت) أما سمعت ما أنزل الله فى القرآن فقال وأى ذلك فقالت سمعت الله يقول وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذ منه شيئاً تأخذونه بهتاناً وإثمًا مبيناً (قال فقال) عمر اللهم غفرًا كل الناس أفاقه منك يا عمر ثم رجع فركب المنبر (فقال) أيها الناس إنى نهيت أن تزيدوا فى المهر على أربعمائة درهم فمن شاء أن يعطى من ماله ما شاء فليعط أو فمن طابت نفسه فيفعل وسنده جيد.

ورواه البيهقى فى سنته (ولفظه) فقالت امرأة من قريش يا أمير المؤمنين أكتب الله أحق أن يتبع أو قولك (فقال) بل كتاب الله فما ذاك قالت نهيت الرجال عن الزيادة فى المهر على أربعمائة درهم (والله) تعالى يقول وآتيتم

إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً الآية (فقال) عمر كل أحد أفقه من عمر مرتين أو ثلاثاً وفي رواية امرأة أصابت وأخطأ عمر اهـ .
أقول أن الإنكار لبعض الأمور المخالفة قد وقع من كثير من صغار أهل الفضل على الكبراء منهم ويلتمسون بذلك الوقوف على الحقيقة الشرعية ولا محذور في ذلك إذا حسنت المقاصد .

مطلب في أمره عليه السلام لأبي هريرة بالتبشير:

فمن ذلك ما مر بنا حال قراءتنا في صحيح مسلم لحديث أبي هريرة حين بعثه النبي ﷺ بنعليه يبشر الناس وملخص القصة أن أبا هريرة قال قال لي النبي ﷺ إذهب بنعلي هاتين فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة قال أبو هريرة فذهبت فكان أول من لقيني عمر فقال ما هاتان النعلان يا أبا هريرة قلت نعلاً رسول الله ﷺ بعثنى بهما من لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه بشرته بالجنة قال فضرب عمر بيده بين ثديي فخررت لاستي وقال ارجع يا أبا هريرة قال فرجعت إلى رسول الله فأجهشت بكاء وركبني عمر وإذا هو على أثرى فقال لي رسول الله ﷺ ما لك يا أبا هريرة فقلت لقيت عمر فأخبرته بالذي بعثنى به فضرب بين ثديي ضربة خررت منها لاستي (وقال) لي ارجع فقال رسول الله ﷺ ما حملك يا عمر على ما صنعت (قال) يا رسول الله بأبي أنت وأمي أنت بعثت أبا هريرة بنعليك من لقي يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه بشره بالجنة (قال) نعم قال لا تفعل بأبي أنت وأمي فإنني أن يتكل الناس عليها فيتركوا العمل (قال) فخلهم يعملون اهـ من صحيح مسلم .

قال النووي في شرحه فيه جواز الإمساك عن بعض العلوم التي لا حاجة إليها للمصلحة الراجحة وفيه جواز الإشارة من بعض الأتباع المتبوع بما يراه مصلحة وموافقة المتبوع له إذا رآه مصلحة ورجوعه عما أمر به بسببه وليس مراجعة عمر اعتراضاً على النبي ﷺ ورداً عليه لأمر معاذ الله وإنما هو من باب المشورة المأمور بها (أن قيل) كيف أمر النبي ﷺ أبا هريرة بالتبشير ثم نهاه عنه (فالجواب) أن ذلك إن كان صدر بالوحي فهو من باب نسخ المتقدم بالتأخر ولا محذور فيه وإن كان صدر ذلك بالاجتهاد فهو من باب تغيير الاجتهاد ولا محذور فيه فله أن يجتهد في الأمر الذي لا نص فيه ولكن لا يقر على الخطباء (ونظيره اجتهاده) ﷺ في أخذ الفدا من أسرى بدر بموافقة شيوخ الصحابة خلا عمر فإنه أشار بالقتل ونزل في ذلك لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم فتأمل فإنه دقيق والله ولي التوفيق والله أعلم.

ولما تلونا حديث أبي هريرة السابق بالحرم النبوي تعجب من ذلك كثير من السامعين حتى فهموا المعنى فزال عنهم ذلك وقد سبق نظير ذلك بمدينة نابلس وكثر القيل في ذلك والقال وترتب على ذلك ما لا يليق أن يذكر هنا والله أعلم.

مطلب في ذكر فضل التعليم:

فصل في ذكر ما ورد في فضل التعليم الشرعي وما ورد في شرف أهله المخلصين أخرج الحافظ في سننه بسنده إلى أبي الدرداء قال سمعت رسول الله ﷺ يقول أنه ليستغفر للعالم من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في البحر أي لتعليمه الخير.

وروى أيضاً بسنده عن سهل بن معاذ بن ؟ عن أبيه أن النبي ﷺ قال من علم علماً فله أجر من عمل به لا ينقص من أجر العامل شيء (وروى أيضاً) بسنده إلى أبي قتادة قال قال النبي ﷺ خير ما يخلف الرجل من بعده ثلاث ولد صالح يدعو له وصدقة تجرى يبلغه أجرها وعلم يعمل به من بعده انتهى (وقال) النبي ﷺ إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علماً علمه ونشره (وولداً صالحاً تركه (ومصحفاً) ورثه أو (مسجداً) بناه أو بيتاً لابن السبيل بناه أو نهراً أجراه أو صدقة أخرجها من ماله في حال صحته وحياته يلحقه من بعد موته اهـ.

قال في الحاشية وهذا الحديث هو مضمون حديث أبي هريرة إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له الحديث رواه مسلم وغيره فهو صحيح معنى (والصدقة) الجارية هي المستمرة كالوقوف وما أوصى به ونفعه مستمر (والعلم) يشمل التعليم والتصنيف (ودعاء الولد) لوالده يصل إليه إثارة لصلاحه وفيه حث للأولاد على الدعاء للآباء ولا سيما في الأوقات التي ترحب فيها بالإجابة اهـ.

وفي الجامع الصغير ما لفظه أخرج الإمام أحمد والطبراني عن أبي أمامة أن النبي ﷺ قال أربعة تجرى عليهم أجورهم بعد موتهم من مات مرابطاً في سبيل الله ومن علم علماً أجرى له ثواب علمه به ومن تصدق بصدقة جارية أي مستمرة فأجره يجرى له ما وجدت ورجل ترك ولداً صالحاً فهو يدعو له اهـ.

وفيه أيضاً قال النبي ﷺ أفضل الصدقة أن يتعلم المرء علماً ثم يعلمه أخاه المسلم رواه ابن ماجه عن أبي هريرة بإسناد من اهـ.

وفى السنن أيضاً عن عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ خرج ذات يوم من بعض حجره فدخل المسجد فإذا هو بحلقتين (إحدهما) يقرأون القرآن ويدعون الله والأخرى يتعلمون ويعملون (فقال) النبي صلى الله ﷺ كل على خير هؤلاء يقرأون القرآن ويدعون الله عز وجل فإن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم وهؤلاء يتعلمون ويعلمون (وإنما) بعثت معلماً فجلس معهم ا هـ .

تكلم فى الحاشية على إسناده وحط كلامه على أنه ضعيف (ومن جهة المعنى) فملخص كلامه على أن المعنى أن الذين يقرأون القرآن ويدعون إن شاء تعالى أعطاهم مطلوبهم أو لا وجوب عليه تعالى قال لكن فى ترك هذا فيما بعده تنبيه على أن إعطاء أولئك مطلوبهم كالمحقق فيه إشارة إلى بون بعيد بينهما وقد خرج بعضهم حديث من يرد الله به، خيراً يفقه فى الدين على هذا المعنى فقال لا يدرى أخذ أنه أريد به الخير فى الدنيا إلا الفقهاء ا هـ .

وروى الحافظ أيضاً بسنده إلى أبى أمامة قال قال رسول الله ﷺ عليكم بهذا العلم قيل أن يقبض وقبضه أن يرفع وجمع بين أصبعيه الوسطى والتى تلى الإبهام هكذا ثم قال العالم والمتعلم شريكان فى الأجر ولا خير فى سائر الناس ا هـ .

كتب فى الحاشية عليه قوله ولا خير فى سائر الناس هو مثل من يرد الله به خيراً يفقه فى الدين فأشار إلى أن طالب الفقه كالفقيه ومن لا فقه له ولا طلب للفقه فلا خير لتنزيل الحرمان عن خير الفقه منزلة الحرمان عن مطلق الخير ا هـ .

هذا ولما من الله الكريم بتلاوة هذه الأحاديث النبوية والحكم الميظوية بالحرم الشريف والمسجد الأنور المنيف انشروحت لها القلوب واستبشرت بها

النفوس وتلمحت النفس إلى إلحاق ما يسر المهاجرين من ذكر وصية رسول الله ﷺ لمن جاء يطلب العلم من الأقطار الإسلامية والممالك المحروسة العثمانية فهناك ما تيسر من ذلك والله عز وجل هو المنجي من المهالك قال الحافظ في سننه .

مطلب في وصيته عليه السلام لطلبة العلم:

باب ما جاء عن رسول الله ﷺ

من الوصاءة بطلبه العلم ثم روى بسنده إلى أبي سعيد الخدري أنه قال قال رسول الله ﷺ سيأتيكم أقوام يطلبون العلم فإذا رأيتموهم فقولوا لهم مرحباً مرحباً بوصية رسول الله ﷺ وافتوهم قال قلت للحكم ما أفتوهم قال علموهم .

وفي السنن أيضاً قال حدثنا علي بن محمد إلى آخر سنده عن أبي هارون العبدى أنه قال كنا إذا أتينا أبا سعيد الخدري قال لنا مرحباً بوصية رسول الله ﷺ ثم يقول أن رسول الله ﷺ قال لنا إن الناس لكم تبع وأنهم سيأتونكم من أقطار الأرض يتفقهون في الدين فإذا جاءوكم فاستوصوا بهم خيراً .

وذكر في السنن أيضاً أن كان من دعاء النبي ﷺ (اللهم) انفعني بعلمي وعلمني ما ينفعني وزدني علماً (والحمد لله) على كل حال وأعوذ بالله من أحوال أهل النار (اللهم) إني أعوذ بك من علم لا ينفع ومن دعاء لا يسمع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع أعوذ بك اللهم من هؤلاء الأربعة (وفي استعاذته) ﷺ من هذه الأمور إظهار العبودية وإعظام للرب تبارك وتعالى وأن العبد ينبغي له ملازمة الخوف ودوام الافتقار إلى الله عز وجل .

الباب الأول من هذه الرسالة

فىما وصل إلينا من الحوادث العلمية والمسائل الأدبية فمن ذلك أن صاحبنا الفاضل أجرى المذاكرة معنا بالحرم النبوى فى مسائل عبد الله بن سلام الثلاث ومضمون المذاكرة فى أنه هل ورد عن أحد من الأخبار نظيرها أم لا وهل ورد عن نبينا ﷺ ما يؤيدها أو يقرب منها أو لا وفى ذكر شىء من مناقب ابن سلام وفى بعض مروياته عن النبى عليه السلام .

والجواب أن الإمام البخارى ذكر مسائل ابن سلام فى صحيحه فى مواضع منها ما فى التفسير عن أنس قال سمع عبد الله بن سلام بقدم رسول الله ﷺ وهو فى أرض يحترف لأهله فأتى المدينة والنبى ﷺ جالس يحدث أصحابه فقال أنى سألك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبى ورجل أو رجلان قال له سل قال ما أول أشراط الساعة وما أول طعام يأكله أهل الجنة وما يتزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه قال ﷺ أخبرنى بهن جبريل آنفاً قال ابن سلام جبريل قال نعم قال ذاك عدو اليهود من الملائكة فقراً ﷺ الآية من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله الآية ثم قال له أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزعت الولد .

قال ابن سلام أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله ثم قال يا رسول الله إن اليهود قوم بهت وأنهم أن يعلموا بإسلامى ييهتونى عندك فاسألهم عنى قبل أن يعلموا بإسلامى فدعاهم فجاءوا فقال لهم النبى ﷺ أى

رجل عبد الله بن سلام فيكم قالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا قال
أرأيتم إن أسلم عبد الله بن سلام قالوا أعاده الله من ذلك قال فاخرج إليهم
يا ابن سلام فخرج فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فقالوا
شربنا وابن شربنا وانتقصوه فقال هذا الذي كنت أخاف منهم اهـ رواية
البخارى الأولى.

الثانية ما رواه البخارى بلفظ يقارب الرواية الأولى غير أنه قال وأما
الولد فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل
نزعت الولد اهـ.

وفى رواية فى صحيح البخارى وأما الشبه فى الولد فإن الرجل إذا
غشى المرأة فسبقها ماءه كان الشبه له وإذا سبق ماءها كان الشبه لها اهـ فظهر
من هذه الروايات أن المأل فيها واحد وأن الاختلاف ربما كان من تصرف بعض
الرواة وأن السبق فى الإنزال يستلزم السبق فى الدخول إلى الرحم والله أعلم.

مطلب فى حديث ثوبان:

ويأتى فى حديث ثوبان وغيره مزيد لذلك (وأما) ورود نظير هذه المسائل
عن أحد من الأحبار فى صحيح مسلم عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ أنه
قال كنت قائماً عند النبي ﷺ فجاء حبر فقال السلام عليك يا محمد قال
فدفعته دفعة كاد يصرع منها قال لم تدفعنى فقلت ألا تقول يا رسول الله فقال
إنما نسميه باسمه الذى سماه به أهله فقال النبي ﷺ إن اسمى محمد الذى
سمانى به أهلى فقال الحبر جئت أسألك فقال له النبي ﷺ أينفعك شىء أن
حدثتك قال أسمع بأذنى فنكت رسول الله ﷺ بعود معه وقال سل فقال الحبر
أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات فقال رسول الله

ﷺ هم في الظلمة دون الجسر قال فمن أول الناس أجازة عليه قال فقراء المهاجرين قال الخبر فما تحفتهم حين يدخلون الجنة قال زيادة كبد النون قال فما غداءهم على أثرها قال ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها قال فما شربهم عليه قال من عين فيها تسمى سلسيلا قال صدقت قال الخبر وجئتك أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبي ورجل أو رجلان فقال له النبي ﷺ أينفعك شيء أن حدثتك فقال اسمع بأذني قال جئت أسألك عن الولد قال له النبي ﷺ ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر فإذا اجتمعا أي في الرحم فعلا مني الرجل مني المرأة أذكر بإذن الله وإذا علا مني المرأة مني الرجل أنثى بإذن الله تعالى قال الخبر لقد صدقت وإنك لنبى ثم انصرف، فقال النبي ﷺ لقد سألتني هذا عن الذي سألتني عنه ومالى أعلم بشيء منه حتى أتاني الله به اهـ.

ومعنى قوله أذكراً بإذن الله أى كان الولد ذكراً ومعنى قوله أنثى بإذن الله أى كان الولد أنثى بإذن الله.

وفي الجامع الصغير ما لفظه عن النبي ﷺ أنه قال ماء الرجل غليظ أبيض وماء المرأة رقيق أصفر فأيهما سبق أشبه الولد قال شارحه بعد قوله فأيهما سبق زاد ابن ماجة أو علا وقال سبب هذا الحديث أن أم سليم أم أنس سألت رسول الله ﷺ عن المرأة ترى في منامها ما يرى الرجل أى أنها تجامع فقال رسول الله ﷺ إذا رأت ذلك فأنزلت فلتغتسل وفي لفظ فعليها الغسل فقالت أم سلمة يا رسول الله أكون هذا يا رسول الله قال نعم ماء الرجل غليظ أبيض وماء المرأة رقيق أصفر فأيهما سبق أو علا أشبهه الولد ثم رمز له في الجامع الصغير حم وغيرهما عن أنس.

قال الحنفى فى حاشيته أى أشبهه فى الخلقة ومن جملتها الذكورة والأنوثة فإذا سبق ماء الرجل جاء الولد ذكراً شبه أباه فى الصورة وإذا سبق منى المرأة جاء الولد أنثى مشبهة لامها فى الصورة اهـ كلام الحنفى (أقول أن الذى فى مسائل ابن سلام) لا دلالة له إلا على أن السبق سبب لا شبه ليس إلا ولذا قال العلامة ابن القيم إن كان ما فى حديث ثوبان محفوظاً عن رسول الله ﷺ فهو حق ويكون سبق والعلو من الأسباب العادية فإن الأحاديث الصحيحة مصرحة بأن الأذكار والإناث كل واحد منهما مستند إلى مشيئة الله تعالى وحده.

وفى الصحيح وكل الله بالرحم ملكاً فيقول أى رب نطفة أى رب علقة أى رب مضغة فإذا أراد الله أن يقضى خلقها قال أى رب أذكر أم أنثى أشقى أم سعيد فما الرزق فما الأجل فيكتب كذلك فى بطن أمه رواه البخارى .

وأما مروياته^(١) عن النبى ﷺ فمنها ما رواه فى سنته عن عبد الله بن سلام قال لما قدم رسول الله ﷺ المدينة المنجفل^(٢) الناس إليه وقيل قدم رسول الله ﷺ فجتت فى الناس لأنظر إليه فلما استبينت وجهه عرفت أنه ليس بوجه كذاب فكان أول شىء تكلم به أن قال يا أيها الناس أفسحوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام اهـ ما فى السنن بإسناد حسن .

ذكر مناقب ابن سلام:

ثم إن رسالتنا هذه تشرفت بما حوته من أخبار الخبر الجليل والعالم العامل النبيل عبد الله بن سلام رضى الله عنه فتعين علينا تميم الفائدة بكدر

(١) أى ابن سلام اهـ .

(٢) أى أسرعوا .

بعض مناقبه السديدة ومزايه الحميدة فنقول روى الإمام البخارى فى صحيحه بسنده إلى قيس بن عباد أنه قال كنت جالساً فى مسجد المدينة فدخل رجل على وجهه أثر الخشوع فقالوا هذا رجل من أهل الجنة فصلى ركعتين وتجويز فيهما ثم خرج وتبعته فقلت له إنك لما دخلت قالوا هذا رجل من أهل الجنة قال والله ما ينبغى لأحد أن يقول ما لا يعلم وسأحدثك لم ذاك رأيت رؤيا على عهد رسول الله ﷺ فقصصتها عليه رأيت كأنى فى روضة وذكر من سعتها وخضرتها قال وفى وسطها عمود من حديد أسفله فى الأرض وأعلاه فى السماء وفى أعلاه عروة فقيل لى أرقه فقلت لا أستطيع فأتاني منصف فرفع ثيابه من خلفى فرقيت حتى كنت فى أعلاها فأخذت بالعروة وقيل لى استمسك فاستيقظت وأنها لفى يدي قصصتها على النبى ﷺ قال ﷺ تلك الروضة هى الإسلام وذلك العمود هو عمود الإسلام وتلك العروة هى العروة الوثقى فأنت على الإسلام حتى تموت ا هـ.

وذلك الرجل عبد الله بن سلام ا هـ من البخارى.

وأقول أن الشئ بالشئ يذكر ولما تقدم ذكر ابن سلام ومر بنا بالحرم النبوى ما يشبهه من إسلام بعض الأفاضل من الصحب الكرام والأئمة الأعلام حسن أن نذكر بعض القصص المشابهة لما تقدم فهناك ما تيسر منها (فمن ذلك ما رواه) الإمام البخارى فى صحيحه عن عبد الله بن عمر ما سمعت عمر يقول لشئ قط إنى لأظنه كذا إلا كان كما يظن وبينما عمر جالس إذ مر به رجل جميل فقال عمر لقد أخطأ ظنى فى كونه فى الجاهلية بأن صار مسلماً ا هـ شرح أو قال إن هذا على دينه فى الجاهلية^(١) أو لقد كان

(١) شك من الرواى ا هـ.

كاهنهم على الرجل فدعى له فقال له ذلك فقال ما رأيت كاليوم أستقبل به رجل مسلم قال فإني أعزم عليك إلا ما أخبرتني فإنك كنت كاهنهم فما أعجب ما جاءتك به جنيتك قال بينما أنا يومًا في السوق جاءتنى أعرف فيها الفزع فقالت ألم تر الجن وإبلاسه وبأسها من بعد انكاسها ولحوقها بالقلاص وأحلاسها قال عمر صدق بينما أنا عند آلهتهم إذ جاء رجل فذبحه فصرخ به صارخ لم أسمع صارخًا قط أشد صوتًا يقول يا جليح^(١) أمر نجيح رجل فصيح يقول لا إله إلا الله فوثب القوم قلت لا أبرح حتى أعلم ما وراء هذا ثم نادى يا جليح أمر نجيح رجل يقول لا إله إلا الله ثم قمت فما نشينا أن قيل هذا نبى ا هـ.

أقول أن فى السير من هذا شيئًا كثيرًا ومنه ما هو فى الصحيح كما فى قصة الهجرة وسماع أشعار الجن وقد أشار إلى ذلك صاحب الهمزية فارجع إليه إن شئت والله أعلم.

حكاية أدبية غريبة:

ومن غريب ما وقع لنا قضية الأحاديث التى اطلعنا عليها فى بعض مؤلفات لبعض الفضلاء من أهل العصر وسبق منا أن قلنا أن فيها مواضع طغى فيها قلم المصحح فخرجت عن سنن العربية بقصد النصيحة فعظم الأمر على بعض أتباع المؤلف حفظه الله تعالى وأشاع أن هذه قضية ما هى بنصيحة والله يغفر له بفضلها (فسألنى سائل عن تلك الأحاديث ما هى) فأحييت أن أذكر بعضًا منها نشرًا للفائدة فأقول منها حديث لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى أو هو من أفراد

(١) معناه أن النبى العربى قد ظهر وبطلت عبادة الأصنام من العرب ا هـ.

البخارى اتفق الشراح على نصب أعناق مفعولاً به لتضىء^(١) وصرخوا بأن هذه النار ظهرت قريباً من المدينة واستمرت أياماً حتى أشفق منها أهل المدينة غاية الإشفاق والتجوؤوا إلى حرم النبي ﷺ ليكون ويتضرعون فاستجاب الله دعوتهم وفرج كربهم وكان يأتيهم^(٢) نسيم طيب بارد مع كون النار فى غاية القوة ويسمع لها دوى كدوى البحر وقد تواتر خبرها واشتهر أمرها حتى بلغ مبلغ التواتر وكانت سنة ٥٥٤ والله أعلم.

ومنها حديث بروا آباءكم تبركم أبناءكم وعفوا تعف نساءكم ا هـ هو من برر يبرر فالأمر منه بر يا زيد بفتح الباء أباك وأما بر أباك بكسر البار فلحن كما نبه عليه فيدرة الغواص وغيرها من كتب التصريب والله أعلم (ومنها حديث) أن الله أنزل الداء والدواء وجعل لكل داء دواؤ فتداؤوا يا عباد الله ولا تداؤوا بحرام ولا يقال تداؤوا بضم الواو لأنه لحن تصان عنه السنة وتعمده حرام.

وقد كان السلف يصونون ألسنتهم عن اللحن ويرون ذلك نقضاً.

حكاية النضر بن شميل مع المأمون:

وقد حكى أن النضر بن شميل لما قدم بغداد واجتمع بالمأمون عرف له حقه وأجلسه على السرير وفاوضه الكلام وقال أيه أى حدثنا يا نضر فقال أمير المؤمنين أحق أن يفتح الكلام فقال حدثنى شيخى عن فلان عن أنس أن النبى ﷺ قال إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان له فيها سداد من عور وفتح السين فقال له لانضر لكن أنا حدثنى شيخى عن فلان عن أنس وذكر

(١) أى والمؤلف ضبطها بالرفع فاعل تضىء ا هـ.

(٢) أى أهل المدينة.

الحديث وقال فيه كان له فيها سداد من عوز وكسر السين فقال له المأمون ويحك يا نضر تلحننى فقال لا يا أمير المؤمنين أنت تبعث لفظ شيخك وكان لحائناً فقال له المأمون ما الفرق بينهما قال السداد بالفتح الصواب وبالكسر الكفاية من العوز فقال له وهل تعرف العرب ذلك قال نعم وأنشد قول العرجى:

أضاعونى وأى فنى أضاعوا ليوم كريهة وسداد نغر

ثم إن النضر استفاد بذلك مالا عظيماً والقصة مشهورة عند أهل الأدب والله أعلم.

مطلب فى تفسير القرآن الكريم:

فصل فى ذكر ما ورد عن العلماء فى مسألة تفسير القرآن العظيم هل يجوز بمقتضى اللغة العربية أم لا وهل يتعين الرجوع إلى ما صح عن النبى ﷺ أو عن أحد من أصحابه أم لا وقد جرى البحث فى هذه المسألة مع بعض الفضلاء من أصحابنا بالحرم النبوى وملخص ما وقع عليه الاتفاق أن تفسير القرآن العظيم بمقتضى اللغة العربية جائز لأنه عربى ولا يجوز تفسيره بالرأى من غير لغة ولا نقل فمن قال فى القرآن برأيه أو بما لا يعلم فليتوباً مقعده من النار رواه أبو داود وغيره عن ابن عباس مرفوعاً.

وأما ما ورد عن النبى ﷺ فيتعين المصير إليه فمن ذلك الكوثر صح تفسيره بنهر يجرى فى الجنة وهو فى اللغة الخير الكثير وكذلك الباقيات الصالحات^(١) جاء تفسيرها بسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وكذلك قوله تعالى الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وقد جاء

(١) هى فى اللغة الأعمال الصالحة.

تفسيرها بشجرة فى الجنة وستمر بك أحاديثها مرتبة إن شاء الله تعالى ، أما تفسير الكوثر بنهر فى الجنة فقد صح عن أنس بن مالك أن النبى ﷺ قال بينما أنا أسير فى الجنة إذا أنا بنهر حافظه قباب الدر المجوف قلت ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذى أعطاك ربك فإذا طينة مسك إذفر ا هـ صحيح البخارى .

أقول وفى الصحيح أيضاً عن ابن عباس ما هذا لفظه أنه قال الكوثر الخير الكثير الذى أعطاه الله محمداً ﷺ قال أبو بشر قلت لسعيد بن جبيران أناساً يزعمون أنه نهر فى الجنة فقال سعيد النهر الذى يجرى فى الجنة هو من الخير الذى أعطاه الله محمداً ﷺ ا هـ (والذى حققه) البيضاوى فى تفسيره أن الكوثر هو الخير الكثير فىشمل جميع ما أعطيه النبى ﷺ من النصر وزرع الذكر وكثرة الأتباع وبقاء شرعه بلا نسخ إلى يوم القيامة والنهر الذى فى الجنة هو من ذلك الخير وإطلاق الكوثر عليه جائز لأنه من أفراده .

وقد كثرت الأقوال فى الكوثر والذى عليه الجمهور أنه نهر فى الجنة وفى الصحيحين عن أنس قال بينما رسول الله ﷺ بين أظهرنا إذ أغضى إغفاءة ثم رفع رأسه مبتسماً فقلت ما أضحكك يا رسول الله قال أنزلت على أنفأ سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر إن شائتك هو الأبر ثم قال أتدرون ما الكوثر قلنا الله ورسوله أعلم قال فإنه نهر فى الجنة وعدنيه ربي عز وجل عليه خير كثير هو حوض ترد عليه أمتى يوم القيامة أنيته عدد نجوم السماء الخ .

قال النووى قال القاضى عياض أحاديث الحوض صحيحة والتصديق به من الإيمان وهو على ظاهره عند أهل السنة وحديثه متواتر ا هـ خازن .

وأما طوبى ففي الخازن فى قوله تعالى الذى آمنوا وعملوا الصالحات
طوبى لهم قال ابن عباس فرح لهم وقرّة عين وقيل تأويلها الحال المستطابة لهم
وهو كل ما استطابوه فى الجنة من بقاء بلا فناء وعز بلا ذل وغن بلا فقر
وصحة بلا سقم انتهى واللام فى لهم للبيان مثلها فى سقيا لك والواو فى
طوبى منقلبة عن باء لضمّة ما قبلها وقال الأزهري تقول طوبى لك وطوبى لى
لحن وقال سعيد بن جبير طوبى اسم الجنة بالحشية .

وروى عن أبى أمامة وأبى هريرة وأبى الدرداء أن طوبى اسم شجرة فى
الجنة تظلّل الجنان كلها .

وفى الصحيحين عن سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال إن فى الجنة
شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها وروى فى الصحيحين من
وجوه مثل هذا اللفظ ولم يذكر طوبى وقال البغوى وهذا الإسناد عن عبد الله
ابن المبارك عن الأشعث عن عبد الله عن شهر بن حوشب عن أبى هريرة أنه
قال أن فى الجنة شجرة يقال لها طوبى الخ .

والحاصل أن تفسير طوبى بشجرة فى الجنة وردت به الآثار فى غير
الصحيحين فمن ذلك قوله ﷺ طوبى شجرة فى الجنة مسيرة مائة عام ثياب
أهل الجنة تخرج منهم أكمامها رواه جم وحب عن أبى سعيد بإسناد صحيح
ومن ذلك أيضاً طوبى شجرة فى الجنة لا يعلم طولها إلا الله عز وجل حديث
صحيح والله أعلم .

وأما تفسير الباقيات الصالحات فقد جاء عن أبى سعيد الخدرى عن
رسول الله ﷺ أنه قال استكثروا من قول الباقيات الصالحات قيل وما هن يا
رسول الله قال التكبير والتهليل والتسبيح والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا

بالله (وعن) ابن المسيب أن الباقيات الصالحات هي قول العبد سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أخرجه مالك في الموطأ موقوفاً .

وعن ابن عباس أن الباقيات الصالحات هي الصلوات الخمس وعنه أنها الأعمال الصالحة والله أعلم .

ومن التفسير المأثور ما جاء في الأثر أنه لما نزل قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين سأل النبي ﷺ جبريل عن معناها فقال لا أدري حتى أسأل رب العزة فذهب ثم رجع فقال ربك أمرك أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وتحسن إلى من أساء إليك .

وروى أنها لما نزلت قال عليه السلام كيف يارب بالغضب فنزل وأما يتزغتك من الشيطان نزغ فاستعد بالله إنه سميع عليم (وما تقدم) من البحث في جواز تفسير القرآن العزيز بمقتضى اللغة العربية ووجوب الرجوع إلى ما صح عن النبي ﷺ أو عن أحد من أصحابه فهو محل توقف ونظر ويحتاج إلى مراجعة العلماء الثقات لاختلاف المذاهب في ذلك .

وأما تفسير الكوثر بنهر في الجنة وتفسيره بالخير الكثير فهو جائز ولا منافاة بينهما فإن من فسره بالنهر فمراده أنه من الخير الكثير وهو من إطلاق العام على بعض أفراده والله أعلم (أقول) ويشبه ما تقدم من التفسير المأثور ما جاء عن داود وسليمان عليهما السلام في تفسير قوله تعالى وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين .

قال المفسرون كان الحرث كرمًا قد تدلت عنا قيده وقيل كان زرعًا وهو أشبه بالعرف ونفشت فيه غنم القوم أى رعته ليلا بلا راع فأفسدته .

قال ابن عباس وغيره من أئمة التفسير أن رجلين دخلا على داود عليه السلام أحدهما صاحب حرث والآخر صاحب غنم فقال صاحب الحرث إن غنم هذا دخلت حرثي ليلا فوقعت فيه فأسدته فلم تبق منه شيئاً فأعطاه داود رقاب الغنم بالحرث أى بعد أن اعترف وكان قيمة الحرث مساوية لقيمة الغنم فخرجا فمرا على سليمان عليه السلام فقال كيف قضى بينكما فأخبراه فقال غير هذا أرفق بالفريقين فبلغ ذلك داود فدعاه وقال له كيف تقضى فقال تدفع الغنم لصاحب الحرث ينتفع بدها وصوفها ويدفع الحرث لصاحب الغنم يزرع ويقوم عليه وإذا صار الحرث كهيته يوم أكل دقع إلى صاحبه وأخذ صاحب الغنم غنمه فقال داود القضاء ما قضيت وحكم بذلك اهـ (وهو موافق لما ذهب إليه كثير من الأئمة كالشافعي وأحمد من أن الغنم إذا أفسدت شيئاً ليلا فالضمان على مالكها حيث أرسلها ليلا بلا حافظ وما أفسدته نهاراً فلا ضمان لأن في عرف الناس أن أصحاب الزرع يحفظونه نهاراً والمواشى تسرح بالنهار وترد بالليل إلى المراح ويدل لذلك ما رواه حرام بن سعد بن محيصة أن ناقة للبراء بن عازب دخلت حائطاً لرجل من الأنصار فأفسدت فيه فقضى رسول الله ﷺ أن على أهل الأموال حفظها بالنهار وعلى أهل المواشى حفظها بالليل .

وفى رواية وأن على أهل المواشى ما أصابت مواشيهم بالليل أخرجه أبو داود مرسلًا وذهب أبو حنيفة وأصحابه إلى أن الملك إذا لم يكن مع ماشيته فلا ضمان عليه فيما أتلفت سواء كان ليلا أو نهاراً اهـ .

واختلف العلماء هل كان حكم داود باجتهاده أو بنصر وكذلك حكم سليمان عليهما السلام فإن كان بالوحي كان الثانى ناسخاً للأول وإن كان بالاجتهاد فهو من تغيير الاجتهاد ولا محذور فيه .

حكاية المرأتين من بنى إسرائيل:

ونظير ما مر ما صح من قضية المرأتين اللتين أخذ الذئب ابن إحداهما ولفظ صحيح البخارى كانت امرأتان معهما ابناهما أى وهما يغسلان جاء الذئب فذهب بابن إحداهما فقالت صاحبها إنما ذهب بابنك وقالت الأخرى إنما ذهب بابنك فتحا كما إلى داود قضى به للكبرى أى لكونها صاحبة اليد فخرجتا على سليمان بن داود عليهما السلام فأخبرته فقال اتونى بالسكين أشقه بينكما فرضيت الكبرى وقالت الصغرى لا تفعل يرحمك الله هو ابنها فقضى به للصغرى أى لما رأى من جزعها اهـ.

وها هنا فوائد تتعلق بالقرآن الكريم وسبق منا حال قراءتنا للفقهاء الحنبلى بالحرم النبوى ما فيه تلميح لبعضها منها أن فقهاء الحنابلة نصوا على أنه يحرم جعل القرآن بدلا من الكلام مثل أن يجيء رجل إلى آخر عند وقته فيقول ثم جئت على قدر يا موسى أو مثل أن يستأذن عليه جماعة فى الدخول فيقول أدخلوها بسلام آمنين وأمثال ذلك كثير وقد شاهدنا القراء من ذلك كثيرا يدخلون الآيات الكريمة فى أحاديثهم ويسخرون ويضحكون وذلك من الجهالة والحماسة وفى كتب السادة الحنفية التغليظ والتشديد والحكم على فاعل ذلك بالكفر والعياذ بالله نعم إن ظهر ما يدل على الاستخفاف بالقرآن العزيز فلا شبهة فى كفر فاعل ذلك والله هو الهادى والموفق والمعين .

ومنها أن فقهاء الحنابلة نصوا على جواز الاقتباس إذا كان فى الخطب والمواعظ ومنعوا منه فى الشعر والأمور المستهجنة والمشهور عن أرباب المذاهب هذا التفصيل (ومنها) ما ذكره بعضهم فى آداب القرآن وهو أنه ينبغى لحامل القرآن أن يكون على أكمل الأحوال وأكرم الشمائل .

قال الفضل بن عياض حامل القرآن حامل راية الإسلام فلا يتبغى له أن يلهو مع من يلهو ولا أن يسهو من يسهو ولا أن يلغو مع من يلغو تعظيماً لحق القرآن الكريم اهـ.

وقد شاهدنا من القرآن الذين يحسنون التلاوة ما يوجب سوء الظن بهم والتهمة في دينهم فالحكم لله العلي الكبير (ومنها) أى من الفوائد المهمة ما نقله صاحب الفنون والفظه قال حنبلى كثير من أقوال وأفعال تخرج مخرج الطاعات عند العامة وهى مآثم عند العلماء مثل القراءة فى الأسواق التى يصيح فيها أهل بالنداء والبيع فلا أهل الأسواق يمكنهم الاستماع لقراءة القرآن ولا هم يعذرون بالترك للاستماع لقول الله تعالى وإذا قرئ القرآن باستمعوا له وأنصتوا وذلك أى عدم الاستماع امتهان.

قال فى الفروع كذا قال لم يرض منه القول بالحرمة اهـ ويتوجه احتمال أنه يكره وقول صاحب الفنون صريح فى التحريم والله أعلم.

فصل ومن غريب ما وقفنا عليه ما ذكره الحافظ القزوينى فى سننه ولفظه باب النهى أن ما يقال ما شاء الله وشئت وذكر حديث ابن عباس أن النبى ﷺ قال إذا حلف أحدكم فلا يقل ما شاء الله وشئت ولكن ليقل ما شاء الله ثم شئت اهـ.

كتب فى الحاشية عليه ما لفظه ذكر هذا القيد (أى شئت) جرياً على المعتاد وإلا فهذا اللفظ أى لفظ ما شاء الله وشئت ممنوع مطلقاً أى سواء كان بلفظ الواو أو بضم لأنه يوهم المساواة أى بين مشيئة الخلق والمخلوق واللائق أن يقال ما شاء الله ثم شئت لما فى ثم شئت من الدلالة على النزول أى التراخي.

ولا يخفى ما فى كلام المحشى من التدافع لأنه قال أولاً وهذا اللفظ ممنوع مطلقاً واللائق الخ والحق أنه لا منع مع ثم لو ورد فى قضية الأبرص والأقرع والأعمى فى قصص بنى إسرائيل واللفظ الوارد فيه ولا بلاغ لى اليوم إلا بالله ثم بك وهو فى الصحيحين (وكذلك) فى القرآن الكريم ما يؤيد ما قدمناه وهو قوله تعالى أن اشكر لى ولوالديك وأمثاله كثير فتدبر ا هـ.

وذكر صاحب السنن أيضاً حديث حذيفة بن اليمان قال إن رجلاً من المسلمين رأى فى النوم أنه لقى رجلاً من أهل الكتاب فقال له نعم القوم أنتم لولا أنكم تشركون تقولون ما شاء الله وشاء محمد وذكر ذلك للنبي ﷺ فقال أما والله إن كنت لأعرفها لكم قولوا ما شاء الله ثم شاء محمد ا هـ.

وكتب فى الحاشية قوله إن كنت لأعرفها لكم إن مخففة من الثقيلة أى ما عرفت هذه الكلمة لكم وما تفكرت فى كلامكم حتى أعرف أن هذه الكلمة تصدر عنكم ولو عرفت لنهيتكم عنها (وبالجملة) فالنهي ليس مبنياً على مجرد الرؤيا بل هو مبنى على أنه علم قبح هذه الكلمة أنها توهم المساواة ا هـ.

ولا يخفى ما فى كلامه فإنه قال أن مخففة من الثقيلة ثم فسرهما بالنفى وهى للإثبات فتأمل والله أعلم.

أقول أن لصاحب الشفا هاهنا كلاماً حسناً على تحقيق هذه المسألة عند ذكر الخطيب الذى خطب فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصمها فقد غوى فقال له رسول الله ﷺ بش خطيب القوم أنت ا هـ قال إنما ذكره له الجمع بينهما بحرف الكناية أى فى قوله ومن يعصمها فقد غوى والله أعلم.

رؤيا عجيبة:

فصل قد اتفق لنا أن الحافظ القزويني ذكر في سننه حديثاً غريباً وملخصه أن ابن عباس حدث أنه كان عند النبي ﷺ فأتاه رجل من أصحابه فقال إنى رأيت البارحة فيما يرى النائم أنى أصلى إلى أصل شجرة فقرات السجدة فسجدت وسجدت الشجرة لسجودى فسمعتها تقول اللهم احفظ عنى بهاوزرا وما كتب لى بها أجراً واجعلها لى عندك زخراً.

قال ابن عباس فرأيت رسول الله ﷺ قرأ السجدة فسمعتة يقول فى سجوده مثل الذى أخبر به الرجل عن قول الشجرة اهـ.

قال فى الحاشية قوله فأتاه رجل قال الطيبى نقلا عن التوريشتى هذا الرجل هو أبو سعيد الخدرى وقد روى هذا الحديث عنه (قلت كأنه ﷺ أول الشجرة بنفسه الكريمة لكونه شجرة الدين وأصله فصلاته أى الرجل إلى أصل الشجرة هى اتباعه له فى الصلاة وغيرها من أمور الدين ولفظ الترمذى فى هذا الحديث هكذا اللهم اكتب لى عندك بها أجراً وضع عنى بها وزراً واجعلها لى عندك ذخراً وتقبلها منى كما تقبلتها من عبدك داود آهـ من الحاشية.

أقول ومن غريب ما وقع فى السنن ما ذكره الحافظ فى باب صفة الجنة ولفظه عن ابن عباس قال حدثنى أسامة بن زيد أنه سمع رسول الله ﷺ يقول ذات يوم لأصحابه الأهل من مشمر للجنة فإن الجنة لأخطر لها^(١) هى ورب الكعبة نور يتلألأ وريحانة تهتز وقصر مشيد ونهر مطرد وفاكهة كثيرة نضيجة وزوجة حسناء جميلة وحلل كثيرة فى مقام أبدأ فى حبرة^(٢) نضرة^(٣) ونضرة

(١) أى لا مثل لها اهـ. (٢) حبرة أى سعة عيش.

(٣) حسن وجه اهـ.

فى دور عالية سليمة بهية قالوا نحن المشمرون لها يا رسول الله قال قولوا إن شاء الله ثم ذكر الجهاد وحض عليه اهـ.

مطلب فى أوصاف أهل الجنة والنار:

ومن غريب ما وقع فى السنن أيضاً قوله ﷺ لمعاذ بن جبل ألا أخبرك عن ملوك الجنة قلت بلى يا رسول الله كل رجل ضعيف مستضعف ذى طمرين لا يؤبه به لو أقسم على الله لأبره.

وفى حديث حارثة بن وهب ما لفظه عن رسول الله ﷺ أنه قال ألا أنبئكم بأهل الجنة كل ضعيف متضعف ألا أنبئكم بأهل النار كل عتل جواز مستكبر.

وفى حديث أبى أمامة أن رسول الله ﷺ قال أغبط الناس عندى مؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من صلاة غامض فى الناس لا يؤبه به له وكان رزقه كفافاً وصبر عليه عجلت منيته وقل ترائه وقلت بواكيه اهـ.

ولما تلونا هذه الأحاديث الشريفة بالحرم النبوى جرى ذكر غريب ما وقع فيها من الألفاظ وأنها تحتاج إلى البيان تميماً للفائدة.

فأقول ذكر فى الجامع الصغير ألا أخبرك عن ملوك الجنة رجل ضعيف مستضعف ذو طمرين لا يؤبه به له لو أقسم على الله لأبره عن معاذ حديث صحيح ألا أخبرك بأهل النار كل جعظرى جواز مستكبر جماع منوع ألا أخبرك بأهل الجنة كل مسكين لو أقسم على الله لأبره طب عن أبى الدرداء صحيح والجعظرى لفظ الغليظ والجواز الضخم المختال والمستكبر هو المتعظم فى نفسه الذى يرى أن له امتيازاً على غيره مع العظمة والخيلاء أما بشرف

النسب أو بالإمارة أو بالمال فيرجع وصف أهل النار إلى العظمة والكبرياء وسوء الخلق والفحش ووصف أهل الجنة إلى التواضع والانكسار وحسن الخلق والرحمة للخلق والله أعلم.

مسألة قوله ﷺ الدنيا ملعونة... إلخ:

فصل ومن محاسن السنن ما ذكره الحافظ بسنده إلى أبي هريرة ومر بنا حال قرأتنا لها بالحرم النبوي أنه قال قال رسول الله ﷺ الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعلمًا أو متعلمًا اهـ.

كتب في الحاشية والمراد بالدنيا كل ما يشغل عن الله تعالى ويبعد عنه وقوله إلا بذكر الاستثناء يحتمل أن يكون منقطعًا وأن يكون متصلًا وقوله وما والاه أى إلا بذكر الله وما أحبه الله فيشمل طاعته واتباع أمره الاجتناب عن نهيه فيشمل جميع الطاعات كما أن الدنيا الملعونة تشمل جميع المعاصي والمخالفات والله أعلم.

وروى في السنن بسنده إلى خباب رضى الله عنه أنه قال فى تفسير قوله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شىء وما من حسابك عليهم من شىء فتطردهم فتكون من الظالمين قال خباب فى تفسيرها اجاء الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن مع رهط من قومهم إلى رسول الله ﷺ فوجدوه مع صهيب وبلال وعمار وأمثالهم من فقراء المهاجرين فحقروهم وقالوا إنا نريد أن تجعل لنا منك مجلسًا تعرف لنا العرب به فضلنا فإن وفود العرب تأتيك فنستحي أن ترانا العرب مع هؤلاء إلا عبد فإذا نحن جئناك فأقمهم عنك فإذا نحن فرغنا فأقدمهم إن شئت قال نعم قالوا فاكتب لنا عليك بذلك كتابًا فدعى بصحيفة

ودعا عليًا ليكتب ونحن جلوس في ناحية فنزل جبرائيل عليه السلام بهذه الآية ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه الآية (ثم نزل) في الأقرع وذويه قوله تعالى وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا هؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين (ثم قال وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة) قال فدنونا منه حتى وضعنا ركبتنا على ركبته وكان ﷺ يجلس معنا فإذا أراد أن يقوم قام وتركنا فأنزل الله واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة ويريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تجالس الأشراف ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا يعنى عيينة والأقرع وأمثالهما واتبع هواه وكان أمره فرطاً أى هلاكاً قال هو أمر عيينة والأقرع ثم ضرب لهم مثلاً الرجلين ومثل الحياة الدنيا الخ (قال خباب فكنا نقعد مع النبي ﷺ فإذا بلغنا الساعة التي يريد أن يقوم فيها قمنا وتركناه لكي يقوم).

مطلب في التفسير المأثور:

فصل قدمنا في الباب السابق أن التفسير المأثور يترجح المصير إليه أو يتعين سواء كان من النبي ﷺ أو عن أحد من الصحابة ورأينا أن نذكر الآن تفسير بعض آيات صح تفسيرها من ذلك قوله تعالى يوم تأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً.

قال في الخازن قال جمهور المفسرين هو طلوع الشمس من مغربها وروى أن النبي ﷺ قال في قوله تعالى يوم يأتي بعض آيات ربك قال هو طلوع الشمس من مغربها أخرجه الترمذى في سننه .

وروى الشيخان عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال لا تقوم الساعة حتى

تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً.

قال في الخازن وهذا أصح الأقوال وهو الذى عليه المعول (وروى) أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الأرض.

قال في الخازن وأصح الأقوال فى ذلك ما تظاهرت عليه الأحاديث الصحيحة وثبت عن النبي ﷺ أنه طلوع الشمس من مغربها قال الحافظ بن الجوزى الحكمة فى طلوع الشمس من مغربها الملحدة والمتجمعين زعموا أن ذلك لا يكون فيريهم الله عظيم قدرته وباهر آياته فيطلعها من المغرب كما أطلعها من المشرق ليتحقق كذبهم ويتبين عجزهم وهو تعالى على كل شيء قدير اهـ.

وقوله لم تكن آمنت من قبل معناه لا ينفع كافرًا إيمانه الجديد عند ظهور هذه الآية العظيمة وقوله أو كسبت فى إيمانها خيراً معناه أى ولا ينفع نفساً كسبها خيراً لم تكن كسبته من قبل فالمعنى من آمن من كفر أو تاب من معصية عند ظهور هذه الآية العظيمة فلا يقبل منه لأنها حالة اضطرار كما لو أرسل الله عذاباً على أمة كافرة فأمنوا وصدقوا عند رؤية العذاب فإنه لا ينفعهم إيمانهم والحالة هذه لمعاينتهم الأهوال والشدائد التى تضطربهم إلى الإيمان والله أعلم. ومن الآيات التى جاء تفسيرها مأثورًا عن السلف قوله تعالى وإنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً وإنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يسمع الآن يجد له شهباً رصداً الآيات.

مطلب فى منع الشياطين من السماء ورميهم بالشهب:

قال فى الخازن جاء عن ابن عباس أنه قال كان الجن يصعدون إلى السماء يستمعون الوحي فإذا سمعوا الكلمة زادوا عليها إضعافاً فأما الكلمة التي سمعوها فتكون حقاً وأما ما زادوه فيكون باطلاً، فلما بعث رسول الله ﷺ منعوا مقاعدهم من السماء فذكروا ذلك لإبليس ولم تكن النجوم يرمى بها قبل ذلك فقال لهم إبليس ما هذا من أمر قد حدث فى الأرض فبعث جنوده فوجدوا رسول الله ﷺ قائماً يصلى الصبح بين جبلين أراه قال بمكة فأخبره فقال هذا الحدث فى الأرض أخرجه الترمذى وقال الصحيح.

وقال ابن قايبة أن النجوم كان الرجم بها قبل المبعث النبوى ولكن غلظت بعد المبعث وشدت أمرها ومنع الشياطين من الصعود إلى السماء وفى تفسير قوله تعالى وإذا صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن الآية ما هو أكثر فائدة وبيانا فليرجع إليه والله أعلم.

قصة ذكر الجن الذين استمعوا قراءة النبي ﷺ:

وملخص ما ذكره صاحب الخازن فى تفسير ما هذا لفظه لما رجع النبي ﷺ من الطائف حين يئس من خير ثقيف حتى إذا كان ببطن نخلة قام من جوف الليل يصلى فمر به نفر من جن نصيبين كانوا قاصدين اليمن وذلك حين منعوا من استراق السمع من السماء رموا بالشهب فاستمعوا له فإذا فرغ من صلاته ولوا إلى قومهم منذرين وقد آمنوا به وأجابوا له لما سمعوا القرآن فقص الله بخبر عليه فقال (وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن) وكانوا سبعة أو تسعة وروى عن زر بن جيش أنه قال كان زوبعة من التسعة الذين استمعوا القرآن فلما حضروه قالوا انصتوا أى قال بعضهم لبعض استكتوا

لنسمع قراءته فلما نصتوا وتجمعوا عليه حتى كاد بعضهم يقع على بعض من شدة حرصهم على سماع القرآن (فلما قضى) أى فرغ من قراءته (ولوا إلى قومهم منذرين) داعيين لهم إلى الإيمان بالله وبرسوله مخوفين لهم من المخالفة وذلك بعد إيمانهم (قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه) يعنى لما قبله من الكتب الإلهية المنزلة من السماء ومعنى قوله مصدقاً منه مطابق لها فى الصدق وذلك إن كتب الأنبياء مشتملة على الدعوة إلى توحيد الله عز وجل وتصديق الأنبياء والإيمان بالمعاد والحشر والنشر وجاء هذا الكتاب الكريم بجميع ذلك فصح وصفه بأنه مصدق لما بين يديه من الكتب المساوية (يهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم يا قومنا أجيئوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم) قال بعضهم لفظة من زائدة وهو ضعيف ولا تزد من إلا فى النفى .

واختلف العلماء فى مؤمن الجن فقال قوم ليس لهم ثواب إلا النجاة من النار وتمسكوا بظاهر الآية وهى قوله تعالى يا قومنا أجيئوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم اهـ وعليه الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى والحق ما عليه جمهور الأمة وسرارة الأئمة وهو إن مؤمنهم يدخل الجنة كما أن كافرهم يدخل النار إجماعاً والله أعلم (فى بعض الأيام ونحن جلوس بالحرم النبوى جرى ذكر الشيخ عبد القادر الجلى صاحب الكرامات الظاهرة والأحوال الطاهرة مع المجلس الفاضل فأحب المذكور أن يقف على شىء من مآثره العلمية فوق الله لنا الاطلاع على كتاب مؤلف فى مناقب الشيخ قدس الله سره لبعض فضلاء السادة الشافعية فأحببت النقل عنه تيمناً بذكر بعض مروياته من السنة النبوية .

مطلب فى ذكر الجبلى ومروياته:

قال صاحب الكتاب (روى الشيخ عبد القادر الجبلى) بسنده عن شيوخه المكرمين عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزي به ولخلاف فم الصائم عند الله من ريح المسك للصائم فرحان إذا أفطر فرح وإذا لقي الله فجازاه فرح.

وروى أيضاً بسند الشيخ المتصل إلى أبى هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إلى ممن طلعت عليه الشمس.

وروى أيضاً بسند الشيخ المتصل إلى أبى سعيد الخدرى أنه قال قال رسول الله ﷺ لا تسبوا أصحابى فوالذى نفسى بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه.

وروى أيضاً بسند الشيخ المتصل إلى مولى أم المؤمنين عائشة الصديقة رضى الله عنها واسمه أبو المدلة أنه سمع أبا هريرة يقول قلنا يا رسول الله إنا كنا عندك وقت قلوبنا وكنا من أهل الآخرة وإذا فارقتك فشمنا النساء والولدان أعجبتنا الدنيا فقال رسول الله ﷺ والذى نفسى بيده لو أنكم تكونون كما تكونون عندى لصافحتكم الملائكة بأكفكم ولزارتكم فى بيوتكم ولو لم تنبوا لجاء الله بقوم يذنبون ثم يستغفرون فيغفر لهم ا هـ.

أقول إن نظير هذا الحديث ما رواه الإمام أحمد عن ابن عباس عن النبى ﷺ ولفظه هكذا لو لم تذبوا لجاء الله بقوم يذنبون ثم يستغفرون ليغفر لهم ا هـ من الجامع الصغير.

والحكمة فى ذلك لىظهر أثر اسمه غفور وغبفار، ونظير الحديث المتقدم أيضاً ما أخرجہ مسلم فى صحيحه عن حنظلة قال قلت يا رسول الله نكون عندك تذكرنا بالجنة والنار كأننا رأى العين فإذا خرجنا من عندك عافسنا^(١) الزوجات والأولاد والضيعات فقال رسول الله ﷺ لو أنكم تدومون على ما تكونون عليه عندى لصافحتكم الملائكة فى الطرق ولكن ساعة وساعة يا حنظلة اهـ.

ولنرجع إلى النقل عن حضرة الشيخ الجليلى قدس الله سره قال صاحب الكتاب وروى الشيخ الجليلى بسنده المتصل إلى أبى هريرة أنه قال قلنا يا رسول الله حدثنا عن الجنة ما بناؤها قال لينة من ذهب ولينة من فضة وحصباءها اللؤلؤ والياقوت وملاطها المسك وترابها الزعفران من يدخلها ينعم ولا يبأس ويخلد فلا يموت لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه ثلاثة لا ترد^(٢) دعوتهم الصائم حتى يفطر والإمام العادل ودعوة المظلوم تحمل على الغمام ويفتح لها أبواب السماء ويقول الرب تبارك وتعالى وعزتى وجلالى لأنصرك ولو بعد حين اهـ النقل عن الكتاب المسى بيهجة الأسرار ومعدن الأنوار فى مناقب القطب الربانى سيدى الشيخ عبد القادر الجيلانى لمؤلفه نور الدين اللخمى الشطنوفى المصرى الشافعى وشطنوف قرية ببلاد مصر.

وقد ترجمه الإمام السيوطى فى حسن المحاضرة وأثنى عليه (ويأتى معنا ذكر الشيخ) عبد القادر الجليلى وذكر كتابه الغنية إن شاء الله تعالى وذكر كلام العلامة ابن حجر فى ذكره الغنيمة مستوفى فى بابه والله أعلم.

(١) أى خالطنا وداخلنا اهـ.

(٢) هو من تمام الحديث السابق.

ذكر ضبط ألفاظ حديث إن من أفضل أيامكم... إلخ:

فصل وقد تقدم لنا حال قراءتنا لسنن الحافظ القزويني بالحرم النبوي أن بعض إخواننا أجرا مذكرة علمية في حديث وقد اشتهر بين العلماء وكثر الخوض في ضبط بعض ألفاظه فذكرته بتمامه تمييزاً للفائدة (وهو قوله) ﷺ أن من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه النفخة وفيه الصعقة فآثروا على من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة على فقالوا يا رسول الله كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت يعني بليت قال ﷺ إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء رواه حم دنة خب ك عن أوس صحيح ١ هـ.

كتب المحشى ما لفظه قوله فآثروا من الصلاة على فيه تفريع على كون الجمعة من أفضل الأيام وقوله فإن صلاتكم معروضة على أى هى معروضة على كعرض الهدايا على من أهديت إليه فهى من الأعمال الفاضلة ومقربة لكم إلى كما تقرب الهدايا المهدي إلى المهدي إليه وإذا كانت بهذه المأثبة فينبغى الإكثار منها ولا سيما فى الأوقات الفاضلة فإن العمل الصالح يزداد فضلاً بواسطة الوقت الفاضل ثم قال وقوله أرمت فهو بفتح الراء بوزن ضربت ١ هـ.

مطلب فى حياة الأنبياء فى قبورهم:

ويظهر من السؤال والجواب أنهم استبعدوا ذلك أى عرض صلاتهم عليه بعد موته وفناء جسده فأخبرهم أن الأنبياء عليهم السلام لا تقنى أجسامهم ولا تبلى أبدانهم وهو معنى قوله إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء فلا يستبعد عرض صلاتهم عليه لجواز عود الروح إلى البدن ما دام الجسد سالماً والله أعلم.

وفى حديث آخر قال ﷺ ما من أحد يسلم على إلا رد الله على روحى حتى أرد عليه السلام رواه أبو داود عن أبي هريرة بإسناد حسن ،

قال العزيزى قوله إلا رد الله على روحى معناه إلا رد الله على نطقى لأنه حى فى قبره وحياته دائمة لا تفارقه والأنبياء أحياء فى قبورهم اهـ .

ودليله من الكتاب العزيز قوله فى الشهداء ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون والشهداء أتباع للأنبياء فلا يفضلون عليهم والله أعلم .

وفى الصحيح قوله ﷺ مررت ليلة أسرى بى على موسى قائماً يصلى فى قبره وجاء أنه ﷺ قال الأنبياء أحياء^(١) فى قبورهم يصلون صحيح وهو فى السنن .

وأما قوله مررت ليلة أسرى بى على موسى قائماً يصلى فى قبره فهو حديث صحيح رواه الإمام أحمد فى مسنده ومسلم فى صحيحه والنسائى فى سننه .

قال المناوى قوله يصلى أى يدعو الله ويثنى عليه ويذكره فالمراد الصلاة اللغوية وقيل المراد الصلاة الشرعية وموت الأنبياء إنما هو راجع إلى تغييبهم عنا بحيث لا ندركهم مع وجودهم وحياتهم وذلك كحالتنا مع الملائكة فإنهم موجودون أحياء ولا يراهم أحد من نوعنا إلا من خصه الله بكرامة من الأولياء اهـ كلام المناوى .

(١) أى أحياءهم الله بعد موتهم لأنهم أفضل من الشهداء والشهداء بنص القرآن فكذا الأنبياء وهذا أمر لا ينكر ودليله القرآن ولهذا كانت الأنبياء لا تورث رمز له فى الجامع عن أنس الشارح صحيح اهـ .

وقال العلقمى قال النورى فإن قيل الأنبياء كيف يحجون ويصلون ويلبون وهم أموات وهم فى الدار الآخرة وليست دار عمل فاعلم أن للمشايخ عن هذه أجوبة:

أحدها أنهم كالشهداء بل هم أفضل ورتبتهم أعلى بدليل ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والشهداء أحياء عند ربهم يرزقون فلا يبعد أن يحجوا وأن يصلوا ولا يرد على الوجه الأول قوله ﷺ إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث لأن المراد انقطع عمله الذى يترتب عليه الثواب والعقاب لا غير وعمل أهل البرزخ للتلذذ كما ورد فى الحديث وأن يتقربوا إلى الله بما استطاعوا لأنهم وإن كانوا قد ماتوا فهم فى هذه الدنيا التى هى دار العمل حتى إذا أفنيت مدتها تعقبها الآخرة التى هى دار الجزاء انقطع العمل.

الوجه الثانى إن عمل الآخرة ذكروا دعاء قال تعالى دعواهم فيها سبحانك اللهم الخ.

الوجه الثالث أن يكون هذا^(١) رؤية منام فى غير الأسرى لقوله فى رواية ابن عمر بينما أنا نائم رأيتنى أطوف بالكعبة وذكر الحديث فى قصة عيسى والله أعلم.

**بيان نهيهِ عليه السلام الأنصارية على تزكية ابنها المقتول شهيداً
والجواب عن ذلك:**

لقد تقدم معنا أن رجلاً من المجاورين بالحرم النبوى جلس إلى وسألنى أنه وقف على مسألة غريبة ملخصها أنه وقف على أثر غريب فى بعض كتب

(١) أى قوله رأيت موسى.

السادة الحنفية وهو أن امرأة أنصارية استشهد ابنها يوم أحد ولما سجي جعلت تمسح الغبار عن وجهه وتقول هنيئًا لك الجنة فسمعها النبي ﷺ فأنكر عليها (وقال) لها ما يدريك أن الله أكرمه بالجنة أن الله خلق الجنة وخلق لها أهلاً الخ واللفظ المروي في قصة الأنصارية رواه الترمذي (ونقله) في الطريقة المحمية عن أنس أنه قال استشهد منا رجل يوم أحد فوجد على بطنه صخرة مربوطة من الجموع فمسحت أمه التراب عن وجهه وقالت هنيئًا لك يا بني بالجنة فقال لها رسول الله ﷺ ما يدريك لعله كان يتكلم بما لا يعنيه ويمنع ما لا يضره .

قال في شرح الطريقة علم منه أن التهنتة الكاملة لا تكون إلا لمن لا يحاسب أصلاً إذا الحسب نوع عذاب ومن تكلم بما لا يعنيه يحاسب ويسأل اهـ، فأجبت به بأن هذا الأثر ورد نظيره في الصحيح عن أم العلاء الأنصارية قالت طار لنا سهم عثمان بن مظعون في السكن حين اقتسم الأنصار المهاجرين بقرعة قالت فاشتكى عثمان عندنا فمر ضناه حتى مات وجعلنا في أنوابه فدخل علينا النبي ﷺ فقلت رحمة الله عليك يا أبا السائب فشهادتي عليك لقد أكرمك الله فقال وما يدريك أن الله أكرمه قالت قلت لا أدري بأبي أنت وأمي يا رسول الله فمن يكرمه الله أي إذا لم يكن هو من المكرمين قال أما هو فقد جاءه اليقين والله إنى لأرجو له الخير وما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي قالت فأحزنتني ذلك وقللت لا أزكى بعده أحدًا^(١) فتمت فأريت لعثمان عينًا تجرى فجئت فأخبرت رسول الله ﷺ فقال ذلك عمله رواه البخاري .

(١) أي في الدنيا أو في الآخرة على التفصيل اهـ .

يفهم من هذا الحديث الصحيح أن النبي ﷺ إنما أنكر عليها المسارعة إلى الشهادة له بالكرامة على القطع وهذا يتوقف على الوحي.

ذكر المجمع عليه عند أهل الحق أنا نرجو للمحسن ونخاف على المسيء؛

والمجمع عليه عند أهل الحق أنا نرجوا للمحسن ونخاف على المسيء ولا نقطع بجنة أو نار إلا لمن قطع له النبي المختار (قال بعض أهل العلم) أو أجمعت الأمة بالثناء بالخير كعمر بن عبد العزيز فإنه يقطع له بالجنة واستدلوا على ذلك بما في الصحيح عن عمر أنه قال مر على النبي ﷺ بجنائز فأنشأ عليها خيراً فقال وجبت ثم مر بجنائز أخرى فأنشأ عليها شراً فقال وجبت فقال عمر ما وجبت يا رسول الله فقال من أنشئتم عليه خيراً وجبت له الجنة ومن أنشئتم عليه شراً وجبت له النار أنتم شهداء الله في الأرض قالها ثلاثاً.

أقول إن في البخارى فى فضل شهداء بدرانة ﷺ قالت له أم حارثة بن سراقه يا رسول الله قد عرفت منزلة حارثة منى وكان غلاماً من الأنصار جاءه سهم غريب لا يدري رامية (أى فقتله) فقالت له أمه أخبرنى عنه فإن كان فى الجنة صبرت واحتسبت وإن تك الأخرى^(١) ترى ما أصنع^(٢) فقال لها ويحك أو هبلت أو جنة واحدة هى أنها جنان كثيرة وإن ابنك فى جنة الفردوس اهـ.

فتحصل إن ما ورد فى سنن الترمذى من قوله ﷺ عن شهيد من شهداء أحد حين قالت له أمه هنيئاً لك يا بنى فأنكر عليها (وقال) لعله كان يتكلم بما لا يعنيه إلخ (مشكل) جداً فإن القرآن الكريم بشر شهداء أحد والسنة المطهرة

(١) قوله وإن تك الأخرى أى بأن لم يكن فى الجنة.

(٢) أى من البكاء عليه.

كذلك بشرتهم (اللهم) إلا إن يقال أن التبشير كان لمجموعهم لا لجميعهم والله أعلم (والأقرب إن الإنكار عليها إنما كان لمسارعتها بالشهادة له كما فى قصة عثمان بن مظعون وتقدمت وأما قوله ﷺ ما أدرى وأنا رسول الله ما يفعل بى ولا بكم فمحمول على الدنيا أما فى الآخرة فقد علم أنه فى الجنة وأن من كذبه فهو فى النار.

وهذا عما لا شبهة فيه ونصوص الكتاب العزيز متظاهرة على ذلك فى مواضع كثيرة كقوله تعالى وللآخرة خير لك من الأولى وسوف يعطيك ريك فتراضى فأعطاه الله فى الدنيا والنصر والظفر على الأعداء وأعطاه كثرة الأتباع والفتوح فى زمنه وبعده إلى يوم القيامة وأعلا دينه على سائر الأديان وجعل أمته خير أمة أخرجت للناس وجعلها أمة وسطا أى خياراً عدولاً يشهدون يوم القيامة على الأمم فيزيكهم النبي ﷺ ويعطيه فى الآخرة أعلا المقامات وأسنى الرتب.

ويدل على ما تقدم من قوله ما يفعل بى وأنا رسول الله وإن تك فى الدنيا ما روى أن سبب نزول الآية التى فى الأحقاف وهى قوله ما كنت بدعاً من الرسل وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم أن النبى ﷺ أرى فى المنام أنه يهاجر فى أرض ذات سباح ونخل فقال له أصحابه متى تهاجر الأرض التى أريت فنزلت الآية وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم أى فى الدنيا ثم أخبره الله بعد ذلك أنه يظهر دينه على سائر الأديان وأمته على سائر الأمم وإن أريد به الآخرة فيحمل على أنه لا يدرى ذلك تفصيلاً والله أعلم (ولنشرع فى نقل ما سبق) وتقدم معنا من الوقائع العلمية والحوادث الأدبية مع ذكرنا لما يحدث من المسائل والمباحث الأدبية والآثار النبوية.

مطلب فى ذكر العتق فى رمضان من النار

فنعول أنه حين كنا بالشام بمدينة نابلس عمرها بالله بالإسلام ووفق أهلها لاتباع ما جاء به سيدنا محمد عليه السلام جاءنا سؤال من بعض لفضلاء مضمونه قد تكرر الخوض من الناس فيما ورد عن النبى ﷺ من أنه يعتق فى كل ليلة من ليالى رمضان عتقاء من النار فمن الناس من يروى ذلك ويعين العدد ومنهم من يروى ذلك ولا يعين العدد فمن المقبول من أصحاب الروايتين ومن المعول عليه منهم فى إحدى المقالين وطلب الجواب مبيناً شافياً .

فأقول جواباً عن ذلك وإن كنا لست أهلاً لسلوك هاتيك المسانك أن الذى وقفنا عليه هو ما أخرجه فى الجامع الصغير عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال أن لله تعالى عتقاء من النار فى كل يوم وليلة من رمضان لكل عبد منهم دعوة مسجوبة عند فطره رمز له حم عن أبى هريرة أو أبى سعيد سمو يد عن جابر قال الهيمى رجال الإمام أحمد رجال الصحيح والحديث كما ترى لم يعين فيه عدد للمعتقين .

وورد أيضاً أول شهر رمضان رحمة ووسطة مغفرة وآخره عتق من النار ذكره فى الجامع الصغير أيضاً .

وفى سنن الحافظ القزوينى ما لفظه عن أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه قال إذا كانت أول ليلة من رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن غلقت أبواب النار وفتحت أبواب الجنة ونادى مناد يا باغى الخير أقبل ويا باغى الشر أقصر ولله عتقاء من النار وذلك فى كل ليلة منه ا هـ .

قال فى الحاشية وفى الزوائد^(١) رجال إسناده ثقات .

(١) قوله وفى الزوائد ظهر أنه للحديث الذى بعده لإله ا هـ .

وفى السنن أيضاً عن جابر رقال قال رسول الله ﷺ إن لله عند كل فطر
أى من رمضان عتقاء من النار وذلك فى كل ليلة ١هـ (١) وهو كما ترى لا
تعين فيه امدد المعتقين من النار.

وأما حديث أن لله فى كل ليلة من رمضان ستمائة ألف عتيق من النار
فإذا كان فى آخر ليلة منه أعتق بعدد ما أعتق فى جميعه فلم أقف على من
رواه من الأئمة الأعلام وهو فى ديوان الخطب.

مطلب فى الأمر باتباع الجنائز؛

مر بنا حال قراءتنا له فى صحيح البخارى بالحرم النبوى حديث حذيفة
بن اليمان قوله أمرنا رسول الله ﷺ بسبع نهانا عن سبع أمرنا باتباع الجنائز
وعيادة المريض وإجابة الداعى ونصر المظلوم وإبرار القسم ورد السلام وتشميت
العاطس ونهانا عن سبع عن آنية الفضة وخاتم الذهب والحريز والديباج
والقسى والاستبرق وسقط من المنهيات السابعة وهى ركوب المياثر وهى الفطا
يكون على السرج من الحريز.

ولما تلونا هذا الحديث استشكل بعض الحاضرين قوله عن آنية الفضة مع
أن استعمال آنية الذهب أولى بالتحريم واستشكل أيضاً عده الديقاج والقسى
والاستبرق مع أنها داخلة فى عموم الحريز وكذلك المياثر قد تكون من القطن
أو الصوف والنهى صريح فى التحريم إلا إذا قامت قرينة على الكراهة.

والجواب أن قوله عن آنية الفضة أى وآنية الذهب فخذف للاكتفا نحو
إسرائيل تفيكم الحرأى والبرد وقد جاءت أدلة كثيرة دالة على تحريم استعمال
أوانى الذهب والفضة على الرجال والنساء وجاء فى الصحيح عن حذيفة بن

(١) إسناده لا بأس به.

اليمان أنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول لا تشربوا في آنية الذهب والفضة ولا تأكلوا في صحافها فإنها نهم في أيدينا ولكم في الآخرة (وروت) أم سلمة أن النبي ﷺ قال الذي يشرب في آنية الذهب والفضة إنما يجرجر^(١) في بطنه نار جهنم متفق عليه والجرجرة هي صوت وقوع الماء بانحداره في الجوف وهو نظير قوله تعالى إنما يأكلون في بطونهم ناراً وغير الأكل والشرب في معناهما لأن ذكرهما خرج مخرج الغالب فلا يتقيد الحكم به .

وأما ذكره الثلاثة^(٢) بعد الحرير فهو من باب ذكر الخاص بعد العام اهتماماً بحكمها (وأما) النهى عن المياثر مع أنها قد تكون من الصوف والقطن فأجيب عنه بأن انتهى قد يكون لكراهة كما أن المأمورات قد يكون بعضها للوجوب وبعضها للندب وإطلاق النهى فيها استعمال للفظ في حقيقته ومجازه وهو جائز عند الشافعي ومن وافقه (ونظيره) نهى النبي ﷺ عن ثمن الكلب وعن مهر البغى وعن كسب الحجام فالنهي عن كسب الحجام للتنزيه (وقد) جاء مصرحاً به مفرداً عن غيره ومقروناً مع غيره .

وقد احتجم النبي ﷺ وأعطى الحجام فدل على أن النهى للتنزيه والله أعلم (وقد جرى) البحث أيضاً في الحديث السابق هل النبي فيه عن لبس الحرير عام في قليله وكثيره أم هو خاص بما إذا كان حريراً خالصاً أو كان غالبه حريراً وهل العبرة في ذلك للظهور أم للوزن احتمالاً والذي عليه فقهاء الحنابلة أنه يحرم على الرجال خاصة لبس ما كله أو غالبه حرير وفي المنتهى وشرحه ولا يحرم أيضاً خز أي ثوب يسمى الخز وهو ما سدى بإبر يسمى أو حرير وألجم بصوف ونحوه كقطن وكتان (لحديث ابن عباس) قال إنما نهى

(١) قوله يجرجر الخ بعضهم أن يكون بمعنى يصب ونار مفعول به ا هـ .

(٢) أي الديباج والقسي والاستبرق ا هـ .

النبى ﷺ عن الثوب المصمت من الحرير أما العلم وسداء الثوب فليس به بأس رواه أبو داود والأثرم ١ هـ.

وفى الإقناع وشرحه ولا يحرم خز وهو ما سدى بإبريسم أى حرير وألحم بوبر أو صوف ونحوه كقطن وكتان لقول ابن عباس إنما نهى رسول الله ﷺ عن الثوب المصمت من الحرير أما السدى والعلم فلا نرى به بأساً رواه الإمام أحمد وأبو داود بإسناد حسن.

قال فى الاختيارات المنصوص عن الإمام أحمد وقدماء الأصحاب إباحة الخزدون الملحم وغيره ويلبس الخز دون غيره من الملحم والديباج والملحم ما سدى بغير الحرير وألحم بالحرير ١ هـ إقناع وشرحه (والمشكل) فى مسألة الخزان الظهور فيها للحرير دون غيره من القطن والصوف وقد جبرى فيها نزاع بين المحقق الشيخ عثمان النجدى وبين الشيخ أبى المواهب صاحب الكرامات الظاهرة والأحوال الظاهرة (فأبو المواهب) قال أن مسألة الخز أباحها الأصحاب وجعلوها مفردة وقالوا يلبس الخز دون الملحم والديباج (والعلامة النجدى) تمسك بظاهر قولهم يحرم لبس ما كله أو غالبه حرير ومسألة الخز الذى يظهر فيها الحرير والعبرة بالظهور عنده.

هذا ملخص كلام فقهاء الحنابلة والاحتياط اجتناب لبس ما ظهر لونه من الحرير وهو الأسلم (وأما مذهب السادة الشافعية فذكر العزى فى شرحه على الجامع الصغير ما لفظه عند قول البراء بن عازب نهى النبى ﷺ عن المياثر الحمرة والقسى خ ت عن البراء المياثر جمع ميشرة وهى لبدة الفرس من حرير أحمر تكون وسادة السرج يعنى نهى عن ركوب دابة على سرجها وسادة

(١) أى فى الوزن ١ هـ.

حمر لأنها زى المتكبرين والقسى نوع من الشيايب فيه خطوط من حرير نسبة إلى قس قرية بمضر فإن حريره أكثر^(١) فالنهى للتحريم وإلا فللتزیه ا هـ.

والنهى الوارد عن لبس الحرير هو ما أخرجه الإمام أحمد والشيخان عن أنس أن النبي ﷺ قال من لبس الحرير فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة وما رواه الإمام أحمد عن جويرة أن النبي ﷺ قال من لبس الحرير فى الدنيا ألبسه الله ثوباً من نار ا هـ وهو محمول على من لبسه من الرجال متعمداً لغير ضرورة ولغير حرب أو نحو حكمة ا هـ.

مطلب فى حكم غريب فى البيع؛

اتفق حال قراءتنا لسنن الحافظ القزوينى بالحرم النبوى قراءة حديث لفظه غريب ومعناه غريب فأثرنا نقله فى رسالتنا هذه تكثيراً للفائدة فنقول روى الحافظ القزوينى فى سنته بسنده إلى قيلة أم بنى إثمار قالت أتيت رسول الله ﷺ فى بعض عمره عند المروة فقلت يا رسول الله إنى امرأة أبیه وأشتري فإذا أردت أن أبتاع الشيء سمت به أقل مما أريد ثم زدت ثم زدت حتى أبلغ به ما أريد وإذا أردت أن أبيع الشيء سمت به أكثر من الذى أريد ثم وضعت حتى أبلغ الذى أريد فقال رسول الله ﷺ لا تفعلى يا قيلة إذا أردت أن تبتاعى شيئاً فاستامى به الذى تريدین أعطيت أو منعت وقال إذا أردت أن تبيعى شيئاً فاستامى به الذى تريدین أعطيت أو منعت ا هـ.

والحديث قد اشتمل على مسألة مهمة من مسائل البيع والشراء وقد ابتلى كثير من الباعين والمشتريين بما سألت عنه هذه الصحابة فإن الباع غالباً يطلب زيادة عن ثمن المثل والمشتري يدفع أنقص من ثمن المثل (وحكمه) أن الباع إذا طلب الزيادة ليغر المشتري ويبيعه بزيادة عن ثمن المثل فهو حرام وإذا

طلب الزيادة ليوصل المستام إلى ثمن المثل فقط فهذا محل توقف في التحريم .

ورأيت لبعض أفاضل متأخرى فقهاء تفصيلا حسناً في مسألة النجش المنهى عنه في الصحيح في قوله لا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تناجشوا الخ أن النجش حقيقته أن يزيد في ثمن السلعة لا يريد الشراء بل يريدان يغير المشتري بذلك فهى الشارع عن ذلك (وأما إذا زاد) لتصل السلعة إلى ثمن المثل فلا بأس بذلك اهـ (فلا يبعد) أن تكون مسألتنا هذه من هذا القبيل والله أعلم بمراد رسوله والسلامة في اتباع ما أمر به النبي ﷺ واجتناب ما نهى عنه والله أعلم (ومن المسائل) التى مرت بنا بالحرم النبوى أن رجلاً أديباً كان يداوم تلاوة الحصن الحصين فسألتى مرة عن ضبط ألفاظ الحديث المشهور وهو قوله ﷺ سبق المفردون قيل وما المفردون يا رسول الله قال المستهترون فى ذكر الله يضع الذكر عنهم أثقالهم فيأتون يوم القيامة خفاً فقلت له أن الحديث صحيح كما فى شرح العزيزى وغيره (وضبطه هكذا) المفردون اسم فاعل أى المفردون المعتزلون عن الناس للتعبد اهـ والمستهترون اسم فاعل أى المولعون بالذكر .

ذكر حديث قال حسين يدخل إلى السوق؛

ومن غريب ما مر بنا فى حال قراءة لسنن الحافظ القزوينى أيضاً ما رواه مسنداً إلى ابن وهب قال قال لى العداء بن خالد ألا نفر بك كتاباً كتبه لى النبي ﷺ قال قلت بلى فأخرج لى كتاباً فإذا فيه هذا ما اشترى العداء بن خالد من محمد رسول الله اشتراء عبداً أو أمة لأداء ولا غائلة ولا خبثة بيع المسلم للمسلم اهـ وقوله لأداء هو المرض أو العيب الباطن والغائلة السرقة

والزنا والخبثة الحرام أى أنه ليس برقيق وفى السنن أيضاً ما رواه مسنداً إلى ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال من قال حين يدخل السوق لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حى لا يموت بيده الخير وهو على كل شىء قدير كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة وبني له بيتاً فى الجنة ا هـ .

والعجب من صاحب الحواشى كيف سكت عن الكلام على هذا الحديث^(١) وهو أمر مهم من حيث الإسناد فكان عليه أن يبحث فيه فإنه ذكر فيه أنه رواه عن سالم عن أبيه وهو عبد الله بن عمر عن جده وهو عمر فسكوت المحشى عجيب والله يغفر له فتعين البحث عنه فى مظانه والله أعلم (وفى السنن) أيضاً ما رواه مسنداً إلى سلمان عن النبي ﷺ أنه قال من غدا إلى صلاة الصبح غدا براية الإيمان ومن غدا إلى السوق غدا براية إبليس ا هـ ولعله مع ضعفه محمول على من غدا إلى السوق بدون صلاة الصبح ا هـ .

وذكر المحشى أنه ينبغى أن لا يدخل السوق إلا لضرورة ا هـ^(٢) وفى السنن أيضاً ما رواه مسنداً إلى واثلة بن الأسقع عن النبي ﷺ أنه قال من باع عيباً لم يبيته لم يزل فى مقت الله والملائكة تلعنه ا هـ وهو محمول على من علم العيب وكتمه تدليساً على المشتري (وههنا مسألة مهمة وهى أن من باع شيئاً معيماً واشترط البراءة من كل عيب ورضى المشتري بذلك فهل يكفى

(١) أقول أن هذا الحديث خرج فى مشكاة المصابيح وقال رواه الترمذى وابن ماجه زاد فيه ورفع له ألف ألف درجة وزاد شارح المصابيح وكذا أحمد والحاكم وابن السنى وقال الترمذى هذا حديث عزيز ا هـ مؤلف .

(٢) وقد جاء فى ذم الأسواق فى قوله عليه السلام شر البلاد أسواقها وخير البقاع المساجد صحيح ا هـ مؤلف .

البائع ذلك أم لا بد له من بيان العيب حتى يبرأ من العهدة أما مذهب الإمام أحمد فلا تكفى البراءة من كل عيب حتى يبين العيب ومذهب السادة الحنفية خلاف ذلك فليراجع والله أعلم.

(فصل فى ذكر مسائل تقدمت معنا) حال قراءتنا بالحرم النبوى لخصه فى صحيح البخارى منها قصة صلواته عليه السلام على بن أبى راس المنافقين وملخص القصة أن عبد الله بن أبى بن سلول لما توفى جاء ولده عبد الله وكان من فضلاء الصحابة وخيارهم إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله أعطنى قميصك أكفن فيه أبى وصل عليه واستغفر له فأعطاه النبى ﷺ قميصه وقال له أذننى أصلى عليه فأذنه فلما أراد أن يصلى عليه جذبه عمر فقال أليس الله نهاك أن تصلى على المنافقين فقال عليه السلام أنا بين خيرتين قال الله تعالى أستغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله ثم قال لأزيدن على السبعين وصلى عليه بعد أن كفنه فى قميصه ونفث فيه أى فى جسده من ربة فتزلت ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره الآية ١ هـ من البخارى.

مطلب فيما أشكل من الصلاة على ابن أبى:

واستشكل فى هذه القصة أمور منها أن ولده عبد الله كان من المخلصين فكيف طلب من النبى ﷺ أن يحضر أباه وأن يكفنه فى قميصه (والجواب) لعل ابنه كان يحمل أمر أبيه على ظاهر الإسلام فلذلك التمس من النبى ﷺ أن يحضر عنده وأن يصلى عليه لا سيما وقد ورد ما يدل على أن ذلك كان يعهد من أبيه (فأخرج) عبد الرازق والطبرى عن قتادة أنه قال أرسل عبد الله بن أبى إلى النبى ﷺ فلما دخل عليه قال له أهلك حب يهود قال رسول الله

إِنَّمَا أُرْسِلْتُ إِلَيْكَ لِتَسْتَغْفِرَ لِي وَلَمْ أُرْسَلْ إِلَيْكَ لِتُؤَيِّدَنِي ثُمَّ سَأَلَهُ قَمِيصَهُ أَنْ يَكْفِنَ فِيهِ أَهـ .

وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ عَنْ عِكْرَمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ لَمَّا مَرَضَ ابْنُ أَبِي جَاهٍ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ لَهُ أَمِنَ عَلَيَّ فَكَفَّنِي فِي قَمِيصِكَ وَصَلَّ عَلَيَّ .

قَالَ الْحَافِظُ بْنُ حَجْرٍ وَلَعَلَّهُ أَرَادَ بِذَلِكَ دَفْعَ الْعَارِ عَنْ وَلَدِهِ وَعَشِيرَتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ فَأَظْهَرَ الرِّغْبَةَ فِي صَلَاةِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَيْهِ وَقَدْ وَقَعَتْ إِجَابَتُهُ إِلَى سَوْأَلِهِ عَلَيَّ حَسْبَ مَا أَظْهَرَ مِنْ حَالِهِ إِلَى أَنْ كَسَفَ اللَّهُ الْغَطَاءَ عَنْ ذَلِكَ فَأَنْزَلَ فِيهِ مَا أَنْزَلَ أَهـ (وَهَذَا مِنْ أَحْسَنِ) الْأَجْوِبَةِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِهَذِهِ الْقِصَّةِ أَهـ مِنْ الْقِسْطَلَانِيِّ .

الْأَمْرُ الثَّانِي كَيْفَ أَعْطَاهُ النَّبِيُّ ﷺ قَمِيصَهُ وَصَلَّى عَلَيْهِ مَعَ عِلْمِهِ بِمَا فِيهِ مِنَ النِّفَاقِ وَالْمَدَاوَةِ لِرَسُولِ اللَّهِ وَلِدِينِ الْإِسْلَامِ وَالْجَوَابُ أَنَّ ذَلِكَ فَعَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِكْرَامًا لَوْلَدِهِ فَإِنَّهُ مِنَ الْمَخْلُصِينَ وَمُكَافَأَةُ لِبْنِ أَبِي حَيْثَ أَلْبَسَ الْعَبَّاسُ قَمِيصَهُ يَوْمَ بَدْرٍ حِينَ أَخَذَ أُسِيرًا وَلَمْ يَجِدُوا لَهُ قَمِيصًا يَصْلِحُ لَهُ غَيْرَ قَمِيصِ ابْنِ أَبِي أَوْ لِأَنَّهُ ﷺ مَا سُئِلَ شَيْئًا قَطُّ فَقَالَ لَا أَمُّ أَنْ ذَلِكَ قَبْلَ نَزْوِلٍ وَلَا تَصَلَّ عَلَيَّ أَحَدٌ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا الْآيَةُ (وَقَدْ تَرْتَبَ) عَلَيَّ هَذَا الْفِعْلُ الْجَمِيلُ أَنْ تَابَ الْمُنَافِقُونَ عَنْ عَشِيرَتِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

الْأَمْرُ الثَّلَاثُ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي وَقَعَ فِيهَا الْأَشْكَالُ فِي الْقِصَّةِ قَوْلُ عُمَرَ كَيْفَ تَصَلَّى عَلَيْهِ وَقَدْ نَهَاكَ أَنْ تَصَلَّى عَلَيَّ (الْمُنَافِقِينَ وَآيَةُ النَّهْيِ مُتَأَخِّرَةٌ عَنِ الْقِصَّةِ) (وَأَجَابَ) الشَّارِحُ بِقَوْلِهِ وَفَهُمُ عُمَرُ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ الْخِ لَأَنَّهُ لَمْ يَتَقَدَّمْ نَهْيٌ عَنِ الصَّلَاةِ عَلَيَّ الْمُنَافِقِينَ لِأَنَّ آيَةَ وَلَا تَصَلَّ عَلَيَّ أَحَدٌ مِنْهُمْ الْخِ نَزَلَتْ فِي أَثْنَاءِ الْقِصَّةِ .

وفى رواية فى الصحيح قال عمر تصلى عليه وقد نهاك الله عن الاستغفار لهم .

بيان قوله عليه السلام بين خبرتين:

الأمر الرابع قوله عليه السلام لعمر أنا بين خبرتين يشير إلى قوله تعالى استغفر لهم أو لا تستغفر لهم فأين التخبير وكيف الجمع بين الآيتين (والجواب) أن البيضاوى فى تفسيره قال يريد التساوى بين الأمرين أى الاستغفار وعدمه أهـ أى ولم يرد الأمر الحقيقى فلعل التخبير بحسب الصورة وأما الجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين الخ فلعل الجواب أن الاستغفار المنهى عنه للمشركين هو الاستغفار المقرون برجاء الإجابة (وأما الاستغفار) للمنافقين فإنه كان باللسان فقط قصد به تطيب خاطر عشيرته وولده فهو استغفار لسان هكذا يفهم من القسطلانى والله أعلم بمراه .

مسئلة أحد أدباء دمشق عن آية من كتاب الله تدل على أن الله فضل نبيه على جميع الأنبياء:

ومنها أى الأمور التى تقدمت معنا بالمدينة المنورة أن رجلا أديباً فاضلا من دمشق ينسب إلى بيت العطار سألنى عن أمر مهم عنده وملخصه أنه اطلع على رسالة لبعض فضلاء مصر مضمونها تفضيل المسيح على خاتم الأنبياء وأنه أخذ ذلك من القرآن فإنه ذكر فى القرآن أن المسيح من المقربين ولم يذكر ذلك لنبينا عليه السلام وطلب منى آية تدل على أن النبي ﷺ فضله الله على الأنبياء (فقلت) له أن الدلالة على تفضيله على الأنبياء تؤخذ من القرآن إجمالاً وذلك أن الله ختم به النبوة وعمم رسالته وكثر أتباعه وجعل شرعه

ناسخًا لا ينسخ إلى يوم القيامة وبهذه المزايا استدل علماء الأمة الإسلامية على ما أجمعوا عليه فطلب زيادة بيان على ذلك فقلت له أنه عليه السلام أخبر أن الله فضله على الأنبياء بمزايا ذكرها في أخباره الصحيحة وصرح في القرآن الكريم بأنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى (وقال) تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه فما صح عنه عليه السلام فهو واجب يوحى (وقال) تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه فما صح عنه عليه السلام فهو واجب القبول ودلالته قطعية بنص القرآن عند من أيقن بأنه كلام الرسول فسلم واطمأن لذلك وطلب الوقوف على تلك الأخبار ليكون على مزيد طمأنينة وكمال اعتبار (فأخبرته) بأنه صح عن النبي ﷺ أنه قال فضلت على الأنبياء بست أعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب مسيرة شهر وأحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلى وجعلت لى الأرض طهوراً ومسجداً وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بى النبيون رواه مسلم فى صحيحه بأسانيد صحيحة عن أبى هريرة ورواه الترمذى أيضاً.

وقال النبي ﷺ فضلت على الأنبياء بخمس بعثت إلى الناس كافة وذخرت شفاعتى لأمتى يوم القيامة ونصرت بالرعب وجعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً وأحلت لى الغنائم رواه الطبرانى عن السائب بن يزيد.

وقال النبي ﷺ فضلت بأربع جعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً وأرسلت إلى الناس كافة ونصرت بالرعب وأحلت لى الغنائم رواه البيهقى عن أبى أمامة.

وأما ما ورد بمعنى هذه الأحاديث فكثير كقوله ﷺ قال لى جبريل عليه السلام قلبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أجد رجلاً أفضل من محمد ﷺ

وقلبت مشارق الأرض ومغاريها فلم أجد فى بنى أب أفضل منى بنى هاشم
رواه الحاكم وابن عساكر .

وقال نجم الدين الفيطى فى قصة المعراج ثم أتى بالبراق مسرجاً ملحماً
فاستصعب عليه فوضع جبريل يده على معرفته ثم قال ألا تستحى يا براق
فوالله ما ركبك خلق أكرم على الله من محمد ﷺ .

وفى الشفا ما هو مروى بسند القاضى عياض بذكر شيوخه إلى أن قال
حدثنا أبو عيسى بن سورة الحافظ أى وهو الترمذى صاحب السنن عن إسحاق
بن منصور رعن عبد الرازق عن معمر عن قتادة عن أنس قال أتى النبى ﷺ
ليلة أسرى به بالبراق مسرجاً ملحماً فاستصعب عليه فقال له جبريل أجمد
تفعل هذا فما ركبك أحد أكرم على الله منه قال فأرفض البراق عرفاً ا هـ .

إذا تقرر ذلك تبث بأخباره الصحيحة أن الله فضله على الأنبياء بما
خصه به من أنواع الكرامات وبما أعطاه من الفضائل والمعجزات وفى القرآن
الكريم من ذلك ما لا يحصى .

وفى التوراة من أوصافه الكريمة ما صح نقله عن عبد الله بن عمرو بن
العاص وذلك أن عطاء بن يسار قال له أخبرنى عن صفة رسول الله ﷺ فى
التوراة فقال أجل إنه لموصوف فيها ببعض صفته فى القرآن يا أيها النبى إنا
أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأميين أنت عبدى ورسولى سميتك
المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولأصحاب فى الأسواق ولا يدفع بالسيئة ولكن
يعفو ويغفر وأن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا
الله ويفتح برسالته أعينا عمياً وآذاناً صماء وقلوباً غلفا ا هـ .

ونقل ابن إسحاق وغيره عن عبد الله بن سلام وكعب الأحبار مثل ما

تقدم عن عبد الله بن عمرو وفي بعض الطرق عند ابن إسحاق ولا صخب في الأسواق ولا متزين بالفحش ولأقوال للخناء أسدده لكل جميل وأهب له كل خلق كريم واجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة معقولة والصدق مقوله والوفاء طبيعته والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق شريعته والهدى أمامه والإسلام ملته وأحمد اسمه أهدى به بعد الضلالة وأعلم به بعد الجهالة والرفع به بعد الخمالة وأمسى به النكرة وأكثر به بعد القلة وأغنى به بعد العيلة وأجمع به بعد الفرقة وألف به بين قلوب مختلفة وأهواء متشتة وأمم متفرقة واجعل أمته خير أمة أخرجت للناس اهـ.

مطلب مقالة الوهابية والجواب عنها:

ولما فرغنا من تحرير هذه المقالة حصل لنا اجتماع مع جماعة من أذكيا نجد الذين يمارسون الوهابية ويأخذون منهم كلمات يجعلونها كالدليل لما ذهبوا إليه من نسبة الشرك إلى الأمة المحمدية وأنا مع كراهتي لسماع تلك الترهات والأباطيل كنت ألاحظهم بالمقال وأقيم الأدلة القطعية على ما ذهب إليه أهل الحق من جماهير الأمة المحمدية الذين نور الله بصائرهم وأرشد مقاصدهم وأدلتهم واضحة كالشمس في رابعة النهار لا يزيغ عنها إلا هالك ساقط في النظر السديد والاعتبار فبدا من فلتات ألسنتهم أنهم يسمعون من المؤذنين لفظ سيدنا ومولانا محمد فيقولون أن النبي محمد ﷺ ما رضى بذلك.

مسئلة قوله عليه السلام السيد نبي الله:

فأحبيت بسط هذه المسألة وبيان الحق فيها وهو أنه ورد أن النبي ﷺ قال السيد الله قال العلقمي وأوله وسببه وتماهه كما في أبي داود عن مطرف بن

عبد الله بن الشخير عن أبيه قال انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله ﷺ فقلت له أنت سيدنا فقال السيد الله تبارك وتعالى فقلنا وأنت أفضلنا فضلا وأعظمتنا طولا فقال قولوا بقولكم أو بعض قولكم ولا يستجربنكم الشيطان أي لا يستغلبنكم الشيطان ويستبعكم له فيتخذ كل واحد منكم جريا اهـ (١).

وقوله وقولوا بقولكم أو بعض قولكم أي قولوا أنت رسول الله أنت نبي الله أنت عبد الله ورسوله الخ وإنما منعهم من أن يدعوه سيداً مع قوله أنا سيد آدم ولا فخر ومع قوله للأنصار قوموا إلى سيدكم من أجل أنهم قوم حديث عهدهم بجاهلية فخشى عليهم من ذلك وكانوا في الجاهلية يعظمون رؤساءهم وينقادون لأمرهم فقال لهم قولوا بقول أهل ملتكم يا رسول الله يا نبي الله أدعوني نبياً ورسولاً كما سماني الله في كتابه ولا تسموني سيداً كما تسمون رؤساءكم وعظماءكم إنما سادوكم بأسباب دنيوية وأنا إنما أسودكم بالنبوة والرسالة.

وهذا من تواضعه ﷺ (ولما) أمره الله تعالى أن يخبر أمته بأنه سيد العالمين وأفضل الخلق أجمعين امتثل أمر ربه وبلغ ذلك لأمته ﷺ أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا وأنا خطيئهم إذا وفدوا وأنا مبشرهم إذا أيسوا لواء الحمد يومئذ بيدي وأنا أكرمكم ولد آدم على ربي ولا فخر رواه الترمذي في سننه عن أنس بإسناد صحيح.

وقال ﷺ: أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع حديث صحيح رواه مسلم في صحيحه وأبو داود في سننه عن أنس وغيره.

(١) الجري الرسول والتابع اهـ.

وقال ﷺ: أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وييدى لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذٍ آدم فمن سواه إلا تحت لوائى ولا فخر وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر رواه الإمام أحمد والترمذى عن أبى سعيد بإسناد صحيح.

إذا وقفت على ما قدمناه من الأحاديث الصحيحة علمت أن عدم رضاه ﷺ من قال له أنت سيدنا كان تواضعاً منه وكمال أدب وأما أخباره بأنه سيد للناس يوم القيامة ففائدة السيادة بيوم القيامة مع أنه سيدهم فى الدنيا والآخرة أن يوم القيامة يظهر فيه سؤده لكل أحد من الخلائق بحيث لا يبقى منازع وألا معارض فلا مفهوم له (وفائدة) أخباره بهذه الفضائل امثال أمر ربه حيث أمره بتبليغها لأمته لما يترتب على ذلك من وجوب اعتقادها وليرغب الناس فى الدخول فى دينه وتحديثاً بنعمة الله عليه قال تعالى وأما بنعمة ربك فحدث (ثم إن) إطلاق السيد والمولى والرب أيضاً مضافاً قد ورد فى الآيات والأحاديث فمن الآيات قوله تعالى وألфия سيدها لدى الباب وقوله تعالى ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن الخ وقوله تعالى ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً لا يقدر على شىء وهو كل على مولاه أى على سيده ومن الأحاديث قوله ﷺ: للأنصار قوموا إلى سيدكم ولا ينكر ذلك إلا غبى جاهل مبتدع فلا يعبأ به والله أعلم.

مسألة قوله ﷺ: إنما أقضى على نحو ما أسمع:

فصل فى ذكر أثر صحيح أورده الحافظ القزوينى فى سنته ومر بنا حال قراءتنا للسنن بالحرم النبوى ولفظه هكذا باب قضاء الحاكم لا يل حراماً ولا يحرم حلالاً وعبارة الفقهاء وحكم الحاكم لا يزيل الشىء عن صفته باطناً ثم

ذكر إسناده عن شيوخه إلى أم المؤمنين أم سلمة قالت قال رسول الله ﷺ إنكم تختصمون إلي وإنما أنا بشر ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض وإنما أقضى لكم على نحو مما أسمع منكم فمن قضيت له (١) من حق أخيه شيئاً فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من النار يأتي بها يوم القيامة اهـ من السنن. والذي في الجامع الصغير هكذا لفظه وإنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلي فلعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضى له على نحو ما أسمع فمن قضيت له بحق مسلم فإنما هي قطعة من النار فليأخذها أو ليتركها اهـ.

وأراد بقوله وإنما أنا بشر الرد على من يزعم أن من كان رسولا فإنه يعلم كل غيب حتى لا يخفى عليه المظلوم وفي قوله قضى على نحو ما أسمع إشارة إلى أنه لا يجوز للقاضي أن يحكم بعلمه وفيه خلاف بين الأئمة فبعضهم قال بالمنع مطلقاً وبعضهم قال بالجواز مطلقاً وبعضهم قال بالجواز في الأموال أى قال القضاء بالعلم وترك اليقينة في الأموال دون غيرها اهـ حاشية الحنفى ومذهب الإمام أحمد له أن يحكم بعلمه فى عدالة الشهود وعدمها دون غيرها.

وقوله فمن قضيت له بحق مسلم هو جريء على الغالب وإلا فالذمى والمعاهد كذلك (وقوله) فإنما هي قطعة من النار لضمير يعود إلى القضية أو الحكومة أى المأخوذ بها قطعة من النار أى ما قضيت به له بحسب الظاهر وهو فى الباطن لا يستحقه حرام عليه يؤول به إلى النار أو هو تمثيل يفهم منه شدة التعذيب، وقوله فليأخذها أو ليتركها ليس القصد منه التخيير وإنما هو تهديد كقوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر.

(١) نسخة فمن قضيت له بشيء من حق أخيه اهـ.

ثم هذا الحديث الصحيح صريح في أن حكم الحاكم لا يزيل الشيء عن صفته باطنًا ولا فرق في ذلك بين الأموال والعقود وغيرها كالأبضاع بل هي أولى بالاحتياط من غيرها وهذا عند الجمهور وقد نقل في شرح مسلم الإجماع على ذلك وقال خلافاً لأبي حنيفة وأتى بما لا حاجة لنا إلى ذكره هنا (وقال) السبكي في قوله فمن قضيت له بحق مسلم الخ هذه قضية شرطية لا تستدعي وجودها كقوله لئن أشركت ليحبطن عملك إذا لم يثبت لنا قط أنه ﷺ حكم بحكم ثم تبين خلافه (١).

(فصل) وقد مر بنا حال قراءتنا للسنن في الحرم النبوي حديث صحيح وهو قوله ﷺ ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم رجل على فضل ماء بالغلالة يمنعه من ابن السبيل ورجل بايع رجلاً بسامة أي ساومه فيها بعد العصر فحلف له بالله (٢) (لقد أعطى بها أكثر مما أعطى) فصدقه وهو على غير ذلك ورجل بايع إماماً لا يبایعه إلا لدنيا فإن أعطاه منها وفي له وإن لم يعطه منها لم يف له رواه حم والشيخان عن أبي هريرة اهـ.

ذكر ما ورد من النهي عن إسبال الإزار

فتكلم رجل من الحاضرين على الحديث الذي فيه ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يبزيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم المسيل إزاره والمنان الذي لا يعطى شيئاً إلا منه والمنفق سلعته بالحلف الكاذب رواه الإمام أحمد

(١) وقد صان الله أحكام نبيه عن ذلك مع أنه لو وقع أي أنه حكم بخلاف الصواب لم يكت فيه محذور أي لأنه يكون باجتهاد ولا يقر على الخطأ اهـ مؤلف.

(٢) لأخذها بكذا وكذا أي وهو كاذب.

عن أبي ذر وقال إن هذا مخصوص بإسبال الإزار فلا يتعدى إلى غيره كالشروال مثلاً وكان هذا من خيار الطلبة فأخبرته بأن هذا من سوء الفهم بدليل قوله عليه السلام من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة رواه الإمام أحمد والشيخان عن ابن عمر والثوب يشمل كل ملبوس وبدليل ما أسفل من الكعبين من الأزار ففى النار رواه خ ن عن أبي هريرة والحديث فيه حذف بعض الصلة لأن ما موصولة بمعنى الذى والتقدير ما كان أسفل فأسفل منصوب خبر كان المحذوفة الخ الوعيد المذكور مقيد بمن أسبله تكبراً وخيلاء (قال الحفنى) فى حاشيته الجامع الصغير قوله ما أسفل من الكعبين فى النار أى الجزء المخاذى للكعبين فى النار أى صاحبه حيث أسبله تكبراً وإلا فلا بأس به بل هو مطلوب لإشراف الناس فى بلادنا الآن اهـ.

وقوله بل هو مطلوب الخ فيه أن الفقهاء قالوا بکراهة التنزيه فى الإسبال لغير خيلاء ومع الخيلاء هو حرام فالبحرر فإنه مهم (ودليل الجواز) ما صح أن أبا بكر الصديق لما سمع قول النبى من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة فقال يا رسول الله إن أحد شقى ثوبى يسترخى إلا أن أتعاهد ذلك منه فقال رسول الله ﷺ إنك لست تصنع ذلك خيلاء اهـ من صحيح البخارى عن ابن عمر.

وفى الجامع الصغير ما نصه قال النبى ﷺ الإزار إلى نصف الساق أو إلى الكعبين لا خير فى أسفل من ذلك اهـ (قال شارحه) لأنه إن كان بقصد الخيلاء حرم وإلا كره رمز له حم عن أنس اهـ (وقال) ﷺ الإسبال فى الإزار والقميص والعمامة من جر منها شيئاً خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة رمز له دن هـ عن ابن عمر.

حكاية غريبة:

ومن غريب ما وقع لنا أن بعض أهل الفصل من طلبة العلم من جنس الأكراد رآنى على باب العمرة بمكة المشرفة وعلى ثياب رثة وقد غلبنى أمرها ونزلت عن الكعبين من غير أن يكون لى قصد ولا اختيار فخاطبني بالعربية الفصيحة وقال أما قرأت قوله تعالى وثيابك فطهر واغلظ لى فى المقال والله يغفر له فقلت له أترى ثيابى هذا تلبس للخيلاء وهى من أدون الثياب ولا يكون الإسبال حرامًا إلا مع الخيلاء كما هو منطوق الأحاديث الصحيحة الصريحة فقال قوله ﷺ ما أسفل من الكعبين فى النار وهو على العموم قلت له هو مطلق فيجب حمله على المقيد من ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه .

ثم إن حديث الصديق صريح فيما قلناه وهو قول النبى له حين قال له يا رسول الله إن أحد شقى ثوبى يسترخى إلا أن أتعاهد فقال له النبى ﷺ إنك لست تصنع ذلك يا أبا بكر خيلاء فعند ذلك قال لى أنت رجل جاهل وهز رأسه فقلت نحن بحرم رب العالمين ولا تنبغى السفاهة ولا الجدال انصرف عنى بسلام فانصرف والله يغفر له فإنه ما أراد بذلك إلا النصيحة والخبر انتهى .

وقد ذكرت هذه الحكاية هنا لما يترتب عليها من حكم شرعى فإننا كنا نرى من إخواننا الموسمين بطلب العلم فى البلاد الشامية وغيرها من البلاد الإسلامية من يسحب ثيابه خلفه ويظهر عليه أثر الخيلاء ولا يبالون بذلك والله أعلم بما هنالك والوعيد على ذلك شديد والنهى عنه أكيد فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم والله الموفق والمعين لا رب لنا سواه ولا نعبد ولا نقصد إلا إياه وهو حسبنا ونعم الوكيل .

مسئلة قوله تعالى قل للذين كفروا... الآيه:

فصل ومن المسائل العلميه ما مر بنا حال قراءتنا في تفسير قوله تعالى قل للذين كفروا أن يتسوها يغفر لهم ما قد سلف فقال بعض الأدباء من الحاضرين هذا عمومه يتناول جميع الذنوب الكلية والجزئية فقلت له إن هذا المقام يحتاج إلى تحقيق المسألة فإن فيها تفصيلاً وأبحاثاً طويلة.

وملخص مذهب الإمام أحمد أن الكافر الحربي إذا أسلم وجاءنا تائباً نادماً يغفر ما قد سلف من سائر الذنوب كما هو منطوق الآية الكريمة وصريح حديث عمرو بن العاص قوله ﷺ أما علمت يا عمرو أن الإسلام يجب ما كان قبله وأن الهجرة تجب ما كان قبلها وأن الحج يجب ما كان قبله وهو في الصحيح ولفظ الصحيح يهدم فليحذر.

وصريح قوله ﷺ إذا أسلم العبد فحسن إسلامه يكفر الله عنه كل سيئة كان أزلفها وكان بعد ذلك القصاص الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف والسيئة بمثلها إلا أن يتجاوز الله عنها خ ن عن أبي سعيد الخدري.

وها هنا مسائل:

الأولى في معنى قوله فحسن إسلامه قالوا بأن دخل في الإسلام باعتقاد حسن وإخلاص ويكون دخوله فيه الباطن والظاهر.

الثانية في قوله يكفر الله عنه كل سيئة كان أزلفها قال الحنفى في حاشيته قوله كل سيئة اى من الصغائر والكبائر من الحقوق المالية ككفارة القتل والظهار أولاً (أقول إن) حملة السيئة على العموم غير ظاهر فإنه يتناول حقوق الأدميين وجميع التبعات وفي المسألة خلاف ويتناول كل من أسلم من الذمى

والمعاهد والمستأمن وإسلامهم إنما يكفر عنهم حقوق الله دون حقوق العباد من التبعات نعم إن حمل العبد الذى أسلم على الحربى فهو صحيح كما هو مقرر فى الفقه والله أعلم.

مسئلة الكافر إذا أسلم:

الثالثة فى قولهم أن العبد إذا أسلم وحسن إسلامه يثاب على أعماله الحسنة التى قدمها فى الكفر مع أن الكافر لا نية له فعمله غير صحيح وأجيب كما قال النووى الصواب الذى عليه المحققون إن الكافر إذا فعل أفعالاً جميلة كالصدقة وصلة الرحم^(١) ثم أسلم ومات على الإسلام فإن ذلك يكتب له ثواباً وهو من باب الفضل ودليله حديث حكيم ابن حزام قال قلت يا رسول الله أرأيت أشياء كنت أتحنث بها فى الجاهلية من صلة وعق هل لى فيها من أجر قال له أسلمت على ما أسلفت من خير اهـ والله أعلم.

وحاصل ما وقفنا عليه أن الحربى إذا أسلم سقطت عنه جميع الحقوق الدينية والمالية وإن الذمى إذا أسلم سقطت حقوق الله عنه دون حقوق العباد من مال أو قصاص أو تبعة فيؤخذ بجميع ذلك وقد أخذ النبى ﷺ اليهودية التى سمت له الشاة بالقصاص حيث مات الذى أكل معه من الأنصار وقد كان عفى عنها لحق نفسه وقصتها شهيرة وهى من أهل الذمة راجع الشفا^(٢).

وفى الفقه الحنبلى أن الذمى إذا أسلم حرم قتله لنقضه العهد ولو لسبه النبى ﷺ ويستوفى منه ما يقتضيه القتل إذا أسلم وقد قتل من قصاص أو دية لأنه حق آدمى ولا يسقط عنه بإسلامه كسائر حقوق الأدميين وقيل يقتل

(١) أى كالصلاة والصيام.

(٢) وفيه أنه عفا عنها ثم قال وقيل قبلها.

الذمى إذا أسلم وقد كان سب النبي ﷺ فيقال بكل حال اختاره جمع منهم ابن أبى موسى وابن البنا والسامرى واختاره الشيخ وقال هو الصحيح من المذهب.

قال قى المبدع: ونص عليه الإمام أحمد لأنه قذف لميت فلا يسقط بالتوبة وقال أن سبه حربى ثم تاب بإسلامه قبلت توبته إجماعاً لقوله تعالى قل للذين كفروا أن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وللحديث الصحيح الإسلام يجب ما قبله اهـ من الإقناع وشرحه.

وفى المنتهى وشرحه ويحرم قتله أى الذمى لنقضه العهد أن أسلم ولو كان سب النبي ﷺ لعموم حديث الإسلام يجب ما قبله وأما قازفه عليه الصلاة والسلام فيقتل بكل حال كما يأتى فى القذف اهـ ففرق بين المسبة والقذف والمسبة بغيره كما ترى والله أعلم.

ذكر الجواب عن قوله عليه السلام لو لم تؤثروا لكان أحسن؛

فصل ومن الأحاديث الصحيحة ما مر معنا فى السنن وقد أشكل فهم معناه على كثيرين حتى أن أديباً من الأديباء اشتد إنكاره على أحد الطلبة حين ذكره حتى هم أن يوقع به ما لا يطيق وهو قوله ﷺ للأَنْصار حين قدم المدينة ورآهم يؤبرون النخل أو يلحقون النخل فقال لهم لعلكم لو لم تفعلوا ذلك لكان خيراً فتركوه فنقضت الثمار أو نفضت فذكروا له ذلك فقال إنما أنا بشر إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به وإذا أمرتكم بشيء من أمر دنياكم فإنما أنا بشر أخطئ وأصيب فيما لا يتعلق بالدين وفى رواية أنه قال لهم إنما ظننت ظناً فلا تؤاخذونى بالظن ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئاً فخذوا به أنتم بأمر دنياكم اهـ.

قال العلماء: ولم يكن هذا القول خبيراً وإنما كان ظناً ورأيه عليه السلام في أمر المعاش وظنه كغيره فلا يمتنع وقوع مثل هذا منه عليه السلام ولا نقص في ذلك والحديث رواه مسلم والنسائي عن رافع بن خديج.

والمشكل في هذه القصة حمل قوله تعالى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى على العموم وهو مخصص بأمر التبليغ والتشريع وقد أخبر عليه الصلاة والسلام عن أشياء كثيرة مستقبله فوعت كلها كما أخبر لم يتخلف منها خبر واحد كقوله عليه الصلاة والسلام إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده وقيصر ليهلكن ثم لا يكون قيصر بعده أى بالشام والذى نفسى بيده لتنفقن كنوزهما فى سبيل الله عز وجل منتزعه عليه وقد وقع الأمر كما أخبر.

وقال عليه السلام: اعتذاراً عن قضية الأنصار إنما أنا بشر مثلكم ووزن الظن يخطئ ويصيب ولكن ما قلت لكم قال الله فلن أكذب على الله عز وجل رواه حم ه عن طلحة ه أى لا يقع منى فيما أبلغه عن الله عز وجل غلط ولا سهو وأما أمور الدنيا التى لا تعلق لها بالدين فأنا فيها واحد من البشر وقد كان عليه السلام معروفاً بالصدق والأمانة ومجانبة أهل الكذب والخيانة وكان يسمى بالصادق وبالأمين يشهد له بذلك كل من عرفه وإن كان من أعدائه كما علم ذلك فى سيرته والله أعلم.

مسألة ما اشتهر عن الإمام أحمد فى لعن يزيد:

فصل فى ذكر بعض ما سبق لنا من المسائل العلمية والمباحث الأدبية فى بعض الأيام جرت مذاكرة مع بعض الفضلاء فى ما هو مسموع عن الإمام أحمد فى جواز لعن يزيد بن معاوية هل ذلك صحيح عنه أم لا فقلت له

الذى وقفنا عليه من ذلك أن صاحب الفروع نقل عن الأصحاب أنهم صححوا رواية السكوت والوقوف عن لعن يزيد لأن النبي ﷺ نهى عن لعن المصلين هذا المذهب المتصور عند الأصحاب وقد اشتهرت رواية صالح بن الإمام أحمد عن أبيه في جواز لعن يزيد كما يأتي بيان ذلك .

فقد روى بعض المحققين وذكر في بعض كتبه ما هذا لفظه أن العلماء اتفقوا على فسق يزيد ثم بعد اتفاقهم على فسقه اختلفوا في جواز لعنه بخصوص اسمه فأجازوه قوم منهم الحافظ بن الجوزى البغدادى ونقله عن الإمام أحمد بن حنبل مع ورعه .

ثم روى الحافظ المذكور وقال في كتابه المسمى بالرد على المتعصب العنيد المانع من ذم يزيد ما هذا لفظه سألت سائل عن يزيد بن معاوية فقلت له يكفيه ما به أيجوز لعنه فقلت له قد أجازوه العلماء الورعون منهم الإمام أحمد بن حنبل فإنه ذكر في حق يزيد ما يدل على جواز لعنه .

ثم روى الحافظ المذكور عن القاضى أبى يعلى أنه روى في كتابه المعتمد فى الأصول بإسناده إلى صالح بن الإمام أحمد أنه قال قلت لأبى أن قومًا ينسبوننا إلى تولى يزيد بن معاوية فقال يا بنى وهل يتولى يزيد أحد يؤمن بالله واليوم الآخر فقلت وهل يلعن فقال ولم لا يلعن وقد لعنه الله ف يكتبه فقلت وأين لعنة الله فى كتابه فقال فى قوله تعالى فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله وأى فساد وأى قطيعة أعظم مما فعل يزيد .

ثم قال الحافظ بن الجوزى وقد صنف القاضى أبو يعلى كتابًا وذكر فيه من يستحق اللعن ثم ذكر منهم يزيد وذكر حديث النبي ﷺ أنه قال من أخاف

أهل المدينة ظلمًا أخافه الله يوم القيامة وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين (ولا خلاف) أن يزيد أخاف أهل المدينة ظلمًا حين غزاهم بجيش عظيم في وقعة الحرة قال في الصواعق والحديث الذى ذكره أبو يعلى رواه مسلم فى صحيحه .

وروى ابن حبان فى صحيحه عن جابر بن عبد الله قال قال النبى ﷺ من أخاف أهل المدينة ظلمًا أخافه الله يوم القيامة وعليه لعنة الله وغضبه .

وروى الإمام أحمد عن جابر أيضًا أن النبى ﷺ قال من أخاف أهل المدينة ظلمًا فقد أخاف ما بين جنبي .

قال الحنفى فى حاشيته وناهيك بوعيد من أخاف قلب النبى ﷺ فليتبته لذلك فإنه مهم والله أعلم وبعد تمام هذه المقولة وإثباتها وقع البحث هل ورد عن الشارع أنه ذكر يزيد فى شىء من الآثار بمدح أو ذم .

إخباره عليه السلام أن هلاك أمته يكون على يدي غلمة... إلخ:

فقلت أنه عليه الصلاة والسلام ورد عنه فى الصحاح أنه قال هلاك أمتى على يدي غلمة من قریش ينزون على منبرى اهد والمراد بالأمة أهل زمانهم (وصح) عن أبى هريرة أنه كان يدعو اللهم لا تدركنى سنة الستين وفى رواية عنه فى الصحيح اللهم إنى أعوذ بك من رأس الستين وإمارة الصبيان فكانت ولاية يزيد الستين وقد استجاب الله دعاء أبى هريرة فمات قبل ذلك وإنما استعاذ منها لما علم من قبيح أفعال يزيد بواسطة أعلام النبى ﷺ له .

وصح عن أبى هريرة أيضًا أنه قال حفظت عن النبى ﷺ دعاء من العلم فأما أحدهما فتمته لكم وأما الآخر فلو بثمة لقطع منى هذا الخلقوم .

قال العلماء أراد بالأول ما فيه التشريع والأحكام وبالثاني ما فيه الأخبار عن أمراء السوء من بنى أمية الذين بدلوا سنة النبي ﷺ ولا يلتفت لمن فسره بأنه علم الإشارات والأسرار المصان عن الأغيار فإنه تأويل بعيد (وفى الزواجر للعلامة ابن حجر ما لفظه وعلى القول بأن يزيد كان مسلماً لكنه فاسق شرير سكير ظالم جائر ثم قال (أخرج) أبو يعلى فى مسنده عن أبى عبيدة أنه قال قال رسول الله ﷺ لا يزال أمر أمى قائماً بالقسط حتى يكون أول من يثلمه رجل من بنى أمية يقال له يزيد.

مسألة عن يزيد هل ورد ذمه فى الأحاديث أم لا:

وأخرج الرومانى فى مسنده عن أبى الدرداء قال سمعت النبى ﷺ يقول أول من يبدل سنتى رجل من بنى أمية يقال له يزيد (قال) فى الزاجر وفى هذين الحديثين دليل وأى دليل لما قدمته أن معاوية ليست خلافته من بعده من بنى أمية فإنه ﷺ أخبر أن أول من يثلم أمره /ته ويبدل سنته يزيد فافهم ذلك أن معاوية لم يثلم أمر أمته ولم يبدل سنته وهو كذلك لما مر أنه مجتهد اهـ كلام الزواجر.

فإن قال قائل أنه صح أن النبى ﷺ قال أول جيش من أمى يركبون شيخ هذا البحر قد أوجبوا وأول جيش من أمى يغزون مدينة قيصر مغفور لهم حديث صحيح رواه الإمام أحمد ومسلم وغيرهما عن أم حرام بنت ملحان (فالجواب) أن العلماء قالوا لا يلزم من مدح الجيش مدح أميرهم فإن الجيش كان من أفاضل الصحابة وسادات التابعين وكان يزيد أميراً لذلك الجيش وليس أهلاً للمغفرة فإنه خرج بدليل خاص.

وفى العزيزى ما هذا لفظه عند شرحه لهذا الحديث قال المهلب فيه منقبة

ليزيد بن معاوية لأنه أول من غزا مدينة قيصر فإنه كان أمير الجيش بالاتفاق وتعقبه ابن التين وابن المنبر بما حاصله أنه لا يلزم من دخوله في ذلك العموم أن لا يخرج منه بدليل خاص إذ لا خلاف بين أهل العلم في أن قوله ﷺ مغفور لهم بشرط أن يكونوا من أهل المغفرة حتى لو ارتد واحد من غزاها بعد ذلك لم يدخل في ذلك العموم اتفاقاً.

وقال شيخ الإسلام زكريا استدل بذلك على ثبوت خلافة يزيد بعد معاوية وأنه من أهل الجنة لدخوله في عموم قوله ﷺ مغفور لهم (وأجيب) بأنه لا يلزم من دخوله فيه أن لا يخرج منه بدليل خاص إذ لا خلاف أنه قوله مغفور لهم مشروط بكونه من أهل المغفرة وي زيد ليس كذلك حتى أطلق بعضهم جواز لعنه لأمره بقتل الحسين ورضاه به حتى قال التفتازاني بعد ذكره نحو ذلك والحق أن رضا يزيد بقتل الحسين واستبشاره بذلك وإهانتة أهل بيت النبوة مما تواتر معناه وإن كان تفاصيله أحاداً فنحن لا نتوقف في شأنه بل في إيمانه فلعنة الله عليه وعلى أنصاره وأعوانه (وخالف) في جواز لعن المعين الجمهور أعني القائلين بعدم جوازه وإنما يجوزونه على وجه العموم كما يقال لعن الله الظالمين وقوله بل في إيمانه أى بل لا نتوقف في عدم إيمانه بقريظة ما بعده وما قبله اهـ.

وقيل ابن حجر الهيتمي في شرحه على الهمزية وقد قال أحمد بن حنبل بكفره وناهيك به ورعا وعلماً اهـ وتوقف واختار جمع منهم ابن أبي شريف والغزالي وابن العربي المالكي التوقف في أمره انتهى كلام العزيزي في شرحه على الجامع الصغير.

سؤال بعض الشيعة عن قوله ﷺ أما ترضى أن تكون منى الخ:

- فصل في ذكر قضية سبقت معنا حين قدر لنا الاجتماع بشريف من أشرف المدينة الذين يسكنون العوالي بمنزل بعض أصحابنا بالمدينة وملخص ذلك أن الشريف عنده فطنة وله ذكاء وطلاقة لسان ويخالط الشيعة الذين يسكنون العوالي فتكلم معي وأظهر أن قصده الوقوف على الحقيقة ليكون على بصيرة من أمره فقال لى إنى وقفت على بعض الأدلة من علماء الشيعة أنهم يقولون أن قول النبي ﷺ لعلى أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي نص جلبي على خلافة على بعده لأنه لو مات موسى وهارون حى لكان هو الخليفة بعده.

وقوله عليه السلام فى خطبة غدیر خم من كنت مولاه فعلى مولاه (أدعى) الشيعة أنه نص فى الخلافة له بعد النبي ﷺ (فقلت له) أن الحديثين ثابتان عندنا عن النبي ﷺ فأما الأول لعل حين خلفه على المدينة وعلى أهله وتوجه عليه الصلاة والسلام إلى تبوك فقال له على أتخلفنى مع النساء والصبيان فطيب خاطره بذلك ولم يرد بذلك الخلافة العظمى بعده لأنه لو أرادها لاحتج بذلك على وأهل بيته على أن الحديث ليس بمواتر والشيعة يشترطون لأمر الخلافة التواتر والحديث المذكور وقدخ كثير من المحدثين فى صحته (بل ادعى) ابن الجوزى وضعه وبعض المحدثين ادعى ضعفه.

وبعضهم ادعى حسنه (وعلى) فرض صحته لا دلالة فيه على أمر الخلافة بعده لأن النبي ﷺ أراد بذلك جبر خاطر على (وأما) خطبة غدیر خم فسيبها أن النبي ﷺ أرسل علياً إلى اليمن فتكلم فيه بعض من كان معه وكتب فيه بريدة ما هو معلوم فى السير فلما حج النبي ﷺ وقفل راجعاً

خطب خطبته ونص فيها على عظيم فضل على ورفعة قدره وكانت بغدير خم تحت شجرات فقال يا أيها الناس أنى يوشك أن أدعى فأجيب وإنى مسئول وأنتم مسئولين فماذا أنتم قائلون قالوا نشهد أنك قد بلغت ونصحت فجزاك الله خيراً فقال أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأن جنته حق وناره حق وأن الموت حق وأن البعث حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور قالوا بلى نشهد بذلك قال اللهم فاشهد.

مطلب تمسك الشيعة بهذه الخطبة عن النبي عليه السلام:

ثم قال يا أيها الناس إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين أنا أولى من أنفسهم من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ثم قال يا أيها الناس إنى فرطكم وإنكم واردون على الحوض وأن حوضى أعرض مما بين بصرى إلى صنعاء وكيزانه كنجوم السماء وإنى سائلكم حين تردون على عن الثقلين فانظروا كيف تخلفونى فيهما الثقل الأول كتاب اله فى الهدى والنور المبين وهو جبل الله المتين فاستمسكوا به لا تضلوا أبداً والثقل الثانى عترتى أهل بيتى فإنه قد نبانى اللطيف الخبير أنهما أن يتفرقا حتى يردا على الحوض اهـ.

قال العلماء والجواب الحاسم لهذه الشبهة أن النبى ﷺ أن بهذه الخطبة بيان فضل على وأهل بيته رضوان الله عليهم فنبه بذلك ليرتدع من يتحامل عليهم ويتبغض لهم ولو كانت هذه الخطبة نصاً صريحاً فى الخلافة بعده لبيّن ذلك بياناً شافياً ولا احتج بها على حقه فى الخلافة فإن أهل البيت كانوا فى الذكاء والفظنة على الغاية القصوى وكانوا فى العزة والمنعة بالمكان الذى لا ينكر فكيف يتركون حقه فى الخلافة التى نص لهم النبى ﷺ عليه على زعم

الشيعة وهم أقوياء أعزاء هذا لا يسلم به العقل السليم وفيه من القدح بأهل بيت النبوة ما لا يخفى على ذى الطبع المستقيم (ولما وقف) الشريف على مضمون ما قدمناه أحببت أذكر له بعضاً من نصوص الأدلة القرآنية والسنة الصحيحة النبوية الدالة على صحة خلافة الخلفاء الراشدين المهتدين رضى الله عنهم أجمعين .

فأما الدليل العمومى فقولہ تعالی وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً الخ الآية الكريمة اشتملت على موعود به وموعود عليه فالموعود هو الإيمان الكامل والعمل الصالح والموعود به هو الاستخلاف فى الأرض كاستخلاف بنى إسرائيل وتمكين الدين فى مشارق الأرض ومغاربها وسائر أنحاءها وتبديل الخوف بالأمن التام وكل ذلك وجد فى أيام الخلفاء الراشدين ولا ينكر ذلك إلا مبتدع جهول قد طمس الله بصيرته وأفسد سريرته والآيات فى هذا المعنى كثيرة ودلالاتها صريحة .

وأما السنة فمنها قوله ﷺ عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهتدين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ وقوله ﷺ لا تجتمع أمتى على ضلالة وبمعنى هذا الحديث جاءت أحاديث كثيرة تبلغ مبلغ التواتر المعنوى .

وأما الدليل الدال على خلافة أبى بكر فكثير فمن القرآن قوله تعالى قل للمخلفين من الأعراب استدعون إلى قوم أولى بأس شديد تقاتلونهم ويسلمون فإن تطيعوا يؤتكم الله أجراً حسناً الآية والمراد بالقوم أولى البأس الشديد بنو حنيفة قوم مسيلمة الكذاب والذى دعا المسلمين إلى قتالهم هو أبو بكر

الصديق فالآية حجة قطعية^(١) على صحة خلافته ولا ينكر ذلك إلا مبتدع متعصب لمذهبه الباطل (وجه الدلالة) أنه رتب على إجابة الداعي إتياء الأجر العظيم فيدل على أنه حق وطاعته حق كما لا يخفى ومن الصحاح قوله ﷺ في مرض موته مروا أبو بكر فليصل بالناس وهو من الأحاديث المشتهرة المجمع على صحتها فقال الصحابة أبو بكر رجل اختاره النبي ﷺ لا مرد بيننا فنحن نختاره لأمر دنيانا (وأجمعوا على بيعته) وجعلوا هذا الحديث حجة لهم على ما اتفقوا عليه واتفقهم حجة قطعية.

ومن الأحاديث الدالة على خلافة الصديق ما صح عن النبي ﷺ أنه قال الخلافة بعدى فى أمتى ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك ا هـ حم ت حب عن سفينة مولى ولى النبي ﷺ وأصحاب السنن الأربعة وفى لفظ الخلافة بعدى ثلاثون ثم تكون ملكاً عضوضاً وهو بالضاد المعجمة أى ملك فيه ظلم وجور فمدة خلافة أبى بكر ستان وثلاثة أشهر وعشرة أيام ومدة خلافة عمر عشر سنين وستة أشهر وثمانية أيام ومدة خلافة عثمان إحدى عشر سنة وأحد عشر شهر وتسعة أيام ومدة خلافة على أربع سنين وسبعة أيام.

نزول سيدنا الحسن عن الخلافة:

وذكر النووى أن مدة خلافة الحسن بن بنت رسول الله ﷺ نحو سبعة أشهر ا هـ من شرح العزيرى.

ومن الأحاديث الدالة على صحة خلافة الخلفاء الراشدين ما صح عن النبي ﷺ أنه قال لا يزال أمر أمتى عزيزاً إلى إثنى عشر خليفة كلهم من قريش وفى لفظ وكلهم تجتمع عليه الأمة واللفظ الوارد فيه هكذا لا يزال هذا

(١) كما قاله الإمام الأشعري وغيره ا هـ.

الأمر عزيزاً ينصرون على من ناوهم عليه إلى اثني عشر خليفة كلهم من قريش أخرجه الشيخان .

وأخرج مسلم في صحيحه لا يزال الإسلام عزيزاً منيعاً إلى اثني عشر خليفة ولأبي داود لا يزال هذا الدين قائماً حتى يكون عليكم اثني عشر خليفة كلهم تجتمع عليه الأمة وهو للإمام أحمد بإسناد صحيح كما في زوائد المسند (وقد وجد) هذا العدد فيمن اجتمع عليه الناس أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ثم معاوية ثم يزيد ثم عبد الملك ثم علي أولاد الملك الأربعة الوليد فسلیمان ثم يزيد ثم هشام وتخلل بين سليمان ويزيد عمر بن عبد العزيز فهؤلاء السبعة الخلفاء بعد الراشدين والثاني عشر الوليد بن اليزيد بن عبد الملك ولم يتفق اجتماع الناس على خليفة بعدهم .

ذكر الدليل على صحة خلافة أبي بكر وعمر:

ومن الأحاديث^(١) الصحيحة الدالة على صحة الخلافة لأبي بكر وعمر

(١) ومن الأحاديث الدالة على صحة خلافة الصديق والفاروق ما جاء في الصحيح أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال إنى رأيت الليلة فى المنام ظلة تنطف السمن والعسل وأرى الناس يتكفون منها فالمستكثر والمقل وإذا سبب وأصل من الأرض إلى السماء فأراك الله يا رسول الله أخذت به فعلوت ثم أخذ به رجل آخر فعلا به ثم أخذ به رجل آخر فعلا به ثم أخذ به رسول الله لتدعنى فأعبرها فقال له أعبر فقال أما الظلة فالإسلام وأما الذى ينطف من العسل والسمن فالقرآن حلاوته تنطف فالمستكثر من القرآن والمستقل وأما السبب الواصل من السماء إلى الأرض فالحق الذى أنت عليه تأخذ به فيعليك السله به ثم يأخذ به رجل من بعدك فيعليه الله ثم يأخذ به رجل آخر فيعلو ثم يأخذ به رجل آخر فيقطع به ثم يوصل له فيعلو به فأخبرنى يا رسول الله أصبت أم أخطأت قال أصبت بعضاً وأخطأت بعضاً قال فوالله يا رسول الله لتخبرنى بالذى أصبت من الذى أخطأت فقال لا تقسم ا هـ من البخارى مؤلف .

ما أخرجه الشيخان عن النبي ﷺ أنه قال بينما أنا نائم رأيتني على بثر عليها دلو بكرة فجعلت أنزع منها وأسق الناس إذ جاءني أبو بكر وعمر فأخذ أبو بكر الدلو مني فتزع ذنوباً أو ذنوبين وفي نزعه ضعف والله يغفر له ثم أخذها ابن الخطاب من يد أبي بكر فاستحالت في يده غرباً فلم أر عبقرياً من الناس يفري فريه فتزع حتى ضرب الناس بعطن ١ هـ من البخارى .

وقد أول العلماء هذه الرؤيا بالخلافة وهي حق لأن رؤيا الأنبياء وحى بدليل قوله تعالى إخباراً عن خليله إبراهيم يا بنى إني أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى الآية ودلالة المنام واضحة .

ومن الأحاديث الدالة على صحة الخلافة قوله ﷺ أن أول دينكم بدء نبوة ورحمة ثم يكون خلافة ورحمة ثم يكون ملكاً عضوضاً (ولما تمت مدة) الخلافة ثلاثين سنة تنزل عنها سيدنا الحسن بن بنت رسول الله ﷺ لمعاوية وقال لا أكون أول الملوك فشهد له جماعة من الصحابة بأنهم سمعوا رسول الله ﷺ يقول للحسن وهو على المنبر أن ابنى هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين تكون بينهما مقتلة عظيمة أو كما قال وفى هذا الخبر معجزة عظيمة للنبي ﷺ ومنقبة عظيمة للحسن رضى الله عنه وعن أهل بيته المكرمين .

وقال ﷺ أن يطع الناس أبا بكر وعمر يرشدوا .

وقال ﷺ إني لا أدري ما مدة بقائى فيكم فاقتدوا بالذين من بعدى أبى بكر وعمر، ولقد ذاكرنى مرة وأنا بالحرم النبوى صاحبتنا الفاضل فى الحديث المكتوب فى لوح معلق على الحجرة الشريفة ولفظه اللهم صل على سيدنا محمد الذى أخبر فى صحيح الخبر أن ستين ألف عالم حول العرش

يستغفرون لمحب أبي بكر وعمر ويلعنون مبغض أبي بكر وعمر (وقال) هل وقفت على من أخرجه أو من رواه من المحدثين فقلت له لا أعلم.

السؤال عن الحديث المكتوب على باب الحجر:

ومناقب أبي بكر وعمر كثيرة وقد اشتهرت عند الخاص والعام فلا حاجة لنا في غير ما صح واشتهر عن السيد الأعظم سيد البشر عليه السلام فمن ذلك قوله عليه السلام أن من أمن الناس على في صحبته وماله أبا بكر ولو كنت متخذاً خليلاً من أمي لاتخذت أبا بكر أو كما قال فهذا الحديث الصحيح وأمثاله يكفي في فضل الصديق والله أعلم.

ذكر ما ورد من الذم للعلماء الذين يزورون الأمراء والجواب عنه:

فصل ومن محاسن سنن الحافظ القزويني وحسن ترتيبها أنه ذكر أولاً فضل العلم الشرعي وفضل أهله العاملين ثم استطرد فذكر من آفات العلم أن يطلبه ليجارى به العلماء أو ليمارى به السفهاء أو ليصرف به وجوه الناس إليه ثم ذكر أن من آفات العلم أن يحب طالبه مخالطة أمراء الجور وأهل الرياسة المنهمكين في نيل الشهوات والأعراض عن الدار الآخرة.

وفي هذه الأيام قدر لنا لاجتماع بمنزل بعض الفضلاء من إخواننا المدرسين بالحرم النبوي فأطلعني على رسالة لبعض السادة المحققين وفيها يذكر قصة الإمام ابن المبارك مع صاحبه ابن عليّة حين تولى القضاء للرشيد فكتب إليه نصيحة مستوفية باعثة على التزام القناعة والرضى بما يأتي من الرزق الكافي فأحبت إيداعها في رسالتنا هذه وكنت مشغوقاً بها محبباً في الاطلاع عليها إلى أن وفق لنا ذلك والحمد لله على ما هنالك فأقول ذكر في السنن ما هذا لفظه حدثنا محمد بن الصباح إلى أبي بردة يروى عن ابن عباس أن

رسول الله ﷺ قال إن أناساً من أمتي يستفقهون في الدين ويقرأون القرآن ويقولون نأتى الأمراء فنصيب من دنياهم ونعتزلهم بديننا ولا يكون ذلك كما لا يجتنى من القتاد إلا الشوك كذلك لا يجتنى من قربهم إلا قال محمد بن الصباح يعنى الخطايا ا هـ. قال فى الحاشية والقتاد شجر ذو شوك ولا يكون له ثمر سوى الشوك فنبه بهذا التمثيل على أن قرب الأمراء لا يفيد سوى الحضرة فى الدين فالنفع الدنيوى الحاصل بصحبتهم بالنسبة إلى الضرر الدينى كلا شىء فما بقى إلا الضرر ا هـ.

وفى الحديث أن من أبغض القراء إلى الله الذين يزورون الأمراء قال المحاربى يعنى الجورة وهو كالظلمة لفظاً ومعنى ا هـ من السنن لابن ماجة (وفيهما) أيضاً عن ابن مسعود أنه قال لو أن أهل العلم صانوه وضعوه عند أهله لسادوا به أهل زمانهم ولكنهم بذلوه لأهل الدنيا لينالوا به من دنياهم فهانوا عليهم ثم قال ابن مسعود سمعت نبيكم يقول من جعل الهموم هما واحداً هم آخرته كفاه الله هم دنياه ومن تشعبت به الهموم فى أحوال الدنيا لم يبال به فى أى واد من أوديتها هلك ا هـ من السنن.

حكاية الإمام ابن المبارك:

وأما حكاية الإمام ابن المبارك مع صاحبه ابن عليه فملخصها أن ابن عليه كان مجتمعاً على تقدمه وجلالته وكان ابن المبارك يجلسه وينفعه بماله لكونه من أجل أصحابه ولما تولى القضاء لهارون الرشيد هجره ابن المبارك وقطع عنه النفقة فأتى إليه معترداً فلم يعبأ به ولم يرفع رأسه بعد ما كان يبالح فى تعظيمه وذلك لأجل شؤم القضاء وشؤم عاقبته ثم كتب إليه ابن المبارك هذه الأبيات:

يا جاعل العلم له بازيا يصطاد به أموال السلاطين
احتلت للدنيا ولذتها بحيلة تذهب بالدين
فصرت مجنونًا بها بعد ما كنت دواء للمجانين
أين روايات فيما مضى عن ابن عوف وابن سيرين
إن قلت أكرهت فذا باطل زل حمار العلم في الطين

فلما وقف ابن عليّة على هذه الآيات أثرت فيه واشتد ندمه إن تولى
القضاء ثم ذهب إلى الرشيد وبالع في طلب الاستعفاء منه حتى أعفاه وأنقذه
الله من بلائه وعافاه فحينئذ عاد ابن المبارك إلى تعظيمه وأجرى عليه النفقة
اهـ. أقول أنه قد كثر النقل عن أئمة السلف في التحذير عن إتيان الأمراء
السوء وزيارتهم في مجالسهم وبينوا ما يترتب على ذلك من المفسد في الدين
وهو أمر معلوم بالحس والمشاهدة وقد صان الله علماء الآخرة وبغض إليهم
ذلك فلا ترى إلا المفتونين من العلماء قد أولعوا بمجالستهم لنيل أغراض
خسيسة من الدنيا.

وقد اطلعت وأنا بتابلس عمرها الله بالإسلام ووفق أهلها لكل عم
لصالح يبلغ به صاحبه المرام فاطلعت على رسالة قديمة للحافظ ابن الجوزي
سامها عطف الأمراء على العلماء وعطف العلماء على الأمراء يذكر فيها أن
العالم الذي يصون نفسه عن تحسين أحوال الظلمة ومدحهم بما ليس فيهم
ويبذل لهم النصيحة ويعظهم ويذكرهم ما ينفعهم في دينهم وآخرتهم أن هذا
وأمثله لا ينهى عن مجالسة الأمراء.

حكاية أدبية للإمام سفيان بن عيينة:

وذكر حكايات عن أئمة السلف يؤيد بها هذه المقالة فمن ذلك ما حكاه عن الإمام سفيان ابن عيينة أنه كان يدخل على الرشيد وكان مكرماً عنده لمنزلته الرفيعة في العلم والعمل فأرادوا يوماً الدخول عليه فوجد جعفرًا بالباب فقال له يا سيدى إنك تدخل على أمير المؤمنين وهو مغضبٍ فإياك أن تبتدئه بالكلام حتى يكون هو الذى يبتدئك به فإنه مغضب قال ابن عيينة فدخلت فإذا الرشيد مستلق على قفاه وبين يديه أسير عظيم القدر مكبل بالحديد وهو يقول قتلنى الله إن لم أقتلك والأسير يقول مكذوب على يا أمير المؤمنين (قال ابن عيينة) فقلت له يا أمير المؤمنين احمله على كتاب الله وعلى سنة رسوله ﷺ فالتفت إلى الرشيد وجلس وقال ما قال الله فى كتابه وما قال رسوله فى سنته فقلت قال الله فى كتابه يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قومًا بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين .

وقال النبى ﷺ ينادى مناد يوم القيامة من بطان العرش ألا من كان له عند الله يد فليقم فليدخل الجنة بغير حساب فلا يقوم إلا من عفى فقال الرشيد قد عفوت عنه ثم دعا جعفرًا وقال له اقطع قيود الرجل وخرج ابن عيينة فتلقاها جعفر بالباب وقبل بين عيينة وقال له جزاك الله خيرًا لقد وعظت أميرًا وفككت أسيرًا فجزاك الله عن الإسلام خيرًا وقد أمرت لك بعشرة آلاف درهم فابعث من يقبضها لك .

قال الحافظ ابن الجوزى فأى ضرر فى مجالسة مثل هذا الإمام للخليفة مع استقامته وحسن ديانتته والله أعلم أقول أن القصة التى تقدمت عن الإمام سفيان ابن عيينة قد اشتملت على حديث من كلام رسول الله ﷺ والاحتياط

البحث عن رواه من المحدثين نحرزاً من الوقوع فى الخطر فقد ثبت عنه عليه السلام أنه قال إياكم وكثرة الحديث عنى من قال على فليقل حقاً أو صدقاً ومن تقول على ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار رواه حم م صحيح .

مسألة بعد فى قوله عليه السلام من فعل كذا لم يرح رائحة الجنة ما ضبطه:

فصل مر بنا حال قراءتنا لسنن ابن ماجة حديث فى باب من ادعى إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه وهو قوله ﷺ من ادعى إلى غير أبيه لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام .

وقال فى الحاشية قوله لم يرح رائحة الجنة أى لم يشم ريحها وهو كناية عن عدم دخولها ابتداء بمعنى أنه لا يستحق ذلك أو المعنى أنه لا يجد لها ريحاً وإن دخلها ثم قال يقال راح يريح ويراح وأراح يرح إذا وجد رائحة الشيء .

مسألة بعد فى قوله عليه السلام صنفان من أمتى من أهل النار لم أرهما بعد ما معناها:

وفى المجلس بعض أصحابنا قال أنه ورد نظير هذا الحديث فى النسوة اللاتي قال فيهن النبي ﷺ ما قال من جملة حديث صحيح صنفان من أمتى من أهل النار لم أرهما بعد قوم بأيديهما سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات^(١) عاريات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يريحن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا وتكلم على بعد بأنها بمعنى الآن وأنكر قولنا بأنها مبنية على الضم كما

(١) قوله كاسيات أى من الثياب عاريات من فعل الخير فالقصد ذمهن مؤلف اهـ .

هو المقرر واحتج بما هو مقرر عنده من قول بعض الشراح أن بعد تكون بمعنى الآن وذلك في قوله عليه السلام وددت لو أنا رأينا إخواننا فقالوا يا رسول الله أولسنا بإخوانك فقال أنتم أصحابي وإخواني الذين لم يأتوا بعد يود أحدهم لو رأى بأهله وماله .

وفي العزيزي على لفظه بعد ما هذا لفظه عند قوله ﷺ صنفان من أهل النار لم أرهما بعد بالبناء على الضم قال المناوي أى لم يوجد في عصرى بل يحدثان بعد بالبناء على الضم ويحتمل أن بعد بمعنى الآن (قال الحنفى) في الحاشية وكون مبتدأ بعد بمعنى الآن فإنها تستعمل لذلك معلقة بأرى مغن عن تكلف تقدير السارح لم أرهما الآن وهما بعدى يوجدان بعد الخ وكلام الأستاذ الحنفى فى غاية التحقيق وعليه المعول والله أعلم .

ومر بنا فى حال قراءتنا للسنن بالحرم النبوى حديث الذين أسلما معاً من بلى وفيه لفظه بعد وملخصه ما رواه متصلاً إلى طلحة بن عبيد الله قال ابن رجلين من بلى قدماً على رسول الله ﷺ وكان إسلامهما جميعاً وكان أحدهما أشد اجتهاداً من الآخر ففر المجتهد منهما فاستشهد ثم مكث الآخر بعده سنة ثم توفى قال طلحة فرأيت فى المنام بينا أنا عند باب الجنة إذا أنا بهما فخرج خارج من الجنة فأذن للذى توفى الآخر منهما ثم خرج ثانياً فأذن للذى استشهد ثم رجع إلى فقال ارجع فإنك لم يأن لك بعد فأصبح طلحة يحدث به الناس فيعجبون لذلك فبلغ ذلك رسول الله ﷺ وحدثوه الحديث فقال من أى ذلك تعجبون فقالوا يا رسول الله هذا كان أشد الرجلين اجتهاداً ثم استشهد ودخل هذا الآخر الجنة قبله فقال رسول الله ﷺ أليس قد مكث هذا سنة بعده قالوا بلى قال وأدرك رمضان فصام وصلى كذا وكذا سجده فى

السنة قالوا بلى قال رسول الله ﷺ فما بينهما أبعد مما بين السماء والأرض اهـ (قال في الحاشية) قوله صلى توفى الآخر بكسر الخاء ءبمعنى المتأخر زماناً وقوله لم يأت لك بعد أى لم يحضر وقت دخولك الجنة بعد أى إلى هذا الحين أو الآن اهـ (قال في الزوائد) رجال إسناده ثقات إلا أن فيه انقطاعاً والله أعلم .

وفى السنن أيضاً قول النبي ﷺ من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة وأن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً رواه فى السنن عن عبد الله بن عمرو وفيها أيضاً عن أبى هريرة عن النبي ﷺ أنه قال من قتل معاهداً له ذمة الله وذمة رسوله لم يرح رائحة الجنة إن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا سنة .

فصل ومن غريب ما مر بنا حديث جويرية وقد رواه الحافظ القنوينى فى سننه عن ابن عباس عن جويرية أنها قالت مر بى رسول الله ﷺ حين صليت الغداة وأنا أذكر الله فرجع حين ارتفع النهار وأنا كذلك فقال ما زلت على الحالة التى فارقتك عليها قلت نعم قال لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لرجحت عليهن سبحان الله ويحمده رضا نفسه سبحان ويحمده عدد^(١) خلقه سبحان ويحمده زنة عرشه سبحان ويحمده مداد كلماته .

مطلب فى ثواب الذكر المضاعف العدد:

كتب فى الحاشية على هذا الحديث كناية طويلة اشتملت على فوائد مهمة وقد أبدى بعض جلسائنا فى المذاكرة على هذا الحديث ما يفهم منه أنه

(١) قوله عدد خلقه مقدم على قوله رضاه نفسه وهو منصوب بنزع الخافض أى بمقدار عدد خلقه اهـ .

أشكل عليه أن القائل سبحانه الله وبحمده عدد خلقه إنما سبح مرة واحدة فكيف يعطى ثواباً بعددهم والجواب ما أشار إليه فى الحاشية أى حاشية سنن ابن ماجه ولفظه هكذا (فإن قلت) كيف يصح تقييد التسبيح بالعدد المذكور ونحوه مع أن التسبيح هو التنزيه لله عن جميع النقائص وعن جميع ما لا يليق بالجناب الأقدس وهو أمر واحد فى ذاته لا يقبل التعدد وباعتبار صدورهِ عن التكلم لا يمكن اعتبار هذا العدد فيه لأن المتكلم لا يقدر عليه ولو فرض قدرته عليه لما صح تعلق هذا العدد بالتسبيح إلا بعد أن يصدر منه بهذا العدد أو عزم على ذلك وأما بمجرد ذاته فإنه ما قال إلا مرة سبحانه الله ولا يحصل منه هذا العدد بذلك (قلت) لعل التقييد بملاحظة استحقاق ذاته المقدسة المطهرة لو صدر من المتكلم التسبيح بهذا العدد.

والحاصل أن العدد ثابت لقول المتكلم لكن لا بالنظر إلى أنه تحقق منه التسبيح بهذا العدد بل باعتبار أنه تعالى حقيق بأن يقول المتكلم هذا التسبيح فى حقه بهذا العدد والله أعلم.

وأقول أن الذى يفهم من جواب هذا الفاضل أن المسيح بهذا العدد الذى لا نهاية له لا بد أن يلاحظ أن الله عز وجل يستحق أن يستحق بهذا العدد الكثير واستحقاق الذات العلية لذلك لا بعد فيه لأنه تعالى له الكمال المطلق وله الحمد وله الفضل على عباده أزلاً وأبداً وإلى ما لا نهاية له وهو جواب نفيس إلا أن فى العبارة تحريفاً فى أصل الطبع وقد أتيت فى تصحيحها بغاية الإمكان ويمكن لنا أن يلاحظ جواب آخر وهو أنه يلاحظ المسيح بهذا العدد أنى لو أظفت هذا العدد لأتيت به فيثاب على نيته لذلك وقد ورد لذلك شواهد كثيرة نية المرء من عمله أى قد تكون النية خيراً من العمل المشوب

بشيء من الريا والله أعلم وهذا الجواب نافع في مواضع كثيرة كصيغ الصلوات على النبي ﷺ المودعة في دلائل الخيرات وغيرها والله أعلم.

فصل ومن الأحاديث الغريبة ما مر بنا حال قراءتنا للسنن في الحرم النبوي وقد ذكره الحافظ القزويني بإسناده متصلًا إلى خرشة بن الحرانة أنه قال قدمت المدينة فدخلت المسجد مسجداً للنبي ﷺ وجلست إلى أشيخة^(١) جالسين فيه فجاء شيخ يتوكأ على عصا له فقال القوم من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا فقام خلف سارية فصلى ركعتين فقامت إليه فقلت له قال بعض القوم كذا وكذا فقال الحمد لله الجنة لله يدخلها من يشاء.

مطلب في شهادة الصحابة لابن سلام بالجنة:

وأني رأيت على عهد رسول الله ﷺ رؤيا رأيت كأن رجلا أتاني فقال انطلق لي فانطلقت فذهبت معه فسلك بي في منهج عظيم فعرضت على طريق على يساري فأردت أن أسلكها (فقال) إنك لست من أهلها ثم عرضت على طريق أخرى عن يميني فسلكتها حتى إذا انتهيت إلى جبل زلق فأخذ بيدي فرجل بي فإذا أنا على ذروته فلم أقار ولم أتماسك وإذا عمود من حديد في ذروته حلقة من ذهب فأخذ بيدي فرجل بي حتى أخذت بالعروة فقال لي استمسكت فقلت نعم فضرب العمود برجله فاستمسكت بالعروة (قال) فقصتها على رسول الله ﷺ (فقال) رأيت خير (ما) المنهج العظيم فالمحشر (وأما) الطريق التي عرضت عن يسارك فطريق أهل النار ولست من أهلها (وأما) الطريق عرضت عن يمينك فطريق أهل الجنة (وأما) الجبل الزلق فمتزل

(١) طائفة من الشيوخ.

الشهداء (وأما) العروة التي استمسكت بها فعروة الإسلام فاستمسك بها حتى
تموت (قال) ابن سلام فأنا أرجع أن أكون من أهل الجنة (قال) راوى الحديث
فإذا هو عبد الله بن سلام ا هـ.

كتب فى الحاشية على قوله الحمد لله أى الشهادة المسلمين له بالخير لما
جاء فى الصحيح أنتم شهداء الله فى الأرض فإذا شهد المسلمون العدول لأحد
بخير يرجى أن يكون ذلك الشئ حقاً وكتب على قوله فأنا أرجوا أى لا
أجزم بذلك وحقيقة الأمر عند الله ا هـ.

وأقول أن الذين شهدوا له بأنه من أهل الجنة لم يكن اعتمادهم على
حسن أفعاله وصدق نيته بل على ما سمعوا من رسول الله ﷺ فى تفسير
رؤياه وتأمل قوله وأما الطريق التي عرضت عن يسارك فطريق أهل النار
ولست من أهلها (وفى صحيح الإمام البخارى) فى تفسير رؤيا ابن سلام هذه
أن النبى ﷺ قال له وتلك الروضة هى الإسلام وذلك العمود هو عمود
الإسلام وتلك العروة التي استمسكت بها هى العروة الوثقى فأنت على
الإسلام حتى تموت ا هـ ما فى البخارى.

فإذا كان الأمر كما سمعت فابن سلام من المبشرين بالجنة وأيضاً فى
البخارى قول سعد بن أبى وقاص ما سمعت النبى ﷺ يقول لأحد يمشى
على وجه الأرض أنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام وقال وفيه نزلت
هذه الآية وشهد شاهد من بنى إسرائيل على مثله ا هـ ما فى صحيح البخارى
(والجواب) عن قوله ما سمعت النبى ﷺ يقول لأحد يمشى على الأرض أنه
من أهل الجنة إلا لعبد الله الخ أن مراده ما سمعه يقول لواحد على انفراده
وأما العشرة فبشرهم جميعاً دفعة واحدة والله أعلم.

مطلب فى فضائل على رضى الله عنه:

فصل فى ذكر ما ورد عن جماعة من الأعيان يروون حكايات عن خلفاء بنى أمية أنهم كانوا يذكرون علياً رضى الله عنه وعن أهل بيته المكرمين على المنابر بما لا يلقى وقد سئلت عن ذلك فقلت إنى لم أقف على شىء من ذلك عن يوثق به والمؤرخون مولعون بنقل الأخبار ولا عبرة بنقلهم لاشتغال أخبارهم على العث والسمين والقوى والوهين حتى مر بنا حال قراءتنا للسنن بالحرم النبوى حديث رواه الحافظ فى سننه مسنداً إلى ابن سباط وهو عبد الرحمن يروى عن سعد بن أبى وقاص أنه قال قدم معاوية فى بعض حجاته فدخل الناس عليه ومنهم سعد فذكروا علياً فقال منه معاوية فغضب سعد وقال تقول هذا الرجل سمعت رسول الله ﷺ يقول من كنت مولاه فعلى مولاه وسمعتة يقول له أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى وسمعتة ﷺ يقول يوم خير لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فأعطاها علياً رضى الله عنه اهـ .

كتب السندى فى الحاشية ما هذا لفظه قوله فقال منه أى نال معاوية من على ووقع فيه وسبه بل أمر سعداً بالسب كما قيل فى مسلم والترمذى ومنشأ ذلك الأمور الدنيوية التى كانت بينهما ولا حول ولا قوة إلا بالله والله يغفر لنا ويرحمنا بمنه وفضله ومقتضى حسن الظن أن يحمل السب على التخطئة ونحوها مما يجوز نسبته إلى أهل الاجتهاد لا اللعن وغيره اهـ كلام سندى فى حاشيته .

مطلب فى وصف ضرار بن حمزة عليا رضى الله عنه:

وأقول أن خاتمة المحققين بالديار الشامية الشيخ محمد السفارنى من علماء الحنابلة ذكر فى كتابه البحور الزاهرة فى علوم الآخرة ما لفظه روى الإمام ابن الجوزى فى تبصرته عن أبى صالح قال قال معاوية بن أبى سفيان لضرار بن حمزة صف لى عليًا فقال أوتعفى يا أمير المؤمنين فقال بل تصفه لى فقال أوتعفى قال لأعفينك قال أما إذا لا بد فإنه والله كان بعيد المدى^(١) شديد القوى^(٢) يقول فصلا ويحكم عدلا يتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه يستوحش من الدنيا وزهرتها ويستأنس بالليل وظلمته كان والله غزير الدمعة طويل الفكرة يقلب كفه ويخاطب نفسه يعجبه من اللباس ما خشن ومن الطعام ما جشب^(٣) كان والله كأحدنا يجينا إذا سألناه وبتدينا إذا أتناه ويأتينا إلى دعوانه ونحن والله مع تقريبه لنا وقربه منا لا نكلمه هية ولا نبتديه لعظمته فإن تبسم فعن مثل اللؤلؤ والمنظوم يعظم أهل الدين ويحب المساكين ولا يطمع القوى فى باطله ولا ييأس الضعيف من عدله فأشهد بالله لرايته فى بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه وقد مثل فى محرابه قابضًا لحيته يتململ تلمل السليم أى الذى قد لدعته حية ويكى بكاء الحزين فكأنى أسمعوه وهو يقول يا دنيا يا دنيا إلى تعرضت أم لى تشوفت^(٤) هيهات هيهات غرى غيرى قد نبتك ثلاثًا لأرجعة لى فيك فعمرك قصير وعيشك حقير وخطرك كبير ا هـ من قلة الزاد بعد السفر ووحشة الطريق

(١) أى بعيد الغاية فى العز ا هـ .

(٢) قوله شديد القوى أى شديدًا قواه ا هـ وهو المشار إليه فى قوله تعالى علمه شديد القوى .

(٣) أى تغير .

(٤) أى تطلعت .

(قال) فذرفت دموع معاوية فما يملكها وهو ينشفها بكمه وقد احتقن القوم بالبكاء ثم قال معاوية رحم الله أبا الحسن كان والله كذلك فكيف حزنك عليه يا ضرار قال حزن من ذبح ولدها في حجرها فلا ترقى عبرتها ولا تسكن حسرتها اهـ من البحور الذائخة (أقول) هذا هو اللائق بمقام الصحابة بالكرام رضى الله عنهم ونفعنا بحبهم آمين .

وفى سنن الترمذى عن ابن عمر أن النبى ﷺ قال لعلى أنت أختى فى الدنيا والآخرة قال الترمذى حديث حسن غريب^(١) ولما حصل من بنى أمية ما حصل تصدى كثير من الحفاظ لنشر فضائل أمير المؤمنين على رضى الله عنه وعن أهل بيته المكرمين حتى قال الإمام أحمد لم ينقل لأحد من الصحابة من الفضائل ما نقل لعلى رضى الله عنه وسبب ذلك تعرض بنى أمية له فصار الذى عنده علم شىء من مناقبه من الصحابة يئسه ويشيعه فكلما أراد بنو أمية إخماد شرفه حدث الصحابة بمناقبه وفضائله فلا يزداد فضله إلا انتشاراً وتتبع النسائي مما خص به دون الصحابة فبلغ من ذلك أشياء كثيرة أسانيداً أكثرها جياذ والله هو الموفق والمعين وهو أعلم .

فصل ومن غريب ما سبق لنا أن الأحاديث الشريفة التى فيها ذكر الخصال الموجبة للأظلال بظل العرش فتارة يذكر فيها من فعل كذا أظله الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله وتارة يذكر فيها أظله الله فى ظل عرشه فيشكل ذلك على كثير ممن قصر فهمه ويفكر بأن الشمس يوم القيامة تدنو من رءوس الخلائق مقدار ميل ولا شك أن العرش أعلى المخلوقات وأرفعها فكيف يكون له ظل والشمس دونه هذا مشكل على حسب العادة فأردت ذكر ما ورد فى ذلك ناقلاً من كلام الأئمة ما يزيل هذا الإشكال بمن من له الفضل والكمال .

(١) ولا عبرة بمن حكم عليه بالوضع اهـ مؤلف .

مطلب فى السبعة الذين يظلمهم الله فى ظله:

فى الصحيح عن أبى هريرة وعن أبى سعيد أن النبى ﷺ قال سبعة يظلمهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل وشاب نشأ فى عبادة الله تعالى ورجل قلبه معلق بالمساجد إذا خرج منها حتى يعود إليها ورجلان تجبا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه ورجل دعتة امرأة ذات حسن وجمال فقال إني أخاف الله رب العالمين ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه هذا ما فى الصحيحين ومسند الإمام أحمد وذكر السبعلا مفهوم له لأن العدد القليل لا ينافى الكثير لدخوله فيه .

وقد تتبع بعضهم الخصال الموجبة للأضلال فبلغت السبعين فمنها قول النبى ﷺ من أنظر معسراً أو وضع عنه أظله الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله حديث صحيح رواه حم ومسلم قال المناوى أى ظل عرشه أو ظل الله والمراد به ظل الجنة والمراد به الظل الذى يخلقه فى الموقف لمن شاء من خلقه وإضافته إلى الله أضافه ملك ويدل لهذا قول ابن دينار المراد بالظل الكرامة والكنف والكن من المكاره فى ذلك الموقف العظيم يقال فلان فى ظل فلان أى فى كنفه وحمايته ولعل هذا أولى الأقوال وأرجحها وقيل المراد بالظل الرحمة اهـ .

ومنها امرأة مات زوجها وترك أيتاماً صغاراً فقالت لا أتزوج أقيم على أيتامى حتى يموتوا أو يغنيهم من فضله إلى آخر الخصال .

وأخرج ابن عساكر عن أبى هريرة أن النبى ﷺ أو كما قال سبعة فى ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله رجل ذكر الله ففاضت عيناه ورجل يحب العبد لا يحبه إلا لله ورجل قلبه معلق بالمساجد من شدة حبه إياها ورجل

يعطى الصدقة بيمينه فيكاد يخفيه عن شماله وإمام مقسط في رعيته ورجل عرضت عليه امرأة نفسها وهي ذات منصب وجمال فتركها لجلال الله ورجل كان في سرية مع قوم فلقوا العدو فابكشفوا فحمى أثارهم حتى نجا ونجوا أو استشهد اهـ (وقال) النبي ﷺ سبعة يظلهم تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله رجل قلبه معلق بالمساجد أى الصلاة فيها ورجل دعت امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله ورجلان تحابا في الله ورجل غض عينيه عن محارم الله وعين حرس في سبيل الله وعين بكت من خشية الله رواه البيهقي والترمذي عن أبي هريرة والله أعلم^(١).

أقول ويشبه ما سبق من الأحاديث المصرحة بظل العرش لمن فعل كذا ما صح أن النبي ﷺ قال إن المقسطين عند الله عز وجل يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا رواه حم ومسلم حديث صحيح وبما قدمناه من تفسير الظل^(٢) بعلم الجواب عن الأشكال السابق فيما حررناه والله أعلم.

مطلب في قوله تعالى عليكم أنفسكم:

فصل قدمنا فيما سبق حديث أبي ثعلبة الخشيني والآن رأينا صاحب السنن ذكره في سننه بأبسط مما تقدم فآثرنا نقله ثانية تكثيراً للفائدة فنقول أن الحافظ قال باب قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من (١) وفي الحديث أوحى الله إلى إبراهيم يا خليلي حسن خلقتك ولو مع الكفار تدخل مداخل الأبرار فإن كلمتي سبقت لمن حسن خلقه أن أظله في ظل عرشي وإن أدنيه من جوارى وأن أسكنه حضيرة قدسى اهـ مؤلف حديث حسن.

(٢) أى من أنه راحة وكرامة وهذا إذا أضيف إلى الله عز وجل وإذا أضيفت إلى العرش يبقى الأشكال إلا أن يقال أن أمور الآخرة لا تقاس على أمور الدنيا والتسليم أسلم اهـ.

ضل إذا اهتديتم ثم روى بإسناده أبى أمية الشعبانى أنه قال أتيت أبا ثعلبة الخشيني فقلت له كيف تصنع فى هذه الآية هى قلت يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم فقال سألت عنها خبيراً سألت عنها رسول الله ﷺ فقال بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذى رأى برأيه ورأيت أمراً لا يدان لك^(١) به فعليك بخو يصىة نفسك ودع عنك أمر العامة فإن من وراءكم أيام الصبر الصابر فيهن على دينه كالقابض على الجمر للعامل فيهن مثل أجر خمسين عاملاً يعملون مثل عمله ١ هـ فى زمان آخر.

وحاصل هذا الحديث العمل بالآية مقيد بوقت لا دائمى ١ هـ من الحاشية ومراده أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر يسقط وجوبه عند فساد الحال وعند الإياس من قبول الموعظة وهو قول فى المسألة والجمهور على وجوبه عند أمن المفسدة لعموم الأدلة الدالة عليه ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون.

والجواب عن الآية أنها لا دلالة لها على سقوط الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لأن قوله تعالى إذا اهتديتم قيد فى المسألة ومن الاهتداء الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فلا يكونون مهتدين بغيره والله أعلم.

وفى السنن أيضاً ما رواه الحافظ بسنده إلى أبى الزبير أنه روى عن جابه أنه قال لما رجعت مهاجرة البحر^(٢) قال اللهم رسول الله ﷺ ألا تحذونى بأعاجيب ما رأيتم بأرض الحبشة فقال فتية منهم بلى يا رسول الله بينما نحن

(١) أى لا طاقة لك على دفعه.

(٢) أى مهاجرة الحبشة هـ.

جلوس إذ مرت بنا عجوز من عجائز رهايينهم تحمل قلة من ماء على رأسها فمرت بفتى من فتيانهم فجعل إحدى يديه كتفيها ثم دفعها فخرت على ركبتيها فانكسرت قلتها فلما ارتفعت التفتت إليه فقالت سوف تعلم يا غدر إذا وضع الله الكرسي وجمع الأولين والآخرين وتكلمت الأيدي والأرجل بما كانوا يكسبون فسوف تعلم كيف أمرى وأمرك عنده غداً قال يقول رسول الله ﷺ صدقت صدقت كيف يقدر الله أمة لا يؤخذ الحق لضعيفهم من قويمهم اهـ من السنن .

وفيها أيضاً ما رواه الحافظ بسنده إلى قيس بن حازم قال رأيت أبا بكر وقد قام على المنبر خطيباً فقال أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية وتؤولونها على غير تأويلها يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم وإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول أن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقابه انتهى .

مطلب في مذاكرة علمية ببيروت:

فصل ومن غريب ما مر بنا حين توجهنا إلى الشام وجئنا مدينة بيروت ونزلنا في منزل صاحبنا الشهم الهمام صاحب الهمة العلية والإقدام قباني زاده بلغة الله من الخير مراده جرت مذاكرة علمية فيما ورد عن الحضرة النبوية من قوله من حفظ على أمتي أربعين حديثاً من أمر دينها اكنا له شهيداً وشفيعاً يوم القيامة أو كما قال قلت أن الحديث يروى من طرق كثيرة وكلها ضعيفة ولكن الحديث الضعيف يجوز العمل به في ما لم يشتد ضعفه .

وقد انتدب جماعة من الأئمة الأعلام وحفاظ الإسلام إلى جمع أربعين حديثاً فمنهم من جمعها في الفرائض والأحكام ومنهم من جمعها في المواعظ

والرقائق الفخام ومنهم من جعلها جامعة لذلك ولهم مقاصد حسنة يثابون عليها إن شاء الله تعالى . فأخبرنا عن أديب فاضل أن له أربعين مطبوعة فى مجلد لطيف جمعها فى الآداب فوقفت عليها فيها أحاديث حسنة وقد أحسن الأديب جمعها وترتيبها وأكمل وضعها وتبويبها ووقفت على حديث منها وهو قوله ﷺ لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين فوجدته قد طبع مضبوطاً بالشكل هكذا لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين بتقديم الحاء المهملة على الجيم اهـ وراجعنا جملة من النسخ فإذا هى كذلك فتأسفنا والله أعلم هنالك .

وقلت أن الآداب النبوية تجل قدرًا عن التحريف ويجب أن تصان عن هذا التصحيف ثم قلت لصاحب المنزل إنى أقف على جملة من الأحاديث الجامعة للآداب الكريمة فطلب منى جملة منها فقلت حبًا وكرامة وهاك ما تيسر منها ثم ققلت إن الأولى تقديم آيات من القرآن الكريم تيمناً وتبركاً فمن ذلك قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين .

قال المفسرون العفو هنا الفضل وما جاء بلا كلفة والمعنى أقبل الميسور من أخلاق الناس ولا تستقص عليهم فيستعصوا عليك فتتولد منه العداوة والبغضاء وقال ابن عباس خذ ما عفا لك من أموالهم فما أتوك به من شىء فخذهُ وكان هذا قبل أن تنزل آية الزكاة وأمر بالعرف أى بكل ما أمرك به وهو كل ما عرفته بالوحى وأعرض عن الجاهلين أمر الله نبيه ﷺ أن يصفح عن الجاهلين وهذا قبل أن يؤمر بالقتال .

روى أنه نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ لجبريل ما هذا قال لا أدرى حتى أسأل ثم رجع فقال إن ربك يأمرك أن تصل من قطعك وتعكى من حرمك وتعفو عمن ظلمك وتعفو وتحسن إلى من أساء إليك ذكره البغوى .

وقال جعفر الصادق أمر الله نبيه بمكارم الأخلاق وليس فى القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية وقال النبى ﷺ إن الله بعثنى لتمام مكارم الأخلاق وتمام محاسن الأفعال ا هـ .

ومن الآيات التى فيها مدح مكارم الأخلاق وأهلها قوله تعالى الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين فأول ما ذكر الله من أخلاق المتقين الموجبة للجنة السخا لأنه أشق على النفس من غيره وعن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال السخى قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد عن النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار ولجاهل سخى أحب إلى الله من عابد بخيل أخرجه الترمذى .

وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان فيقول أحدهما اللهم اعط منفقاً خلفاً ويقول الآخر اللهم اعط ممسكاً تلفاً ا هـ ذكر كظم الغيظ فقال تعالى والكاظمين الغيظ والكظم حبس الشئ عند امتلائه فمن كظم الغيظ صبر ورده فى جوفه ومعنى الآية أنهم يكفون غيظهم عن الإمضاء مع القدرة على الانتقام وهذا الوصف من أقسام الصبر المحمود فاعله (وقد) ورد فى مدحه قوله ﷺ من كظم غيظاً وهو يستطيع وهو أن ينفذه دعاه الله يوم القيامة على رءوس الخلائق حتى يخيره فى أى الحور شاء أخرجه الترمذى وأبو داود عن أنس (ثم ذكر) العفو عند المقدرة فقال تعالى والعافين عن الناس يعنى إذا جنا عليهم أحد لم يؤاخذوه ثم ذكر الإحسان إلى الناس فقال والله يحب المحسنين ا هـ .

ومن الآيات الدالة على مدح التواضع وذم التكبر قوله تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما قال المفسرون أضافهم إلى الرحمن تفضيلا لهم وتشريفاً لأنهم يمشون على الأرض بسكينة وتواضع.

وقال النبي ﷺ من تواضع لله رفعه الله إسناده حسن وقال النبي ﷺ إن الله أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغى أحد على أحد رواه مسلم عن عياض بن حمار.

وقال ﷺ لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر قال رجل يا رسول الله الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة قال إن الله جميل يحب الجمال الكبير بطر الحق وغمط الناس اهـ حديث صحيح.

وقد تظاهرت الأدلة من الكتاب والسنة وأقاويل الأئمة على ذم التكبر وأن صاحبه ممقوت عند الله وعند خلقه وقد ورد المتكبرين يحشرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال وهذا كاف في ذم التكبر وقبحه نسأله تعالى السلامة في الدنيا والآخرة.

وقال ﷺ ثلاث أحلف عليهن ما نقص مال من صدقة ولا تواضع أحد لله إلا رفعه ولا عفى رجل عن مظلمة إلا زاده الله بها عزاً هذا الحديث بهذا اللفظ ما وقفت عليه وأفراده موجودة في الأحاديث^(١) واللفظ الوارد هكذا.

قال النبي ﷺ ثلاث أقسم عليهن ما نقص مال عبد من صدقة ولا ظلم عبد مظلمة فصبر عليها إلا زاده الله بها عزراً ولا فتح عبد على نفسه باب

(١) هو في مسلم ولفظه ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبداً بغفو الأجزاء اهـ مؤلف وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله.

مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر رواه حم ت عن أبي كبشة الأثماري وتقدم قوله ﷺ من تواضع لله رفعه الله فتم الحديث بجميع ألفاظه والله أعلم.

مطلب في مدح مكارم الأخلاق:

وأما الأحاديث التي فيها الدلالة على مدح مكارم الأخلاق فكثيرة (منها) قوله ﷺ إن الله خلق المعروف وخلق له أهلاً حبيب إليهم فعاله ووجه إليهم طلابه وخلق الشر وخلق له أهلاً حبيب إليهم فعاله ووجه إليهم طلابه (١).

وقال ﷺ مكارم الأخلاق من أعمال الجنة طس عن أنس.

وقال ﷺ مكارم الأخلاق عشرة تكون في الرجل ولا تكون في ابنه وتكون في الابن ولا تكون في الأب وتكون في العبد ولا تكون في سيده يقسمها الله لمن أرد به السعادة صدق الحديث وصدق البأس (٢) وإعطاء السائل والمكافأة بالصنائع وحفظ الأمانة وصلة الرحم والتنمم للجار (٣) والتنمم للصاحب وإقراء الضيف ورأسهن الحياء هب والحكيم والحاكم عن عائشة.

وقال ﷺ خياركم أحاسنكم أخلاقاً الموطئون أكنافاً وشراركم الثرثارون أي الذين يكثرون الكلام تكلفاً بلا فائدة المتفققهون أي الذين يتوسعون في

(١) لفظه في الحاشية هكذا إن الله تعالى جعل للمعروف وجوهاً من خلقه حبيب إليهم المعروف وحبيب إليهم فعاله ووجه طلاب المعروف إليهم ويسر إليهم إعطاءه كما يسر الغيث إلى الأرض الجلدية ليحييها ويحيى بها أهلها وإن الله تعالى جعل للمعروف أعداء من خلقه بغض إليهم المعروف وبغض إليهم فعاله وحظر عليهم إعطاءه كما حظر الغيث عن الأرض الجدبة ليهلكها ويهلك أهلها وما يعفو الله أكثر رواه ابن أبي الدنيا اهـ ملف.

(٢) الشجاعة في الحرب.

(٣) بأن يحفظ حرمة وكذا لصاحب اهـ مؤلف.

الكلام المتشددون أى المكثرون ممن تحريك أشداقهم تكثيراً للكلام هب عن ابن عباس .

ذكر وصية النبي ﷺ بالصلاة وما ملكت أيمانكم؛

ولما تم الكلام على ما أسلفناه من الوفاء بالوعد بذكر بعض الآثار المروية عن النبي المختار فى مدح المرضية والشيم الفاضلة الزكية شرعنا فى ذكر ما سلف وتقدم من المسائل والأحكام الشرعية ومن أهم ذلك الصلاة فإنها المقربة من رب البرية وهى عماد الدين وقربان المؤمنين وقد وصى بها النبي ﷺ وحث عليها وأمر بها وندب إليها فقال ﷺ الصلاة (١) وما ملكت أيمانكم الصلاة وما ملكت أيمانكم صحيح . وقال ﷺ الصلاة نور المؤمن .

وقال ﷺ الصلاة خير موضوع فمن شاء فليستكثر حديث حسن .

وقال ﷺ الصلاة قربان كل تقى والأحاديث فى فضلها كثيرة .

وقد رأينا فى الحرمين الشريفين وغيرهما كثيراً من جهله المتعبدين يفرطون فى ترك أشياء من الصلاة وهى لازمة لزوماً ضرورياً بل كاد وجوب فعلها يكون مجمعاً عليه فضلاً عن أن يكون مندوباً إليه وذلك هو تمام الركوع والسجود فقد صح أن النبي ﷺ قال للمسيء فى صلاته إذا قمت إلى الصلاة فكبر ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن ثم اركع حتى تطمئن راکعاً ثم ارفع حتى تعتدل قائماً ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً ثم ارفع حتى تطمئن جالساً ثم اعمل ذلك فى صلاتك كلها رواه الجماعة وجاءت به أحاديث كثيرة تبلغ مبلغ التواتر المعنوى .

(١) قوله الصلاة نصب على الأغراء أى ألزموا الصلاة والإحسان إلى ما ملكت أيمانكم هـ

وفى صحيح مسلم عن عائشة أنها قالت كان النبي ﷺ إذا رفع رأسه من السجود لم يسجد حتى يستوى قاعداً هو الطمأنينة فى الركوع وفى الاعتدال عنه وفى السجود وفى الجلوس بين السجدين صحت بها الأخبار فى الصحيح أن حذيفة بن اليمان رأى رجلاً لا يتم ركوعه ولا سجوده فقال له ما صليت ولو مت مت على غير الفطرة التى فطر الله عليها محمداً ﷺ.

حديث المسىء فى صلاته رواه الجماعة أى البخارى ومسلم وأصحاب السنن عن أبى هريرة قال رجل المسجد فصلى ركعتين^(١) ثم جاء فسلم على النبى ﷺ فرد عليه ثم قال ارجع فصل فإنك لم تصل فعل ذلك ثلاثاً ثم قال والذى بعثك بالحق ما أحسن غيره فعلمنى فقال له إذا قمت إلى الصلاة فكبر ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن ثم اركع حتى تطمئن راکعاً ثم ارفع حتى تعتدل قائماً ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً ثم ارفع حتى تطمئن جالساً ثم اعمل فى صلاتك كلها اهـ.

مطلب فى إتمام الركوع والسجود:

وقد داوم ﷺ على ذلك وصح قوله صلوا كما رأيتمونى أصلى ولو أطال الاعتدال لم تبطل صلاته وكان الإمام أحمد يطيل الاعتدال والجلوس بين السجدين ويحتج بما روى حذيفة بن اليمان وأبو حميد الساعدى والبراء ابن عازب وغيرهم أن النبى ﷺ كان ركوعه واعتداله قريباً من السواء وقال أبو حميد رأيت رسول الله ﷺ إذا كبر جعل يديه حذاء منكبيه وإذا ركع أمكن يديه من ركبتيه وإذا رفع رأسه من الركوع استوى قائماً معتدلاً حتى يعود كل فقار مكانه داوم على ذلك وقال لصلوا كما رأيتمونى أصلى.

(١) أى لا يتم فيهما الركوع ولا السجود اهـ.

وفى الصحيح أيضاً عن البراء بن عازب أنه قال كان سجود النبي ﷺ وقعوده بين السجدين قريباً من السواء .

وأما الوعيد الوارد على ترك ذلك فصح عن حذيفة بن اليمان أنه قال لرجل لا يتم الركوع ولا السجود ارجع فصل فإنك لم تصل ولو مت مت على غير الفطرة التي فطر الله عليها محمداً ﷺ وفى مسند الإمام أحمد عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لا ينظر الله إلى صلاة رجل لا يقيم صلبه بين ركوعه وسجوده .

مطلب فى ذم من لم يتم الركوع والسجود:

وفى المسند أيضاً عن على بن شيبان قال قال رسول الله ﷺ لا صلاة لمن لم يقيم صلبه فى الركوع ولا فى السجود ورواه ابن ماجة فى سننه أيضاً وعن أبى مسعود الأنصارى قال قال رسول الله ﷺ لا تجرى صلاة لا يقيم فيها الرجل صلبه فى الركوع والسجود رواه الخمسة وصححه الترمذى وفى مسند الإمام أحمد أيضاً عن أبى قتادة قال قال رسول الله ﷺ أسوأ الناس سرقة الذى يسرق من صلاته قالوا يا رسول الله وكيف يسرق من صلاته قال لا يتم ركوعها ولا سجودها أو قال لا يقيم صلبه فى الركوع والسجود وفى سنن ابن ماجة عن على بن شيبان وكان من الوفد قال صلينا خلف رسول الله ﷺ فملح بمؤخر عينه رجلا لا يقيم صلبه فى الركوع ولا فى السجود فقال يا معشر المسلمين لا صلاة لمن لا يقيم صلبه فى الركوع والسجود ا هـ .

فقلت ذلك فى الكتاب الموسوم بمنتقى الأحكام من هدى خير الأنام للإمام مجد عبد السلام الحرانى الحنبلى وكفى به ثقة والله أعلم ولما تم تحريرنا لهذه الأخبار أطلعنا صاحبنا الفاضل على رسالة لبعض فضلاء السادة الحنفية

فى هذا الشأن وفيها من التحذير الشديد والتخويف الاكيد ما يكون باعثاً على المحافظة على إتمام الصلاة التى هى عماد الدين وقربان المؤمنين لمن وفقه الله لاتباع السنة المحمدية ولسلوك الطريقة المرضية لأنها لا يعرض عنها متهاون بها الأكل غوى جهول وضال مخذول والآثار التى قدمنا ذكرها قد اشتملت عليها رسالة الفاضل الحنفى مع بيان اختلاف أئمة مذهب في فرضية الطمأنينة والاعتدال أو سنتيهما أو الوجوب كما هو مبسوط فى كتبهم ذات القدر المنيف والكمال وصية فى رسالته إلى القول بالوجوب لأن الفرض عندهم لا يثبت إلا بدليل قطعى الثبوت قطعى الدلالة والواجب عندهم يثبت بدليل ظنى الثبوت ظنى الدلالة وما مشاحة فى الإصلاح وفى حاشية السنن للفاضل المعروف بالسندى ما لفظه أن الطمأنينة فى الركوع والسجود قال جمهور الأئمة بافتراضها والمشهور من مذهب أبى حنيفة ومحمد عدم الافتراض لكن نص الطحاوى فى آثاره أن مذهب أبى حنيفة وصاحبيه افتراض الطمأنينة فى الركوع والسجود وهو أقرب إلى الصواب للأحاديث الهه هذا لفظه والعهدة عليه هذا ولما قرأنا بالحرم النبوى جانباً من الشفا فى تعريف حقوق المصطفى وكان ذلك فيما ذكره صاحب الشفا من المعجزات والآيات البينات لكن يشير بها إشارة خفية ورموزاً ليست بالجليلة طلب منه صاحبنا الفاضل أن نشرح بعضاً من تلك الآثار الشريفة والأخبار المنيفة فقلت حباً وكرامة وهاك ما تيسر .

مطلب فى ذكر المعجزات:

فمنها قوله ﷺ إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده وقيصر ليهلكن ثم لا يكون قيصر بعده أى بالشام والذى نفسى بيده لتنفقن كنوزهما فى سبيل الله

عز وجل هو في الصحيحين وغيرهما وقد وقع الأمر كما أخبر فزال ملك كسرى عن الأرض وتنحى قيصر عن الشام والجزائر ولم يزل بالكلية لقوله عليه الصلاة والسلام فارس نطحه أو نطحتان ثم لا فارس والروم ذات القرون كلما هلك قرن خلفه آخر أهل صبر لآخر الدهر أصحابكم^(١) ما دم في العيش خير رواه الحارث عن أبي محيريز وهذا من أعظم المعجزات والمراد بالروم جنس النصارى لا خصوص الطائفة كما نبه عليه صاحب إظهار الحق رحمه الله ومنها أى المعجزات أخباره عن أبي زربانة يعيش وحده ويموت وحده ويبعث يوم القيامة وحده فكان الأمر كما أخبر فقد قال ﷺ عويمر حكيم أمتى أى أبو الدرداء، وجندب بن جنادة أى أبو ذر طريد أمتى يعيش وحده ويموت وحده ويبعثه الله أمة وحدة وقد كان الأمر كما أخبر فقد أخرج البخارى عن زيد بن وهب فقال مررت بالزبدة فإذا أنا بأبى ذر فقلت له ما أنزلك منزلك هذا قال كنت بالشام فاخلفت أنا ومعاوية فى الذين يكتزون الذهب والفضة الآية فقال معاوية هى فى أهل الكتاب وقلت أنا هى فىنا وفيهم وكان بينى وبينه فى ذلك ما كان فشكأنى إلى عثمان فكتب إلى أن أقدم المدينة ولو أمروا على حبشياً لأطعت فقدمت المدينة فكثر الناس على حتى كأنهم ما رأونى فأشار إلى عثمان بنزولى هنا فى هذا المنزل وكان أبو ذر يحدث الناس بأنه لا يبيت عند أحدكم دينار ولا درهم إلا ما ينفقه فى سبيل الله أو يعده لغريم فكان من أمره ما كان وظهر مصداق ما أخبر به النبى ﷺ ومنها أى المعجزات قوله ﷺ لعمار وهو ينقل اللبن إلى المسجد ويح عمار تقتله الفئة الباغية عمار يدعوهم إلى الله عز وجل وهم يدعوونه إلى النار اهـ.

(١) أى شركائكم فى الملك اهـ مؤلف.

وقد قتل مع على بصفين والقاتل له عسكر معاوية وهم طائفة البغي
لكنهم غير آثمين لاجتهادهم والطائفة الثانية عسكر على وهم طائفة العدل
كما هو معلوم من فحوى الحديث الصحيح .

ومنها أى المعجزات حديث أم حرام حدث أنس عنها أنها قالت نام النبي
ﷺ فى بيتى قريباً منى فاستيقظ وهو يتسم قالت فقلت ما يضحكك يا
رسول الله قال أناس من أمتى عرضوا على يركبون ثبيج هذا البحر ملوكاً على
الأسرة أو كالمملك على الأسرة قالت ادع الله أن يجعلنى منهم قال فدعا لها
وقال أنت منهم ثم نام الثانية ثم استيقظ يضحك قالت قلت ما يضحكك يا
رسول الله قال أناس من أمتى عرضوا على يركبون ثبيج هذا البحر ملوكاً على
الأسرة أو كالمملك على الأسرة قالت فقلت يا رسول الله ادع الله أن يجعلنى
منهم فقال أنت من الأولين اهـ بخارى .

وقد كانت هى من البعث الأول الذين ركبوا البحر مع زوجها عبادة بن
الصامت فلما انصرفوا من غزوهم قافلين الشام قربت إليها دابة ليركبها
فصرعتها فماتت والبعث الثانى هم الذين غزوا القسطنطينية مع يزيد وقال
فيهم ﷺ أول جيش من أمتى يغزون مدينة قيصر مغفور لهم قال المهلب فيه
منقبة ليزيد لأنه أول من غزا مدينة قيصر أى كان أمير الجيش باتفاق وتعقب
بأن المغفرة مشروطة بكونه أى المغفور له من أهل المغفرة لا مطلقاً ويزيد لم
يكن من أهل المغفرة اهـ .

ومنها أى المعجزات قوله ﷺ لتفتحن القسطنطينية ولنعم الأمير أميرها
ولنعم الجيش ذلك الجيش رواه الإمام أحمد والحاكم عن بشر الفيومى قال فى
الشفاء والأحاديث فى هذا الباب بحر لا يدرك قعره ولا ينزف غمره وهذه

المعجزة من معجزاته المعلومة على القطع الواصل إلينا خبرها على التواتر لكثرة روايتها واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب واله أعلم.

مطلب فيما نقل عن الإمام أحمد في زيارة القبور:

فصل تقدم لنا مراراً أن بعض إخواننا من أهل الفضل الذين يحبون اجتماع كلمة أهل التوحيد قد كرر المذاكرة في مسألة زيارة قبور الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولا سيما زيارة القبر المبكر وسأل ماذا نقل عن الإمام أحمد وعن فضلاء أهل مذهبه فيها وفي حكم شد الرحل لزيارة المشاهد وهل يترخص من شد الرجل لذلك أم لا وطلب بيان ذلك بنقل ما يؤثر عن أهل المذهب المنسوب للإمام أحمد (فقلت) لعمري أنه سؤال شريف والبحث في ذلك بحث منيف لدعاء الحاجة لذلك والله أعلم بما هنالك وقد رأينا من المنسوين لمذهب الإمام أحمد شذوذ عن الصواب في هذه المسائل والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

فنقول أن مذهب الإمام أحمد استحباب زيارة قبر كل مسلم للتكدر والاعتبار لكن للرجال خاصة وأما النساء ففي زيارتهن تفصيل ذكره فقهاء الحنابلة في كتبهم المعول عليها كالإقناع والمنتهى وقبلهما صاحب التقيح والإنصاف الذى معر في معرفة الصحيح والراجح من الخلاف فبينوا ذلك بياناً شافياً ولا سيما صاحب المنتهى فقد نص في كتاب الجنائز وهذا لفظه مع شرحه .

سن لرجل زيارة قبر مسلم نصاً أى نص على ذلك الإمام أحمد فى رواية الجماعة عنه لحديث كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكر الآخرة وتكره للنساء لحديث أم عطية نهينا عن زيارة القبور إلا لقبر النبي ﷺ

وقبرى صاحبيه رضوان الله عليهما، فتسن للرجال والنساء لعموم الحديث من حج فزارنى ونحوه من الأحاديث اهـ وعبرة الإقناع مع شرحه .

فصل يسن للذكور زيارة قبر مسلم: نص عليه وحكاه النووى إجماعاً لقوله عليه السلام كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكر الآخرة وتكره للنساء لحديث أم عطية نهينا عن زيارة القبور غير قبر النبي ﷺ وقبرى صاحبيه فتسن زيارتهما للرجال والنساء لعموم الأدلة فى طلب زيارته عليه السلام اهـ قوله لعموم الأدلة أى (ومنها) قوله ﷺ من حج فزار قبرى بعد وفاتى كان كمن زارنى فى حياتى رواه البيهقى وغيره عن ابن عمر .

ومنها قوله ﷺ من زار قبرى وجبت له شفاعتى رواه ابن عدى والبيهقى أيضاً .

ومنها قوله ﷺ من زارنى بالمدينة محتسباً كنت له شهيداً أو شفيعاً يوم القيامة رواه البيهقى أيضاً عن أنس قال العلقمى بجانبه علامة الحسن اهـ .

وقد أجمع علماء الأمة على استحباب زيارته صلى اله عليه وسلم وإجماعهم حجة بدليل قوله ﷺ لا تجتمع أمتى على ضلالة ولم يخالف فى ذلك أحد من الأئمة والله أعلم .

ثم إن صاحب الإقناع والمنتهى ذكراً فى أبواب متعددة بما يتعلق بهذه المسألة المهمة فمنها ما قدمناه فى زيارة القبور ومنها ما هو مصرح به فى باب القصر أعنى قصر الصلاة الرباعية حيث اشترطوا لصحتها أن يكون السفر مباحاً ويعنون بالمباح ما هو مستوى الطرفين ويمنعون من القصر إذا كان السفر حراماً أو مكروهاً فمن أمثلة المباح كما لو سافر لتجارة أو لنزهة أو لفرحة أو قصد مشهداً أو قبر نبى أو مسجداً غير الثلاثة فهو مباح وأما السفر للمساجد

الثلاثة فهو مسنون اتفاقاً اهـ ومنه تعلم أن السفر لزيارة المشاهد وقبور الأنبياء المكرمين من السفر الذي لا كراهة فيه يترخص صاحبه بالقصر والقطر في رمضان ونحوهما وهذا هو الصحيح من المذهب جزم به صاحب الإنصاف والتتقيح وغيره من المتأخرين.

قال في الإقناع ولا يترخص في سفر مكروه للنهي عنه ويترخص من قصد مشهداً أو قصد قبر نبوي أو غيره كولى قال في شرحه وحديث لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد أى لا يطلب ذلك وليس نهياً عن شدها لغيرها خلافاً لبعضهم لأنه عليه الصلاة والسلام كان يأتى قباء ركباً وماشيئاً ويزور القبور وقال زوروا فإنها تذكر الآخرة اهـ.

ومنه تعلم ما قدمناه من أن السفر لزيارة القبور مباح لا كراهة فيه على مذهب الإمام أحمد.

مطلب فى إباحة التوسل بالصالحين:

ومن متعلقات مسألتنا التوسل بالصالحين فى الشدائد والنوازل المهمة وقد صرحوا بإباحة ذلك فى باب الاستسقاء كما تقف عليه إن شاء الله .

قال فى المنتهى وشرحه وأبيح التوسل بالصالحين رجاء الإجابة وقد استسقى عمر بالعباس ومعاوية بيزيد بن الأسود واستسقى به الضحاك مرة أخرى ذكره موفق الدين ابن قدامة اهـ .

وفى الإقناع وشرحه ويخرج الإمام إلى المصلى متواضعاً متذلاً ويستحب أن يخرج معه أهل الدين والصلاح لأنه أسرع لإجابتهم وقد استسقى عمر بالعباس ومعاوية بيزيد بن الأسود.

وقال السامري وصاحب التلخيص لا بأس بالتوسل في الاستقاء بالصالحين وبالعلماء المتقين وقال في المذهب^(١) يجوز أن يستشفع إلى الله تعالى برجل صالح وقيل بل يستحب (قال) الإمام أحمد في منكسه الذي كتبه لصاحبه المروزي أنه يتوسل إلى الله عز وجل في دعائه بالنبي ﷺ وجزم به في المستوعب وغيره.

وقال إبراهيم^(٢) الحربي الدعاء عند قبر معروف الترياق المجرب انتهى كلام شارح الإقناع (فإن قيل) أن المنقول عن الفروع أن قصد القبر للدعاء عنده بدعة باتفاق الأئمة (قلنا) أن صاحب الفروع نقله عن شيخه ونحن نتكلم على مذهب الإمام أحمد اهـ.

وفي باب الحج ذكر في الإقناع وشرحه ما لفظه وإذا فرغ من الحج استحب له زيارة قبر النبي ﷺ وقبري صاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما لحديث الدارقطني عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال من حج فزار قبري بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي وفي رواية من زار قبري وجبت له شفاعتي رواه سعيد في سننه.

تنبيه قال ابن نصر الله في حواشي الفروع لازم استحباب زيارة قبره ﷺ استحباب شد الرحل إليها لأن ريارته للحاج بعد حجه لا تمكن بدون شد الرحل فهذا كالصریح باستحباب شد الرحل لزيارته عليه السلام.

مطلب فيما نقل عن الإمام أحمد من فضل زيارة القبر الكريم:

قال الإمام أحمد إذا حج الذي ما حج قط فلا يأخذ على طريق المدينة إن كان الحج فرضاً وإن كان نقلاً بدأ بالمدينة ومراده إن لم تكن طريقة على

(١) اسم كتاب للحافظ بن الجوزي. (٢) هو إمام جليل من أصحاب الإمام أحمد.

المدينة كالشامى (قال) ابن نصر الله فى هذا أن الزيارة أفضل من حج التطوع وإن حج الفرض أفضل منها اهـ .

ثم قال فى الإقناع وشرحه وإذا دخل المسجد أى مسجد النبى ﷺ سن أن يقول عند دخوله ما يقوله عند دخول غيره من المساجد ثم يصلى تحية المسجد ثم يأتى القبر الشريف فيقف قبالة وجهه ﷺ مستدبر القبلة فيسلم على النبى ﷺ فيقول السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا نبى الله السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته السلام عليك يا خيرة الله من خلقه وعباده أشهد أنك بلغت الرسالة وأديت الأمانة ونصحت الأمة وجاهدت فى الله حق جهاده حتى أتاك اليقين فصلى الله وسلم عليك كثيراً كما يحب ربنا ويرضى اللهم إنك قلت وقولك الحق ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً وقد أتيتك مستغفراً من ذنوبى مستشفعاً بك إلى ربى فأسألك يا رب أن توجب لى المغفرة كما أوجبتها لمن أتى نبىك فى حياته (اللهم) اجعل نبىك أول شافع وأنجح سائل يا أرحم الراحمين ثم يدعو لوالديه وللمسلمين .

ثم ذكر شارح الإقناع قصة العتبي ومجىء الأعرابى إلى القبر المكروم وقراءته الآية وقوله:

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم
وذكر العتبي أن عينه نامت فرأى النبى ﷺ فى النوم فقال له يا عتبي الحق الأعرابى فبشره بأن الله قد غفر له اهـ والقصة مشهورة وقد ذكرها الشيخ تقى الدين فى كتبه وكذا تلميذه ابن القيم والله أعلم .

وهنا مسألة تناسب ما سبق فقد ذكر في الإقناع وشرحه ما لفظه ومكة
أفضل من المدينة لحديث عبد الله بن عدى أنه سمع النبي ﷺ يقول وهو
واقف بالجزورة في سوق مكة والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى
والله لولا أنى أخرجت منك ما خرجت رواه الإمام أحمد والنسائي وابن
ماجة والترمذى وقال حسن صحيح ولأن مضاعفة الصلاة فيه أكثر (وأما)
حديث اللهم إنهم أخرجوني من أحب البلاد إلى فأسكنى فى أحب البلاد
إليك فلم يصح بل لا يعرف وعلى فرض ثبوته فمولى على تقدير فأسكنى فى
أحب البلاد إليك بعد مكة والمجاورة بمكة أفضل والله أعلم.

ويروى عن الإمام أحمد أنه قال مكة أفضل والمقام بالمدينة أحب إلى من
المقام بمكة لأنها مهاجر المسلمين.

وقال ﷺ عن المدينة لا يصبر أحد على لأوائها وشدتها إلا كنت له
شفيعاً يوم القيامة رواه مسلم إلى أن قال فى الإقناع وشرحه وما خلق الله
خلقاً أكرم من نبينا محمد ﷺ كما دلت عليه البراهين.

وأما نفس تراب تربته ﷺ فليس هو أفضل من الكعبة بل الكعبة أفضل
منه (قال) الإمام بن عقيل فى الفنون الكعبة أفضل من مجرد الحجرة فأما
والنبي ﷺ فيها فلا والله ولا العرش وحملته والجنة لأن بالحجرة جسداً كريماً
لو وزن به لرجح (قال) فى الفروع فدل كلام الإمام أحمد والأصحاب على
أن التربة على الخلاف ولا يعرف أحد فضل تراب القبر على الكعبة إلا
القاضى عياض ولم يسبقه أحد إليه والله أعلم.

فصل فإن قال قائل قد علم مما تقدم من النقول الصحيحة والنصوص
الصريحة التى قدمت عن فقهاء الحنابلة أن مذهب الإمام أحمد وأصحابه

إباحة التوسل إلى الله بالصالحين في الشدائد والنوازل وأن زيارة القبور سنة مؤكدة لكن للرجال خاصة إلا قبر نبينا ﷺ وقبري صاحبيه فتسن زيارتها للرجال والنساء لعموم الأدلة في طلبها وأن شد الرحل لزيارة المشاهد وقبور الأنبياء والصالحين لا بأس به على الصحيح من المذاهب وإن من سافر لزيارة المشاهد وقبور الأنبياء والصالحين يترخص في سفره فما حكم منع ذلك وكفر فاعله ونسبه إلى الشرك الأكبر هل يجرى فيه الخلاف^(١) كما جرى في الخوارج الذين كفروا عليًا ومعوية أم يفرق بأن الخوارج إنما كفروا الصحابة بتأويل واجتهاد وإن كان خطأ في نفس الأمر .

أقول أن الجواب عن ذلك يفتقر إلى إلى الوقوف على نصوص الإمام أحمد وأصحابه المتقدمين قال في الإقناع وشرحه الثالث الخوارج الذين يكفرون المسلم بالذنب ويكفرون أهل الحق ويكفرون عليًا وطلحة والزبير ويستحلون دماء المسلمين وأموالهم إلا من خرج معهم فهم فسقة باعتقادهم الفاسد وذهب الإمام أحمد في إحدى الروايتين عنه وطائفة من أهل الحديث إلى أنهم كفار مرتدون .

قال الإمام أحمد الخوارج كلاب النار صح الحديث فيهم عندنا من عشرة أوجه وقال الإمام أحمد والحكم فيهم عندنا على ما قال أمير المؤمنين على رضي الله عنه وفيما قال لأبيك بقتال أهـ ومنه تعلم أن الصحيح عدم تكفير الخوارج وأهل الأهواء وإن استحلوا دماء المسلمين وأموالهم لأن لهم شبهًا من التأويل تدفع عنهم الكفر .

(١) أي أنه كافر أم لا فمن قال أنه يكفر استدلل بالحديث إذا كفر الرجل أخاه فقد باء بها أحدهما إن كان كما قال وإلا رجعت عليه انتهى صحيح .

وقد ذكر الفقهاء فى باب الردة أن من استحل حراماً مجتمعاً على تحريمه أى بلا تأويل كالزنا والربا ونحوهما^(١) أو قال قولاً يتوصل به إلى تضليل الأمة أى أمة الإجابة فهو كافر لأنه مكذب لله ولرسوله وللإجماع على أن أمته ﷺ لا تجتمع على ضلالة أهـ ولوجود التدافع بين النصوص الفقهية صار الإمساك عن تكفير من يستحل دماء المسلمين وأموالهم بتوسلهم فى الشدائد إلى الله عز وجل (فإن قيل) من أين علم أيهم يكفرون أهل الإسلام (قلنا) ذاك أمر لا يكره فى كتبهم المطبوعة قديماً وحديثاً ما لا يحصى وسمع من فلتات ألسنتهم شىء كثير يلقبون أهل الإسلام بعباد القبور ويقولون فى سنة كذا رحفت جنود الموحدين على مكة وفر أهلها منها وتفرقوا شذر مذر إلى غير ذلك من العبارات الصريحة الدلالة فإنكار ذلك مكابرة.

وقد نص كثير من علماء الأمة فى كتبهم على ذلك فمن المتأخرين العلامة ابن عابدين فى غالب كتبه والشيخ داود البغدادي والسيد أحمد بن زينى الملقب بدحلان وغيرهم من علماء الأمة.

مطلب ذكر محمد بن عبد الوهاب:

فى رسالة السيد أحمد دحلان ما لفظه أن محمد بن عبد الوهاب كان يدعى الانتساب إلى مذهب الإمام أحمد كذباً وتسترا وزورا والإمام أحمد برىء منه ولذلك انتدب كثير من علماء الحنابلة المعاصرين له للرد عليه حتى أخوه الشيخ سليمان بن عبد الوهاب ألف رسالة فى الرد عليه وقد أودعها مباحث شريفة وحججاً منيفة وقد راجعها مراراً عديدة ووقفت فيها على جمل مفيدة سلك فيها مسلك الإنصاف ويجنب التعصب والاعتساف فرحمة الله

(١) كالنهب لأموال الناس أهـ.

رحمة واسعة أمين (ولما اتم) تحرير هذه المقولة سألتني صاحبنا الفاضل عن قول الإمام أحمد في المنصوص عنه الذي قدمناه آنفاً الخوارج كلاب النار صح الحديث فيهم من عشرة أوجه ما هذه الأوجه هل وقفت عليها وهل جاء شيء من الآثار المروية عن النبي المختار يشير إلى ظهور بقايا من الخوارج في آخر الزمان.

مطلب في قوله ﷺ الخوارج كلاب الناس:

فقلت إن الحديث الذي أشار إليه الإمام أحمد هو ما أخرجه الإمام أحمد وابن ماجه عن ابن أبي أوفى والإمام أحمد والحاكم عن أبي أمامة أن النبي ﷺ وعلم قال الخوارج كلاب النار.

قال العزيزي قال الشيخ حديث صحيح وقال فبلغني في حاشية قوله كلاب النار أى مثلها فى الخسة أو أنهم يصورون بصورة الكلاب حقيقة تقيحاً لهم اهـ والحديث مروى من طرق متعددة ترتقى إلى عشرة أوجه كما نص عليه الإمام أحمد لا أنه متعدد (وأما) السؤال هل ورد عن النبي ﷺ أثر يدل على أن الخوارج لهم بقية يظهرون فى آخر الزمان ففى السنن ما يدل على ذلك تصريحاً وتلويحاً عن عبد الله بن مسعود أن النبي ﷺ قال يخرج فى آخر الزمان قوم أحداث الأسنان سفهاء يقولون من خير قول الناس يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم وفى لفظ لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية فمن لقيهم فليقتلهم فإن قتلهم أجر عند الله لمن قتلهم.

وفى السنن أيضاً عن أبى سلمة قال قلت لأبى سعيد الخدرى هل سمعت رسول الله ﷺ يذكر فى الحرورية شيئاً سمعته يقول سيكون بعدى

قوم من أمتي يتعبدون بحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصومه مع صومهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية .

وفى صحيح البخارى عن أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ أنه يخرج ناس من قبل المشرق يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية قبل ما سيماهم قال التحليق يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان اهـ .

أقول فإن قال قائل أن هذه الأحاديث حلها أهل العلم على الخوارج الذين ظهروا على على وأصحابه وكلامنا فى خوارج زماننا .

قلت الأمر كما ذكرت هى فى الذين خرجوا على أصحاب رسول الله ﷺ ولكن خوارج زماننا مشاركون لهم فى الصفات فهم يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم كما سمعنا وشاهدنا حالهم ويقولون من خير قول البرية ويحقر الناس صلاتهم مع صلاتهم ويقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان وسيماهم التحليق لا يقبلون الإسلام إلا بحلق الرأس وكان بعض أهل الفضل يقول يكفى للرد على هذه الطائفة قوله ﷺ سيماهم التحليق فإنه لم يفعله أحد من المبتدعة غيرهم .

وأيضاً قد جاءت آثاره صريحة فى بقاء الخوارج حتى يكون آخرهم مع الدجال فروى الحافظ فى سننه عن الأوزاعى عن نافع بن عمر أن رسول الله ﷺ قال ينشأ نشو من أمتي يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم كلما خرج قرن قطع قال ابن عمر سمعت رسول الله ﷺ يقول كلما خرج قرن قطع أكثر من عشرين مرة حتى يخرج فى عراضهم لدجال (قال) فى الحاشية قال فى الزوائد إسناده صحيح وقد احتج البخارى بجميع رواته .

تحذير من مفارقة الجماعة:

ولما تم تحريرنا لهذه المقولة وقفنا على شيء من كلام الحافظ بن الجوزي ذكره في كتابه المسمى تليس إبليس يحذر من مفارقة الجماعة ومجانبة السواد الأعظم فأثروا نقله لأن ابن الجوزي من خيار علماء الحنابلة ببغداد وكلامه حجة في المذهب الحنبلي.

قال رحمة الله روى عبد الله بن عمر أن النبي ﷺ خطب بالجابية فقال من أراد بحبوحه الجنة فيلزم الجماعة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد. وروى عجرفة رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال يد الله على الجماعة والشيطان مع من يخالف الجماعة.

وروى أسامة ابن شريك رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال يد الله على الجماعة فإذا شذ الشاذ منهم اختطفته الشياطين كما يختطف الذئب الشاة من الغنم.

وروى معاذ بن جبل أن النبي ﷺ قال إن الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم يأخذ الشاة القاصية والنائبة فيأكم والشعاب وعليكم بالجماعة العامة والمسجد.

وروى أبو ذر أن النبي ﷺ قال اثنان خير من ثلاثة وثلاثة خير من اثنين وأربعة خير من ثلاثة فعليكم بالجمعة فإن الله لن يجمع أمتى إلا على هدى اهـ (فهذا) الحافظ الحجة الواعظ للأمة يحذر من مفارقة الجماعة ويقيم الدليل من كلام المعصوم ﷺ أفلا يجب على العاقل الحارم أن يقبل النصيحة من أئمة مذهبه والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل.

وأما ما ذكره صاحبنا الفاضل في سؤاله عن تكفير من يكفر المسلمين
بشبهه هي أو هي من بيت العنكبوت وما هي إلا تخيلات وأوهام فاسدة ما
حكمه ولا سيما إذا استحل سفك دمائهم وسلب أموالهم بدعواه أنهم لا
يفرقون توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، فجوابه أن مرجع ذلك إلى
المنصوص عن الإمام أحمد وأصحابه وهذه كتب الفقه نصوصها طافحة بأن
من استحل جراماً مجمعاً عليّ تحريمه ارتد وجرت أحكام المرتدين (فإن قال)
قائل هؤلاء الخوارج كفروا علياً وأصحابه وكفروا معاوية وأصحابه وشبهتهم
قضية التحكيم ومع ذلك لم يحكم علي بكفرهم بل قال هم من الكفر فروا
وكذلك الإمام أحمد وغيره من الأئمة توقفوا في تكفيرهم قائلين أن لهم شبهاً
تنفى عنهم الكفر والمعروف في المذاهب المتبوعة أن أهل الأهواء والبدع
المخالفين لأهل السنة في الأصول يحكم بأنهم فساق لا كفار.

قلنا نعم كما ذكرت ولكن هل يحكم الخوارج زماننا بحكم الخوارج
الأولين مع أن الأولين فيهم أئمة وعندهم من المعرفة لاتامة ما هو شائع عنهم
ولكنهم قوم أصابتهم فتنة فعموا وضموا كما قال علي رضي الله عنه لما سئل
عنهم هذا محل توقف ويأتي مزيد لذلك إن شاء الله تعالى والله أعلم (في
بعض الأيام) جرت المذاكرة فيما بيني وبين بعض الإخوان بالحرم النبوي هل
الأفضل يوم الجمعة الاشتغال بتلاوة القرآن أم بالصلاة على النبي ﷺ
(فأجبت) بأن الفقهاء ذكروا أن الاشتغال بالصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة
أفضل من الاشتغال بتلاوة القرآن إلا سورة الكهف لما ورد فيها بخصوصها
(فما) ورد وصح أن النبي ﷺ قال إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة فأكثروا
من الصلاة على فيه وقد تقدم.

وورد فى ذلك أيضاً حديث فى السنن عن أبى الدرداء قال رسول الله ﷺ أكثروا الصلاة على يوم الجمعة فإنه مشهود تشهد الملائكة وأن أحداً لن يصلى على إلا عرضت على صلاته حتى يفرغ منها قال أبو الدرداء وبعد الموت قال وبعد الموت إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء فنبى الله حى يرزق اهـ.

قال فى الحاشية إسناده صحيح إلا أن فيه انقطاعاً (ثم) أن حياة الأنبياء عليهم السلام هى أعلا من حياة الشهداء المنصوص عليها فى التنزيل لأنهم أفضل من الشهيد بلا ريب وبمعنى يما تقدم قوله ﷺ حياتى خير لكم يحدثون ويحدث لكم فإذا أنا مت كانت وفاتى خيراً لكم تعرض أعمالكم على فإن رأيت خيراً حمدت الله وإن رأيت شراً استغفرت لكم اهـ والحديث مرسل ورجاله ثقات.

وظاهر كلام الشارح أن تحدثون أصله تحدثونى من التحديث لا من الأحداث فإنه قال فى تفسيره أى تحدثونى بما أشكل عليكم وأحدثكم بما يزيل الأشكال ويرفعكم إلى درجة الكمال (ثم) قال واحتمال أن المعنى تحدثون طاعة ويحدث لكم غفراناً يدفعه أن ذاك ليس خاصاً بحياته ﷺ ووافقه على ذلك الحفنى فى الحاشية والله أعلم.

قد سبق لنا اجتماع بمنزل الوجيه الماجد وجرى ذكر الأحاديث التى فيها مدح الآداب والمحاسن فوقفت على جنب منها فأثبته فى رسالتى هذه الآن عشرت على ما يتعين إلحاقه تميمًا للفائدة (فأقول) صح أن النبى ﷺ مر بناس جلوس فوقف وقال ألا أخبركم بخيركم بخيركم من شركم فسكتوا حتى قال ذلك ثلاثاً فقال رجل بلى يا رسول الله أخبرنا فقال خيركم من يرجى خيره ويؤمن

شره وشركم من لا يرجى خيره ولا يؤمن شره رواه الإمام أحمد والترمذى وابن حبان قال الشيخ حديث صحيح والله أعلم.

تنبيه جرى بينى وبين صاحبنا الفاضل مفاوضة فى حكاية أودعها خاتمة^(١) المحققين فى كتابه شرح منظومة الأدب ولفظه وهكذا.

قلت قد سنع فى خلدى أن أذكر هنا قصة صدرت من سيدنا الإمام الهمام برهان الدين قاضى القضاء أبى إسحاق إبراهيم بن قاضى القضاء شمس الدين بن مفلح الرامينى الأصل ثم الدمشقى ولد صاحب الفروع وذلك أن تيمور كوركان ويقال له تمر لك لما فعل بالشام وأهلها ما فعل وعم بظلمه البر والبحر والسهل والجبل وكان قد طلب الصلح واجتمع به أئمة الإسلام وأظهر الحلم والصفح وكان عبد الجبار المعتزلى أمامه وهو الذى يملك زمامه يناظر علماء السنة بخضرة تيمور ولا يمكنهم الجواب عن أكثر الأمور فطلب من العلماء كتابة سؤال يتوصل به إلى الإنكار والضلال وهو أن يكتبوا ويختاروا بأن فضيلة النسب مقدمة على فضيلة العلم بلا ارتياب فتقاعسوا وأحجموا وعن الجواب وجعوا وعلم كل منهم أنه وقد ابتلى.

فابتدر بالجواب الإمام شمس^(٢) الدين الحنبلى فقال درجة العلم أعلى من درجة النسب ومرتبها عند الخالق والمخلوق أسنى الرتب والهجين الفاضل يقدم على الهجان الجاهل والدليل فى هذا جلى وهو إجماع الصحابة على تقديم أبى بكر على على.

(١) الشيخ محمد السفارينى عند ذكر الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وأن وعظ الامراء والملوك يختص بالعلماء الراسخين ا هـ كاتبه.

(٢) الصواب برهان الدين ا هـ.

مطلب قصة برهان الدين ولد ابن مفلح الراميني الحنبلي مع تيمور:

وقد أجمعوا أن أبا بكر أعلمهم وأثبتهم قدمًا في الإسلام وأقدمهم وإثبات هذه الدلالة من قول صاحب الرسالة لا تجتمع أمتى على ضلالة، ثم أخذ القاضى شمس الدين^(١) فى نزع ثيابه مصخيًا لتيمور وما يصدر من جوابه فكك أزراره وقال لنفسه إنما أنت إغارة وكأس الموت لا بد من شر بها فسواه ما بين بعدها وقربها والموت على الشهادة من أفضل العبادة وأفضل أحوالها لمن علم أنه إلى الله صائر كلمة حق عند سلطان جائر (فقال) له تيمور ما حملك على نزع ثيابك فقال له الشيخ بذلا لنفسى فى سبيل الله صابراً لعقابك فقال له قد وسعك حلمنا فلا تعدم سلمنا فقال له أيها السلطان الجليل حيث مننت بالحلم على هذا العبد الذليل فليكن الأمان مصحوباً بالتفضيل من صولة بعض العسكر الذى عدة ماله تفوق على أمم بنى إسرائيل ففيهم من ابتدعوا بدعاً وقطعوا فى مذاهبهم قطعاً ومزقوا دينهم وكانوا شيعاً ولا شك أن مجالس خضرتك تنقل وتخص فى سريانها وتشمل.

وإذا ثبت هذا الجواب عنى ودعاه أحد عن سنى خصوصاً من ادعى موالاته على ويسمى فى رفضه من والى أبا بكر بالناصرى وتحقق منى يقينى أنه لا ناصر لى يقينى فإنه يقتلنى جباراً ويريق دمنى نهاراً وإذا كان كذلك فأنا أستعد لهذه السعادة واختتم أحكام القضاء بالشهادة (فقال) له تيمور لله درك ما أفصحك وأنصرك لمقاتلك وأنصحك فأمر بجماعة يشيعونه ويحرسونه من أعدائه فى ذهابه لداره ويحفظونه فأحاطت به الجند إحاطة الهالة بالقمر وصاروا حوله كالصور حول المصور ومع هذا فقد وكزه بعض الطعام من تلك

(١) صوابه برهان الدين كما هو ظاهر من أول عبارته ا هـ.

العساكر الرعاع الغشام فكان ذلك سبباً لحصول السعادة فجرى ما جرى وختم الله عمله بالشهادة (وقد) أشار إلى هذه القصة ابن عرب شاه في تاريخ تيمور والشيخ العليمي في المقصد لا حمد تراجم أصحاب الإمام أحمد رضوان الله تعالى عليهم أجمعين انتهى كلامه (١).

أقول ونظير هذه الحكاية ما وقع لبعض الأفاضل مع تيمور وذلك أنه جمع من أفاضل العلماء جماعة وكان هو يتشيع فسألهم مرة أقتلانا في الجنة أم قتلكم فانتدب أفضلهم وقال له صح أن النبي ﷺ سئل عن الرجل يقاتل حمية ويقاتل شجاعة وليرى مكانه فمن في سبيل الله فقال من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله أي وهو في الجنة فأمسك تيمور عن السؤال لما رأى من حسن الجواب وملاحظة سياقه وهو من الأسلوب الحكيم والله أعلم (ثم) أنه جرى في تمام المذاكرة في هذه القصة أن طلب منا صاحبنا أن نتمم فائدتها بذكر المأثور المطابق لما فيها من قوله وإثبات هذه الدلالة إلى آخره. فنقول أما قوله وقد علموا أن أبا بكر أعلمهم فهو مأثور في مواطن متعددة اعترف الصحابة فيها بقولهم فكان أبو بكر أعلمنا.

وأما قوله لا تجتمع أمتي على ضلالة فقد جاء فيه آثار كثيرة وفي كلام بعض الفضلاء أنه حديث متواتر وفي كلام بعض آخر منهم ما هذا لفظه واجتماع أكثر الأمة على محرم أو كفر لا يجوز (٢) لقوله ﷺ في الحديث الصحيح لا تجتمع أمتي على ضلالة ولقوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس.

(١) أي كلام الشيخ محمد السفاريني في كتابه شرح منظومة الآداب وهو كتاب جليل القدر

اهـ.

(٢) قوله لا يجوز أي لا يجوز وقوعه اهـ.

وروى الحافظ القزويني في السنن وذكر سنده إلى أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال أن أمتي لا تجتمع على ضلالة فإذا رأيتم اختلافًا فعليكم بالسواد (قال) في الحاشية أي فعليكم بموافقة الجماعة الكثيرة فإن اتفاهم أقرب إلى الصواب وأبعد عن الخطأ اهـ.

وأخرج الترمذي عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال أن الله لا يجمع أمتي على ضلالة ويد الله على الجماعة ومن شذ شذ إلى النار أو في النار اهـ (وروى) أبو داود عن أبي مالك الأشعري أن النبي ﷺ قال إن الله تعالى أجاركم من ثلاث خلال أن لا يدعو^(١) عليكم نبيكم فتهلكوا جميعاً وأن لا يظهر أهل الباطل على أهل الحق وأن لا يجتمعوا على ضلالة اهـ.

وقوله أن لا يظهر أهل الباطل على أهل الحق اختلفوا في معناه والصحيح أن ذلك في الحجة العلمية فالمراد إظهار أهل الحق بالحجج الواضحة والبراهين اللائحة لأن حجج أهل الإسلام أقوى وبراهينهم هي القاطعة للشبه فما تحتاج مؤمن وكافر إلا ظهرت حجة المسلم على الكافر وبهذا يزول الأشكال.

وأما قوله وأفضل الشهادة لمن علم أنه إلى الله صائر كلمة حق عند إمام جائر فقد جاء لها شواهد كثيرة منها قوله ﷺ سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ورجل قام إلى إمام جائر فأمره بمعروف ونهاه عن منكر فقتله اهـ أي فهو أعظم الناس شهادة عند الله عز وجل لأنه خاطر بنفسه ومن بين الصفتين على خوف ورجاء.

قال في الشراح جمع بينهما حثًا على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

(١) الظاهر أن لا في المواضع الثلاثة زائدة نظيره ما منعك أن لا تسجد اهـ مؤلف.

رمز له ك والضبا عن جابر قال الشيخ حديث صحيح (أقول) أنه سبق منا الوعد لصاحبنا إلا كرم أن كل حديث وقفنا عليه وفيه التصريح بذكر مدح مكارم الأخلاق ومحاسنها أن نثنيه في رسالتنا هذه تسميماً للفائدة واستر باحاً للعائدة.

فنقول روى الطبرانى فى الأوسط عن أم سلمة رضى الله عنها أنها قالت قال رسول الله ﷺ صنائع المعروف تقى مصارع السوء والآفات ولاهلكات والصدقة خفياً تطفى غضب الرب وصلة الرحم تزيد فى العمر وكل معروف صدقة وأهل المعروف فى الدنيا هم أهل المعروف فى الآخرة وأول من يدخل الجنة أهل المعروف أو كما قال ا هـ.

وهذا الحديث جامع لأنواع من المكارم ولكنه يحتاج إلى بيان وكشف عن فوائده فنقول أما قوله صنائع المعروف تقى أى تحفظ من مصارع السوء أى من الوقوع فى الهلاك إما فى الدنيا وإما فى الآخرة أو فيهما (ولقد) رأينا من غريب الواقع أن من كان له صنائع معروف قد ذهبت أمواله وتبددت بعد موته ولعله ممن ادخر له الحفظ فى الآخرة فترفع له الدرجات وينجو فيها من الهلكات وهو أمر لا يدل على سوء حال ذاك الرجل لأن الدنيا لا تزن عند الله جناح بعوضة كما فى الحديث لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء رواه الترمذى والضياء عن سهل بن سعد قال الشيخ حديث صحيح.

مطلب هل ورد أن الله يدفع البلاء عن أهل الأرض بالصالحين:

فصل فى جواب سائل سأل هل ورد فى الشرع ما يدل على أن الله يدفع عن أهل المعاصى العذاب بالصالحين بسبب طاعتهم وعباداتهم وإن

وجود الأولياء والأبدال سبب لرفع البلاء والنصر على الأعداء فإن جماعة من أهل البدع ينكرون ذلك ويسخرون من قائله وهو من جهلهم أقول أنه ورد في السنة ما يدل لذلك صراحة ولا يعتد بمن ينكره من أهل الأهواء المضلة فقد قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لولا شيوخ ركع وأطفال رضع وبهائم رتع لصب عليكم العذاب صباً رمز له طب هق قال الشيخ حديث حسن وجه الدلالة منه ظاهرة لا يخفى ثم إن صاحبنا الفاضل بحث معى فى حديث الأبدال هل يصلح الاستدلال به لهذه المسألة فقلت نعم وشرعت فى تحريره فمن ذلك قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الأبدال فى هذه الأمة ثلاثون رجلاً قلوبهم على قلب إبراهيم خليل الرحمن كلما مات رجل أبدل الله مكانه آخر رواه الإمام أحمد فى مسنده عن عبادة بن الصامت قال العزيزى وإسناده صحيح وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الإبدال فى أمتى ثلاثون رجلاً بهم تقوم (١) الأرض وبهم تمطرون وبهم تنصرون رواه الطبرانى فى الأوسط عن عبادة أيضاً قال العزيزى إسناده صحيح أيضاً.

وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الإبدال فى أهل الشام وبهم ينصرون وبهم يرزقون رواه الطبرانى أيضاً عن عوف بن مالك بإسناد حسن.

وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الإبدال بالشام وهم أربعون رجلاً كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلاً يسقى بهم الغيث ويتنصر بهم على الأعداء ويصرف عن أهل الشام بهم العذاب زاد فى رواية الحكيم الترمذى لم يسبقوا الناس بكثرة صلاة ولا صيام ولا تسبيح ولكن بحسن الخلق وصدق الورع وخلوص النية وسلامة الصدر أولئك حزب الله رواه الإمام أحمد أيضاً عن على رضى الله عنه بإسناد حسن ثم إن رواية الأربعين لا تنافى خبر الثلاثين لأن العدد لا مفهوم

(١) أى تعمر ا هـ.

له لاندرج الأقل فى الأكثر أو لأن الجملة أربعون منهم ثلاثون على قلب إبراهيم ومنهم عشر ليسون كذلك وقال ﷺ الأبدال أربعون رجلا كلما مات رجل أبدل الله مكانه آخر رواه الخلال فى كرامات الأولياء والديلمى فى الفردوس عن أنس ا هـ.

ومن غريب الاتفاق أن الحديث الأول رواه الإمام أحمد والثانى رواه الطبرانى وهو من طبقات الحفاظ من علماء الخنابلة كما نص عليه الحافظ بن الجوزى فى المناقب والحديث الثالث رواه الخلال وهو من أصحاب الإمام أحمد الأجلة والله أعلم ووجه الدلالة من هذه الأحاديث ظاهر ليس فيه خفاء ويأتى لذلك مزيد إن شاء الله تعالى فقد قال ﷺ إن الله تعالى يقول إنى لأهم بأهل الأرض عذاباً فإذا نظرت إلى عمار بيوتى والمتحابين فى والمستغفرين بالأسحار صرفت عذابى عنهم أى عن أهل الأرض إكراماً لمن ذكر رواه البيهقى عن أنس ودلالته ظاهرة لا خفاً فيها وقال ﷺ أن عمار بيوت الله أى المساجد بالصلاة والذكر والتلاوة والاعتكاف هم أهل الله وخاصته وحزبه هق طس عن أنس.

مطلب ذكر مسائل فقهية تباينت فيها أدلة الأئمة وهى سبع مسائل؛

فصل فى ذكر المسائل التى ذكرها الفقهاء فى أبواب مخصوصة وقالوا أن الأدلة فيها غموض وخفاء وتحتاج إلى نظر دقيق وفكر صائب وقد مرت بنا حال قراءتنا السنن بالحرم النبوى فى أبوابها وتكلم صاحب الحاشية على منطوق الأحاديث ومفاهيمها وقال الأولى التسليم للسنة الصحيحة الصريحة وكان صاحبنا الفاضل استشكل ذلك لقولهم لا إنكار فى مسائل الاجتهاد وتلك المسائل هى مسألة الشفعة إذا وقعت القسمة وصرفت الطرق ومسألة

خيار المجلس ورجوع البائع فيما باعه لمن حجر عليه الفليس إذا وجد بعينه وإذا حكم الحاكم بينه زور نفذ حكمه ظاهراً لا باطناً فلا يحل للمحكوم له أن يتصرف باطناً لعدم نفوذ حكمك الحاكم باطناً ولا يقتل مسلم بكاذر ثم إن صاحبنا أحب الوقوف على ما ورد في هذه المسائل من الأخبار الصحيحة فنقول أما الشفعة فقد جاء فيها أخبار كثيرة منها قوله ﷺ الشفعة في كل شركة^(١) في أرض أو ريع^(٢) أو حائط لا يصح له أن يبيع حتى يعرض على شريكه فيأخذ أو فيدع فإن أبى أى امتنع من عياضه فشريكه أحق به حتى يؤذنه رواه مسلم وأبو داود والنسائي عن جابر بن عبد الله واختلف الأئمة فيما لو اعلم الشريك بالبيع فإذن له فيه فباع ثم أراد الشريك أن يأخذ بالشفعة فقال الشافعي ومالك وأبو حنيفة وأصحابه له أن يأخذ بالشفعة لأن الحق له إنما يثبت بعد البيع وعن الإمام أحمد روايتان أهـ عزيزي أقول الصحيح عن الإمام أحمد موافقة الثلاثة وأن له أن يأخذ كما فى المنتهى والإقناع وأما عرضه على شريكه فمستحب فيكره بيعه قبل عرضه عليه تنزيهاً لا تحريماً والمكروه ليس بمباح مستوى الطرفين بل هو راجح الترك والله أعلم .

وقال ﷺ الشفعة فيما لم تقع فيه الحدود فإذا وقعت الحدود فلا شفعة أى لأن الشفعة إنما شرعت لإزالة شرر الشركة وبالقسمة زال الضرر فلا شفعة فيما قسم عند الجمهور والحديث رواه الطبرانى عن عمر .

وقال رسول الله ﷺ الشفعة فيما لم يقسم فإذا وقعت الحدود وصرفت الطرق فلا شفعة رواه الإمام الشافعي وغيره من الأئمة .

(١) أى شىء مشترك فيه .

(٢) أى منزل .

وقال عليه السلام الشفعة في كل ما لم يقسم فإذا وقعت الحدود وصرفت الطرق فلا شفعة رواه أبو داود في سننه .

وأما حديث الجار أحق بقصبة أى بما يليه ويقرب منه رواه البخارى وأبو داود .

وحديث جار الدار أحق بالدار رواه الترمذى .

وحديث الجار أحق بشفعة جاره ينتظر بها إذا كان غائباً إذا كان طريقهما واحداً رواه الترمذى أيضاً (فأجاب) المانعون الشفعة الجوار بأن الحديث الثالث منكر .

وقال ابن معين عن الحديث الثالث لم يره غير عبد الملك وقد أنكر عليه .

وقال شعبة سهى فيه عبد الملك بن سليمان .

وقال الإمام أحمد هو حديث منكر لا تحمل روايته وعن الثانى بأن الحسن رواه عن سمرة وأهل الحديث أنكروا لقاء الحسن له وعن الأول بأن الحق فيه مبهم ثم يحتمل أن المراد بالجار فى الأحاديث الشريك فإنه جار أيضاً والله أعلم .

(فصل) وأما خيار المجلس فقد وردت فيه الأخبار الصحيحة فحملها الشافعى ومن وافقه من أئمة الحديث على ظاهرها وأثبتوا خيار المجلس بالسنة الصحيحة الصريحة ونفاه آخرون لأدلة أخرى فمن تلك الأخبار قوله عليه السلام المتبايعان بالخيار ما لم يتفرقا أى لا أن يكون البيع عن خيار فإن كان البيع عن خيار فقد وجب البيع أى لزم متفق عليه من حديث ابن عمر .

وقال عليه السلام البيعان بالخيار ما لم يتفرقا فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما رواه الإمام أحمد والشيخان وأصحاب السنن عن حكيم بن حزام وقوله ما لم يتفرقا أى بأبدانهم عرفا وهو مذهب الشافعى ومن وافقه ومذهب أبى حنيفة ومالك حمل التفرق على تفرق الأقوال .

وفى السنن أى سنن ابن ماجة ما لفظه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال إذا تبايع الرجلان فكل واحد منهما بالخيار ما لم يتفرقا وكانا جميعا أو يخير أحدهما الآخر فإن خير أحدهما الآخر فتبايعا على ذلك فقد وجب البيع وإن تفرقا بعد أن تبايعا ولم يترك واحد منهما البيع فقد وجب البيع اهـ (كتب) فى الحاشية قوله إذا تبايع الرجلان أى جرى العقد بينهما فكل واحد منهما بالخيار أى لكل واحد منهما فسخ البيع ما لم يتفرقا عن المجلس بالأبدان وعليه الجمهور وهو ظاهر دلالة اللفظ .

وقيل المراد إذا تبايع الرجلان أى تساوما وجرى بينهما كلام البيع وإن لم يتم البيع بينهما إيجال ولا قبول فهما بالخيار إذ يجوز لكل واحد منهما أن يرجع عن العقد وقوله ولم يتفرقا أى بالأقوال وهو الفراغ عن العقد فصار حاصله لهما الخيار قبل تمام العقد ولا يخفى ما فيه إذا الخيار قبل تمام العقد ضرورى ولا فائدة فى قيامه مع ما فيه من حمل البيع على السموم وهو مجاز اهـ وحمل التفرق على الأقوال وكل ذلك لا يخلو عن بع على أن قوله فى الحديث وكانا جميعا الخ يأبى هذا الحمل جداً وهو ظاهر .

وقوله أو بخير أحدهما صاحبه هو بالنصب بمعنى إلا أن يخير أو بالجزم بالعطف على ما لم يتفرقا أى أو قال أحدهما للآخر اختر فقا اخترت أى

إمضاء البيع أو فسخه اهـ فلا خيار قبل التفرق وهذا لا يتم إلا على مذهب الجمهور القائلين بثبوت خيار المجلس.

وبالجمله فهذا الحديث نص قاطع فى ثبوت خيار المجلس ولا يجرى تأويل من خالف فيه والله أعلم انتهى كلام المحشى سدى وهو حنفى المذهب وقد ساقه الدليل إلى ما ذكره فى الحاشية (ثم) ذكر فى السنن ما هذا لفظه باب بيع الخيار وروى بسنده إلى جابر بن عبد الله قال اشترى رسول الله ﷺ من رجل من الأعراب حمل خبط^(١) فلما وجب البيع قال له رسول الله ﷺ اختر فقال له الأعرابى عمرك الله بيعاً (كتب) فى الحاشية ما هذا لفظه قوله اختر أى الثمن أو البيع وقوله عمرك الله من التعمير أى طول الله عمرك وقوله بيعاً هو بفتح الباء وتشديد الياء المكسورة منصوب على التمييز أى من بيع كأنه رضى الله منه بهذا القول فدعا له ومدحه اهـ كلام المحشى وهو يؤيد القول بثبوت خيار المجلس وهو ظاهر والله أعلم.

فصل وأما مسألة رجوع البائع فيما باعه لمن حجر عليه لفسل إذا كان المبيع قائماً ولم يقبض البائع من ثمنه شيئاً فقد قال بذلك الجمهور وجرى حجتهم السنة الصحيحة. قال ﷺ من أدرك متاعه بعينه عند إنسان أفلس فهو أحرث به متفق عليه عن أبى هريرة.

وقال ﷺ أيما رجل باع متاعاً فأفلس الذى ابتاعه ولم يقبض الى باعه من ثمنه شيئاً ووجد متاعه بعينه فهو أحرث به وإن مات المشتري فصاحب المتاع أسوة الغرماء^(٢) رواه مالك وأبو داود ومرسلاً ورواه أبو داود مسنداً أيضاً قال

(١) الخبط بفتح الخاء والباء اسم للورق المتناثر بسبب الضرب بالعصى يعلف به الدواب.

(٢) هذا أخذ به أحمد وجعل الموت مانعاً من الرجوع اهـ مؤلف.

ابن المنذر عند ذكره لحديث أبي هريرة مرفوعاً من أدرك متاعه بعينه عند إنسان أفلس فهو أحق به متفق عليه وبذلك قال عثمان وعلى ولا نعلم أحداً من أصحاب رسول الله خالفهما.

وفي السنن ما هذا لفظه عن أبي المعتمر عن أبي خلدة الرزقي وكان قاضياً بالمدينة قال جئنا أبا هريرة في صاحب لنا قد أفلس قال هذا الذي قضى به رسول الله ﷺ أيما رجل مات أو أفلس فصاحب المتاع أحق بمتاعه إذا وجده بعينه اهـ (١).

وفي السنن أيضاً قال النبي ﷺ أيما امرئ مات وعنده مال امرئ بعينه اقتضى منه شيئاً أو لم يقتض فهو أسوة الغرماء اهـ.

كتب في الحاشية ما هذا لفظه قوله فهو أحق به من غيره أى يجوز له أن يأخذه بعينه ولا يكون مشتركاً بينه وبين سائر الغرماء.

وهذا يقول به الجمهور وحمله الحنفية على ما إذا أخذه على حرم الشراء أو على البيع بشرط الخيار للبائع اهـ والقياس معهم لأن المشتري ملك المبيع ثم أفلس فما زال ملكه بالفلس إلا أن القياس لا يقاوم النص الصريح.

قال في الحاشية والحديث يبين أن الذى يأخذ هذا الموجود هو صاحب المتاع ولا يجعل مقسوماً بين الدائنين وهذا لا يخالف القرآن ولا مقتضى القرآن فيتعين اتباع ما صح عنه والله أعلم.

فصل وأما حكم الحاكم فهو لا يزيل الشيء عن صفته باطناً ودليلاً السنة الصحيحة الصريحة وهى قوله ﷺ إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلى ولعل

(١) هذا أخذ به الشافعى ولم يجعل الموت مانعاً من الرجوع اهـ مؤلف.

بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقض له على نحوها أسمع فمن قضيت له بشيء من حق أخيه وإنما هي قطعة من النار فليأخذها أو ليتركها وفي رواية فلا يأخذها رواه الإمام مالك والإمام أحمد والشيخان وأصحاب السنن عن أم سلمة رضى الله عنها (في هذه) السنة الصحيحة سريحة الدلالة على أن حكم الحاكم لا يزيل الشيء عن صفته باطنًا وسواء في ذلك العقود والأموال وإلا بضاع وغيرها والله أعلم.

وأما قتل المسلم بالكافر مطلقاً^(١) فهو ممنوع عند الجمهور ودليله السنة الصحيحة قال عليه الصلاة والسلام المسلمون تتكافأ دمائهم ويسعى بذمتهم أدناهم ولا يقتل مسلم بكافر وفي حديث على ما عندنا إلا كتاب الله وما في هذه الصحيفة وفيها ولا يقتل مسلم بكافر والأحاديث في ذلك صحيحة صريحة الدلالة والله أعلم.

(فصل) نقدم معنا حال قراءتنا للسنن حديث صحيح وهو قوله ﷺ لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا تضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون أو كما قال فوق البحث في أحاديث أخر وهي دالة على أنه لا بد أن تعيد اللات والعزى من دون الله وعلى أن أليات دوس لا بد أن تضطرب على ذى الخلصة وهم ضم لهم (وطلب) منا صاحبنا الفاضل الجواب عن ذلك فأقول أن أحاديث الطائفة لمبشر بنقائها إلى قيام الساعة كثيرة (منها) قوله ﷺ لا تزال طائفة من أمتي قوامه على أمر الله لا يضرها من خالفها حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون رواه ابن ماجه بإسناد صحيح .

(١) أى سواء كان حربياً أو ذمياً أهـ مؤلف .

وقال ﷺ لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة
أى إلى قرب قيامها (قال) المناوى لأن الله يحمى إجماع هذه الأمة عن الخطأ
رواه الحاكم عن عمر بإسناد صحيح .

وقال ﷺ لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من
خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك أخرجاه فى
الصحيحين عن المغيرة بن شعبة .

وفى رواية عن أبى أمامة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال لا تزال طائفة
من أمتى ظاهرين على الحق قاهرين لعدوهم حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك
(وجاء) فى الصحيح أنه سأل عنهم أين هم فقال وهم بالشام وفى بعض
الروايات وهم بيت المقدس وجاء فى رواية لا يزال أهل الغرب ظاهرين على
الحق حتى تقوم الساعة ولا منافات بين الروايات لإمكان الجمع .

وأما الأحاديث الدالة على وجود الكفر فى هذه الأمة وأن اللات
والعزى لا بد أن تعبد من دون الله قبل أن تقوم الساعة فكثيرة صحيحة لكنها
مؤولة عند أهل الحق على أن ذلك يكون بعد ظهور الآيات وانقضاء الخير من
أهل الأرض وذلك حين يبعث الله ريحاً لينة من قبل اليمين فتقبض روح كل
مؤمن ومؤمنة فلا يبقى الأشرار الخلق وعليهم تقوم الساعة فعند ذلك تعبد
الأوثان ويكثر الزور والبهتان .

وقد صح أن النبى ﷺ قال لا تقوم الساعة حتى لا يقال فى الأرض الله
الله حم م ت عن أنس وهو بتكرار لفظ الجلالة ورفعها على الابتداء والخبر
محذوف أى معبود (فإن قيل) أن هذه الطائفة المبشر ببقائها إلى قيام الساعة
كل فوقه تدعى أنها هى فما الجواب عن ذلك المزيج لهذه الشبهة .

والجواب أن النبي ﷺ وصف الطائفة بأنها لا تزال ظاهرة على من بأولها فاهرة لمن خلقها قوامه على أمر الله يجاهدون في سبيل الله وأنه لا يسلب الملك منهم ولو اجتمع عليهم من بين أقطارها فمن ادعاها من فرق الضلال ردت دعواه بعدم وجود الصفات والله أعلم.

أقول أن قوله ﷺ الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة الأجر والمغنم هو حديث متواتر وقوله الأجر والمغنم بدل من الخير فبدل ذلك على بقاء المجاهدين إلى يوم القيامة أى الذين يترتب على جهادهم الأجر لإخلاصهم والغنيمة لقتالهم الكفار (والمعنى) أن الخير ملازم للخيل كملازمة العقد للعتق وهى الخيل التى تربط للجهاد فى سبيل الله ولقمع الخارجين من أهل الفساد (وفيه) إشارة إلى أن أهل الحق لا يزالون يقاتلون أعداء الله إلى قيام الساعة (ثم) إن الجهاد تارة يكون بالفعل وتارة يكون بالاستعداد لدفع أعداء الدين ولو كانوا قطاع طريق (ومن) المعلوم أن وجود العساكر الإسلامية سبب لدفع غارات أهل الفساد أهل البغى والعناد الذين ملأوا الأرض نهياً وسلباً فى مواضع كثيرة فنسأله تعالى أن ينصر جيوش المسلمين وعساكر الموحدين بمنه وكرمه إنه جواد كريم رءوف رحيم.

مطلب فى رد كلام الوهابية بكلام الفاضل سليمان بن عبد الوهاب:

ولما تم تحريرنا لهذه المقالة أتحفتنا بعض إخواننا برسالة لمؤلفها وجامعها الشيخ سليمان بن عبد الوهاب أخ محمد بن عبد الوهاب صاحب الدعوة المشهورة التى طار ذكرها فى سائر الأقطار وانتشر صيتها حتى ما بلغه الليل والنهار فتأملت فيما تضمنته من المعانى العجيبة والتراكيب البديعة فإذا هى تحتوى على مقاصد حسنة (منها) أنه ينصح أخاه محمداً وأتباعه من الانحراف

عن الحق والهدى الذى جاء به نبينا محمداً ﷺ فقد قال ﷺ تركتكم على
بيضاء نقية ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك .

وأخبر ﷺ أن الحق مع السواد الأعظم من أمته وأن يد الله على
الجماعة وأن من شذ عن الجماعة شذ إلى النار (وأعتنى) فى الرد على أخيه
وأتباعه بما نقله عن الإمام أحمد وعن أصحابه الذين هم كانوا مصابيح الهدى
وأئمة الدين وحذره وحذروا أتباعه من أن يكونوا هم المنذر بهم فى قوله ﷺ
سيخرج قوم فى آخر الزمان أحداث الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من قول
خير البرية يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق
السهم من الرمية يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان سماهم التحليق .

وقد صح أن النبى ﷺ قال يخرج ناس من قبل المشرق ووصفهم بنحو
ما تقدم وزاد فيه يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه فى شىء من قتلهم كان
أولى بالله منهم .

وصح أن النبى ﷺ قال الفتنة من ههنا وكرر ذلك ثلاثاً وأشار إلى
المشرق وأحاديثهم مدونة فى الصحاح وفى السنن وقوله سيماهم التحليق
(قال) بعض أهل العلم هذا الوصف خاص بخوارج زماننا لا نعلم أحداً من
المبتدعة فعله غيرهم فإنهم كانوا يأمرون من أتبعهم أن يحلق رأسه ولا يتركونه
يفارق مجلسهم إذا تبعهم حتى يحلقوا رأسه .

ومن نص على ذلك السيد عبد الرحمن الأهدل مفتى زبيد قال لا
يحتاج أحد أن يرلف تأليفاً للرد على ابن عبد الوهاب بل يكفى قوله ﷺ
سيماهم التحليق فإنه لم يفعله أحد من المبتدعة غيرهم اهـ .

مطلب كلام سليمان بن عبد الوهاب في الرد على أخيه محمد:

فمن نفائس تلك الرسالة ما ذكره فيها بقوله من سليمان بن عبد الوهاب إلى حسن بن عيدان سلام على ما تتبع الهدى أما بعد فإنك كتبت لى غير مرة تستدعى علم ما عندى وها أنا أذكر لك بعض ما علمت فإن قيلت فهم المطلوب وإن أبيت فإنما الوبال عليك والله هو الغنى الحميد (اعلم) أن الله سبحانه وتعالى أرسل سيدنا محمد ﷺ بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وأنزل عليه كتاباً كريماً وفرقاناً فخيما فيه تبيان كل شىء وأنجز له تعالى ما وعده به من أعزاز كلمة الإيمان وإعلاء دينه على سائر الأديان إلى أن قال فى أثناء رسالته .

(فصل) ومما يدل على بطلان مذهبكم ما فى الصحيحين عن عقبه بن عامر أن النبى ﷺ حين صعد المنبر إنى لست أخشى عليكم أن تشركوا بعدى ولكن أخشى عليكم الدنيا أن تبسط عليكم فتنافسوا فيها فتقتلوا فتهلكوا كما هلك من كان قبلكم (قال) عقبه فكان هذا آخر ما رأيت رسول الله ﷺ ثم قال ومما يدل على بطلان مذهبكم ما فى الصحيح مسلم عن جابر بن عبد الله أن النبى ﷺ قال أن الشيطان قد أيس أن يعبد المصلون فى جزيرة العرب ولكن فى التحريش بينهم .

وروى الحاكم وصححه أبو يعلى والبيهقى عن ابن مسعود أنه قال قال رسول الله ﷺ أن الشيطان قد أيس أن تعبد الأصنام بأرض العرب ولكن رضى منهم بما دون ذلك بالمحقرات هى الموبقات .

وزوى الإمام أحمد والحاكم وصححه وابن ماجه فى سننه عن شداد بن أوس قال قلت يا رسول الله أتشرك أمتك من بعدك قال نعم أما أنهم لا

يعبدون شمسًا ولا قمرًا ولا وثناً ولكن يراءون بأعمالهم ا ه فسمى الريا شركًا أى أصغر ونفى عن أمته الشرك الأكبر فمن قال أن هذه المواضع كلها عبد فيها الشيطان وهى مملوءة من عبادة الأوثان من ستمائة سنة فقد أخطأ وتبين من هذه الأحاديث فساد قولهم وتزييف مذهبهم .

وفى الحديث الصحيح هلك المتنطعون قالها ثلاثًا ا ه والمتنطعون جمع متنطع أى المتعمقون المغالون فى الكلام ثم استعمل فى كل تعمق قولاً أو فعلاً (ولا ريب) أن هؤلاء الجماعة قد تعمقوا فى الأقوال والأفعال وخالفوا سبيل المؤمنين وفارقوا جماعة المسلمين فإننا لله وإننا إليه راجعون زين لهم الشيطان سوء أعمالهم فصدتهم عن السبيل ا ه (وقد) انتهى بنا النقل من رسالة الفاضل سليمان بن عبد الوهاب فى الرد على أخيه والله أعلم .

(فصل) ومما يناسب ما سبق ذكره ما ورد من الأخبار الصحيحة والآثار الصريحة الدالة على أن لزوم جماعة المسلمين والأخذ بما عليه إمامهم فرض على جميع الموحدين وأن من خالف ذلك فقد تعرض للمهلك فمن ذلك قوله ﷺ ستكون بعدى هناة وهناة فمن رأيتموه فارق الجماعة أو يريد أن يفرق أمر أمتى كائناً من كان فاقتلوه^(١) فإن يد الله مع الجماعة^(٢) وإن الشيطان مع من فارق الجماعة يركض ا ه أى فإنه تعالى جمع المؤمنين على شريعة واحدة فمن فارقهم خالف أمر الرحمن فلزمه الشيطان والحديث رواه النسائى وابن حبان وكذا الإمام أحمد عن عرفجة بن سريع رضى الله عنه (وقوله) ستكون بعدى هناة وهناة هى جمع هنة مؤنث هن وهو كناية عما

(١) أى إن لم يندفع شره إلا بالقتل كالصائل ا ه مؤلف .

(٢) أى حفظه .

يستحب ذكره من نحو الزنا وشرب الخمر فالمذكر يقال له هن والمؤنث يقال له هنة (وقال) فى النهاية أى شرور وفساد يقال فى فلان أى خصال من الشر ولا تقال فى الخير اهـ.

أقول أن التفسير الأول أليق باللفظ أى لفظ هناة وأما تفسير صاحب النهاية فه وأليق بالسياق اهـ. وفى الحديث من تعزى بعزاء الجاهلية فأعضوه على هن أبيه ولا تكنوا اهـ.

وفى صحيح البخارى من حديث ابن عباس أن النبى ﷺ قال من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر عليه فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات إلامات ميتة جاهلية اهـ.

وفى صحيح البخارى أيضاً أن حذيفة بن اليمان كان يقول أن الناس كانوا يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركنى فقلت يا رسول الله إنا كنا فى جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر قال نعم قلت وهل بعد ذلك الشر من خير قال نعم وفيه دخن قلت وما دخنه قال قوم يهدون بغير هدى تعرف منهم وتنكر (قلت) وهل بعد ذلك الخير من شر قال نعم دعاء على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها قلت يا رسول الله صفهم لنا قال هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا.

قلت فما تأمرنى إن أدركنى ذلك قال^(١) تلزم جماعة المسلمين وأمامهم الخ (فتأمل فى هذا الأخبار) الصحيحة والآثار الصريحة يظهر لك أن الحق فيما عليه جماهير الأمة وسراة الأئمة ولا نتلفت لغير ذلك تنجو من المهالك

(١) أى أمرك بأن تلزم فدخله الحذف اهـ مؤلف.

والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم وطريق قويم لا رب لنا غيره ولا معبود بحق سواه والله أعلم.

وكتب الإمام أحمد إلى أهل البصرة ما هذا لفظه أوصيكم ونفسي بتقوى الله العظيم ولزوم الجماعة فقد علمتم ما حل بمن خالفها وما جاء فيمن اتبعها الخ (وروى) في مسنده أن النبي ﷺ قال من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ريقه^(١) الإسلام من عنقه.

وروى أبو يعلى في مسنده عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة وتفرقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة وتفرقت أمتى على ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار إلا واحدة وهى الجماعة اهـ.

وفى سنن ابن ماجة أن النبي ﷺ قال والذى نفس محمد بيده لتفترقن أمتى على ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار إلا واحدة قبل من هم يا رسول الله قال هم الجماعة اهـ.

قال فى الحاشية أى الموافقون لجماعة الصحابة الآخذون بعقائدهم المتمسكون برأيهم المقتدون بهديهم والله أعلم.

مطلب فى ذكر الأحاديث التى أنكر بعض المتكلمين صحتها؛

(فصل) فى ذكر الأحاديث التى أنكر بعض المتكلمين صحتها واعترضوا عليها بحسب ما ظهر لهم من قواعد الشريعة المطهرة وقد ذاكرنى فى ذلك صاحبنا الفاضل وطلب بيانها تنميماً للفائدة فأقول منها قوله ﷺ لتؤدن

(١) والريقة حبل يربط فى أعناق العجول الصغار لتحلب الأمهات والمعنى أن من فارق جماعة المسلمين فقد انحل من قيد الإسلام بالكلية اهـ مؤلف.

الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلهاء من الشاة القرناء تنطحها رواه الإمام أحمد ومسلم والترمذى ففيه التنبيه على إعادة البهائم فى القيامة كما يعاد الأطفال والمجانين وعلى ذلك تظاهرت دلائل الكتاب والسنة ويكون ذلك تحقيقاً للعدل لا قصاصاً إذ لا تكليف على الدواب وإذ ورد لفظ الشرع مستبعداً ولم يمنع منه عقل ولا شرع وجب حمله على ظاهرة وتلقيه بالقبول (وفى الحاشية الحنفى) ما لفظه ومن أنكر حشر الدواب لا يكفر حيث كان عنده تأويل كأن يقول أن فائدة الحشر الحساب وهى لا تكليف عليها ويرد أى قوله بأن الحشر أى حشر الدواب لتحقيق العدل فلا يلزم أن يختص بالملكفين اهـ.

وأقول أن الذى يختص بالملكفين هو القصاص الذى يترتب عليه الخلود فى أحد الدارين الجنة أو النار وأما قصاص المقابلة فلا مانع منه وقد صحت به السنة فالتحامل أردھا لا يليق وهو من سوء الأدب.

وفى الخازن عند قوله تعالى وإذا الوحوش حشرت ما لفظه أى جمعت يوم القيامة ليقتص لبعضھما من بعض (قال) قتادة يحشر كل شىء حتى الدواب للقصاص فإذا قضى بينهما ردت تراباً اهـ وقد أنكر كثير من المتكلمين وقوع القصاص بين البهائم لعدم التكليف والسنة الصحيحة حجة عليهم والله أعلم.

ومن الأحاديث التى وقع الإنكار لها من بعض المتكلمين حديث الخبر الذى جاء النبى ﷺ فعن عبد الله بن مسعود أن حبراً جاء إلى النبى ﷺ فقال يا محمد إن الله يضع السماء على إصبع والأرض على إصبع والجبال على إصبع والشجر والأنهار على إصبع وسائر الخلق على إصبع ثم يقول أنا الملك

أنا الملك أين ملوك الأرض فضحك رسول الله حتى بدت نواجذه تعجباً
وتصديقاً لقول الحبر وقرأ وما قدر الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم
القيامة والسماوات مطويات بيمينه وهو فى الصحيحين عن عبد الله بن مسعود
وعن ابن عمر وعن أبى هريرة.

قال الخطابى نحن ننتهى إلى حيث انتهى بنا الكتاب والأخبار الصحيحة
وهذا مذهب أهل السنة والجماعة قاطبة اهـ.

وقد أنكر على ابن مسعود ما فهمه بعض المتكلمين من أن ضحك النبي
ﷺ كان تصديقاً لقول الحبر وقال إنما ضحك تعجباً من تجسيم الحبر اهـ
(وأقول) أن ابن مسعود كان من علماء الصحابة الأجلة وهو أعلم بمراد رسول
الله ﷺ وحديث الأصابع صحيح لا شبهة فيه وهو من الأحاديث التى يجب
الإيمان بها مع التنزيه لله عن مشابهة المخلوقين كبقية أحاديث الصفات وآياتها
نؤمن بها مع تنزيهنا لله عن مشابهة المخلوقين والله أعلم.

ومنها حديث قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن جل وعلا
يقلبها كيف يشاء نقل بعض المحققين أن الخطابى أنكر ورود حديث صحيح
فى الأصابع وعبارته إن ذكر الأصابع لم يوجد فى شىء من الكتاب والسنة
المقطوع بصحتها قال المحقق وهذا عجيب منه بل هو موجود وثابت فى السنة
الصحيحة.

وقد ورد فى صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو ولفظه أن
قلوب بنى آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه كيف
يشاء ثم قال عليه السلام اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا إلى طاعتك وقال
هذا المحقق أيضاً.

وقد روى هذا الحديث من طرق عن جماعة من الصحابة (منهم) النواس بن سميان الكلابي (ولفظه) قال النبي ﷺ من من قلب إلا وهو بين إصبعين من أصابع الله عز وجل إن شاء أقامه وإن شاء أزاغه (وكان) ﷺ يقول اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك رواه الإمام أحمد والحاكم في صحيحه (ومنهم) أم سلمة أم المؤمنين رضی الله عنها قالت كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في دعائه اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك قالت فقلت يا رسول الله وإن القلوب لتقلب فقال نعم .

ومنهم أبو ذر قال قال رسول الله ﷺ إن قلوب بني آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن فإذا شاء صرفه وإذا شاء بصره ذكره الحافظ بن خزيمة في صحيحه مطولا .

قال النووي رحمه الله حديث الأصابع هو من الأحاديث المتشابهة وللعلماء فيه مذهبان :

الأول وجوب الإيمان به من غير تعرض لتأويل ولا لمعرفة المعنى المراد بل تؤمن به وإن ظاهره غير مراد لقوله تعالى ليس كمثله شيء .

المذهب الثاني أنها تؤول بحسب ما يليق فعلى هذا فالمراد المجاز كما يقال فلان في قبضتي وفي كفى أتصرف فيه كيف شئت فمعنى الحديث أنه تعالى يتصرف في قلوب عباده كيف يشاء ولا يفوته منها ما أراد اهـ .

والمذهبان يجريان في جميع آيات الصفات وأحاديثها ونظير أحاديث الأصابع ما صح أن النبي ﷺ قال إن الله ييسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار وييسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل فعلى مذهب أهل التأويل معناه أنه يقبل التوبة من عباده ويعفو عن السيئات وله نظائر كثيرة والله أعلم .

مسألة في الكسوف:

ومن الأحاديث التي وقع عليها الإنكار ما رواه الحافظ القزويني في السنن وهو قوله ﷺ أن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته ولكنهما آيتان من آيات الله يخوف الله بهما عباده وإذا تجلى الله لشيء من خلقه خشع له اهـ.

قال في حواشي السنن قال الغزالي هذه الزيادة غير صحيحة نقلا فيجب تكذيب ناقلها وبنى ذلك على أن أقوال الفلاسفة في باب الكسوف والخسوف حق لما قام عليها من البراهين العقلية وهو أن خسوف القمر عبارة عن انحاء ضوئه بتوسط الأرض بينه وبين الشمس من حيث أنه يقبض نوره من الشمس والأرض كرة والسماء محيطة بها من الجوانب فإذا وقع القمر في ظل الأرض انقطع عنه نور الشمس فحدث فيه الكسوف وإن الكسوف الشمس سببه وقوع جرم القمر بين الناظر والشمس وذلك عند اجتماعهما في العقدين على دققة واحدة اهـ.

قال ابن القيم إسناده هذه الزيادة^(١) لا مطعن فيه ورواته كلهم أئمة ثقات حفاظ ولكن لعل هذه اللفظة مدرجة في الحديث من كلام بعض الرواة ولهذا لا توجد في سائر ألفاظ الأحاديث التي في الكسوف.

فقد روى حديث الكسوف عن النبي ﷺ بضعة عشر صحابياً ولم يذكر أحد منهم هذه اللفظة في حديثه في حديثه فمن نشأ احتمال الإدراج اهـ.

وقال السبكي قول الفلاسفة صحيح كما قال الغزالي لكن إنكار الغزالي

(١) وهي إن شاء الله إذا تجلى لشيء من خلقه خشع له اهـ مؤلف.

هذه الزيادة غير جيد فإنه مروى فى النسائى وغيره وتأويله ظاهر فأى بع فى أن العالم بالجزئيات ومقدار الكائنات سبحانه يقدر فى الأزل خشوعها يتوسط الأرض بين القمر والشمس ووقوف جرم القمر بين الناظر والشمس ويكون ذلك وقت تجليه سبحانه وتعالى عليهما فالتجلى الإلهى هو السبب لكسوفها قضت العادة بأنه يقارن توسط الأرض ووقوف جرم القمر ولا مانع من ذلك (ولا ينبغي) منازعة الفلاسفة فيما قالوا إذا دلت عليه براهين قطعية انتهى كلام السبكى.

أقول أن العلامة القسطلانى فى شرح البخارى ذكر هذه المسألة وذكر أن جماعة من العلماء الراسخين ردوا على الفلاسفة وزيفوا مقالاتهم ومن رد عليهم ابن العربى الفقيه المحدث رد عليهم وزيف مقالاتهم ووافقهم جماعة من العلماء وذكروا أن الشافعى جوز وقوع الكسوف والخسوف مع العيد وقالوا أن قول المنجمين فى استبعاد ذلك لا يعول عليه لأنه حدس وتخمين والله على كل شىء قدير اهـ.

ذكر الاختلاف فى إيمان فرعون:

ومن الأحاديث التى وقع الإنكار عليها ما جاء فى التفسير عند قوله تعالى فلما أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنوا إسرائيل وأنا من المسلمين الخ.

وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال لما أغرق الله فرعون قال آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنوا إسرائيل وأنا من المسلمين قال جبريل يا محمد فلو رأيتنى وأنا آخذ من حماء البحر فأدسه فى فيه مخافة أن تدركه الرحمة أخرجته الترمذى وقال حديث حسن.

وعن عدى بن ثابت وعطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ذكر أحدهما عن النبي ﷺ أنه ذكر أن جبريل عليه السلام جعل يدس في فرعون الطين خشية أن يقول لا إله إلا الله فيرحمه الله أو خشية أن يرحمه الله أخرجه الترمذى وقال حديث صحيح (قال) فى الخازن قد ورد هذا الحديث من طريقين عن ابن عباس وقد اعترض الإمام فخر الدين على هذا الحديث بما حاصله كيف يصح أن جبريل أخذ يملأ فم فرعون بالطين لثلاث يتوب غضباً عليه (وقال) الرازى والجواب الأقرب أنه لا يصح لأنه لو كان قد رضى ببقائه على الكفر لكفر ولأن الرضا بالكفر كفر إلى آخر ما أتى به من الكلام الطويل قال فى الخازن والجواب عن هذا الاعتراض أن الحديث قد ثبت عن النبي ﷺ وحيث ثبت فلا اعتراض لأحد عليه وقول أهل السنة المثبتين للقدر أنهم يقولون إن الله يحول بين الكافر والإيمان (ويدل) على ذلك قوله واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وقوله تعالى ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة.

وأيضاً فدس الطين فى فم فرعون من جنس الطبع والختم على القلب أى قلب الكافر ومنع الإيمان والله سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يسأل عما يفعل وما فعل ذلك جبريل إلا بأمر الله فهو منفذ لأمر الله والله أعلم.

وفى الجامع الصغير ما لفظه عن النبي ﷺ أنه قال قال لى جبريل لو رأيتنى يا محمد وأنا آخذ من حماء البحر حين قال فرعون آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنوا إسرائيل فأدسه فى فم فرعون مخافة أن تدركه الرحمة أى لرأيت أمراً عجيباً رمز له حم ك عن ابن عباس وقال صحيح.

وكتب الحنفى فى الحاشية ما هذا لفظه وفعل ذلك من سيدنا جبريل عليه السلام ليس لكراهة أسلام فرعون معاذ الله بل لعلمه بأنه لا ينفعه الإسلام حيثئذ لكونه وقت الغرغرة ومعاناة العذاب قال تعالى فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا ولسبق علمه تعالى بشقاوة فرعون فمنه من النطق بذلك مخافة أن يصيبه شيء من أثر الرحمة مع كونه معدوداً من الفجار اهـ (فقيه) (١).

(إشارة) إلى الرد على من يقول بصحة إيمان فرعون وإلى الرد على من منع صحة الحديث الوارد فيه كلام تقدم عن الرازى والله أعلم.

فى بعض المجالس العلمية جرى البحث بيننا وبين صاحبنا الفاضل فى شبط لفظ وقع فى الحديث الصحيح قال أبو موسى كنا مع النبى ﷺ فى سفر فكنا إذا علونا كبرنا فقال النبى ﷺ أيها الناس أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً ولكنكم تدعون سميعاً بصيراً قريباً قال أبو موسى ثم أتى على وأنا أقول فى نفسى لا حول ولا قوة إلا بالله فقال لى يا عبد الله عن قيس قل لا حول ولا قوة إلا بالله فإنها كنز من كنوز الجنة اهـ فبعد المراجعة وجدنا اللفظة فى شرح القاموس وضبطها بكسر الهمزة وفتح الباء ومعناه ارفقوا ولفظه هكذا وربيع كمنع ومنه قولهم أربع عليك أو على نفسك اهـ وسبق لنا حال قراءتنا لحصة فى الفقه الحنبلى بالحرم النبوى أن صاحب الإقناع ذكر أنه يسن لمن رفع رأسه واعتدل عن الركوع أن يقول قائماً ربنا ولك الحمد ملء السماء وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد قال وإن زاد أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد لا مانع لما أعطيت ولا

(١) أى فى دس الطين فى قم فرعون اهـ مؤلف.

معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد فحسب فكننت أتوقف فى ذلك لقوله عليه السلام من أم بالناس فليخفف حتى رأيت فى السنن ما يرشد إلى استحباب ذلك ونص السنن هكذا.

بيان قوله ﷺ ولا ينفع ذا الجد منك الجد:

باب ما يقوله إذا رفع رأسه من الركوع ثم ذكر سنده إلى أين أبى أوفى أنه قال كان النبى ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع قال سمع الله لمن حمده اللهم ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما شئت من شىء بعد ثم ذكر بعد ذلك ما هذا لفظه أن أب جحيفة رضى الله عنه قال ذكرت الجود عند رسول الله ﷺ وهو فى الصلاة فقال رجل جد فلان فى الخيل وقال آخر جد فلان فى الإبل وقال آخر جد فلان فى الغنم وقال آخر جد فلان فى الرقيق فلما رفع رأسه من الركعة قال اللهم ربنا ولك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما شئت من شىء بعد اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد وطول رسول الله ﷺ بالجد صوته ليعلموا أنه ليس كما يقول اهـ.

وأما المسنون من ذلك فهو ما اختاره صاحب التنقيح وتبعه صاحب المنتهى وهو أن لا يزيد على قوله ربنا ولك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما شئت من شىء بعد اهـ.

وفى المنتهى وشرحه ما لفظه وإذا قام أى استوى قائمًا قال ربنا ولك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما شئت من شىء بعد قال فى شرحه وظاهره كالتنقيح لا يستحب له الزيادة على ذلك وصحح فى الإنصاف تبعًا للمعنى والشرح زيادة أهل الثناء والمجد الخ اهـ والذى اختاره الإمام

وأكثر الأصحاب ملء السموات بالإفراد الخ والله أعلم، ومن غريب ما اتفق لنا حال قراءتنا بالحرم النبوي لحصة في ابن عقيل أن صاحب الحاشية ذكر البيت المشهور:

لا تهين الفقير علك أن تر كع يوماً والدهر قد رفعه
قال في الحاشية وبعده:

وصل جبال البعيد أن وصل الحد جبل وأقص القريب أن قطعه
وأرض من الدهر ما أتاك به من قر عيناً بعيشه نفعه
قد يجمع المال غير آكله ويأكل المال غير من جمعه

فبحث صاحبنا الفاضل في هذه الآيات وقال أنها من الحكم فهل ترى فيها مخالفة للحكم الشرعية فقلت له أن الحكم الشرعية تأمر بالصلة للأرحام وبالإحسان للجيران وبالعفو عند المقدرة كما هو مقرر في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية قال تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وقال تعالى ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور.

وقال عليه السلام أفضل الفضائل أن تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك وتحسن إلى من أساء إليك وكلام الشاعر بخلاف ذلك اللهم إلا أن يحمل كلام الشاعر على من قطع جبل المودة لؤماً منه ولا ينفع الإحسان معه ولا يفيد فحيتنذ يكون لكلام الشاعر وجه وظاهر الشرع يأبى ذلك والله أعلم بما هنالك فاتباع ما جاء به الشرع لعمرى وأولى وفيه الخير العميم والفوائد التي لا تحصى والله أعلم ومن الفوائد العلمية التي مرت بنا بالمدينة المنورة أن صاحبنا لنا دعانا لمنزله وعنده دعوة كبيرة قد جمعت أصنافاً من

الناس فأنزل كل جماعة من الحاضرين فى بيت مخصوص من داره فكنا مع جماعة من الذوات المتنعمين فجلسوا على حكايات لائقة بأمثالهم وطال المجلس فضاق صدرى لذلك وطلبت الخروج فأحس صاحب المنزل بغرضى وأمر لى بغرفة من داره منفردة عن الناس فجلست وفيها عدة من الكتب الشرعية فطلبت كتاباً منها فناولنى كتاب الغنية للعارف بالله الشيخ عبد القادر الجيلى ففتحتة وتيمنت بما فيه ووقفت على ذم المجلس الذى لا يذكر الله فيه فنقلت الآثار الواردة عن النبى ﷺ فمن ذلك قوله ﷺ ما اجتمع قوم ثم تفرقوا عن غير ذكر الله وصلاة على النبى ﷺ ألا قاموا على أنتن من جيفة وهو حديث صحيح رواه الطيالسى والبيهقى والضياء المقدسى عن جابر بن عبد الله .

وقال ﷺ ما اجتمع قوم فتفرقوا عن غير ذكر الله إلا كأنما تفرقوا عن جيفة حمار وكان ذلك المجلس عليهم حسرة يوم القيامة رواه الإمام أحمد عن أبى هريرة .

مطلب فى قوله ﷺ ما جلس قوم مجلساً لم يذكروا الله فيه إلخ

وقال ﷺ ما جلس قوم مجلساً لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيهم إلا كان عليهم ترة أى تبعة فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم رواه الترمذى وابن ماجه عن أبى هريرة وأبى سعيد (وكذلك) أطلعنا على مدح المجلس يذكر فيه فأحببنا نقل المأثور من ذلك فمنه قوله ﷺ ما جلس قوم يذكرون الله عز وجل فيقومون حتى يقال لهم تفرقوا قد غفر الله لكم ذنوبكم وبدلت سيئاتكم حسنات رواه البيهقى والطبرانى والضياء المقدسى عن سهل بن حنظلة .

وقال ﷺ ما اجتمع قوم على ذكر الله ففرقوا عنه إلا قيل لهم قوموا مغفوراً لكم أى من أجل الذكر (قال) المناوى وفيه رد على مالك رحمه الله حيث كره الاجتماع لنحو قراءة أو ذكر والحديث رواه الحسن بن سفيان عن سهل بن الحنظلة .

وقال ﷺ ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويبتدأرسونه فيما بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فىمن عنده رواه أبو داود بإسناد صحيح (قال) النووى فيه دليل لفضل الاجتماع على تلاوة القرآن فى المسجد جماعة وألحق بالمسجد نحو مدرسة ورياض ومسكن .

وقال فى العزيرى أخذ منه فضل ملازمة الصوفية للزوايا والربط لكن على الوجه المعروف المرضى فى الشرع والله أعلم .

ومن غريب ما مر معنا فى الحرم النبوى أن رجلين أتياى بعد صلاة المغرب وهما على هيئة المستخدمين فى العسكرية وأحدهما يقود الآخر فقال لى إن هذا يقول أن حلق اللحية سنة واتخاذها لا يليق فستأتيه عن ذلك فقال نعم أن أهل المدينة يفعلون ما أقول فقلت له إن حلق اللحية سنة المجوس واتخاذها سنة النبيين والأحاديث الصحيحة تؤيد ذلك فقال لى إن حلق اللحية حرام عند الحنابلة وهو مذهبك ثم إنه اختفى منى وخاف عاقبة ذلك فأحبيت ذكر ما ورد فى حلق اللحية وبيان اختلاف العلماء فى ذلك وقد عم البلاء خصوصاً فى الحرمين توسعوا فى حلق اللحية وقصها وتصفيها فهاك ما تيسر من الأحاديث الواردة عن النبى ﷺ الأمرة بإعفاء اللحية وحف الشارب، فمنها قوله ﷺ خالفوا المشركين أحفوا الشوارب وأوفرروا اللحى وفى رواية

وأعفوا اللحي رواه الشيخان عن ابن مر قال العلقمي قال شيخنا هو بقطع
الهمزة ووصلها من أحفى شاربه وحفاه إذا استأصل أخذ شعره قال والمراد هنا
أحفوا ما طال عن الشفتين فالمختار أنه يقص حتى يبدو طرف الشفة ولا يحفه
من أصله اهـ عزيزى .

وقال ﷺ انهكوا الشوارب وأعفوا اللحي حديث صحيح قال فى النهاية
إحفاء الشوارب المبالغة فى قصها وأما استئصالها بالكلية فالمنقول عن مالك
كراهته والمنقول عن المكفوفين استحسانه .

وقال مالك هو مثله يؤدب فاعله اهـ .

ذكر حكاية أدبية:

وفى أثناء تحريرنا لهذه المقالة أتحفنا بعض الفضلاء من أصدقائنا بعبارة
منقولة عن الفتح فتح القدير من أجل كتب السادة الحنفية فأثرنا نقل البعض
منها تميمًا للفائدة وهذا نص عبارتها قال فى النهاية وما وراء ذلك أى القبضة
يجب (١) قطعه هكذا عن رسول الله ﷺ أنه كان يأخذ من اللحية من طولها
وعرضها أورده أبو عيسى الترمذى فى جامعه رواه من حديث عبد الله بن
عمرو بن العاص ثم قال (فإن قلت) يعارضه ما فى الصحيحين عن ابن عمر
أن النبى ﷺ قال أحفوا الشوارب وأعفوا اللحي (فالجواب) أنه قد صح عن
ابن عمر راوى هذا الحديث أنه كان يأخذ ما زاد على القبضة .

قال محمد بن حسن فى كتاب الآثار أخبرنا أبو حنيفة عن الهيثم بن أبى
الهيثم أن ابن عمر كان يقبض على لحيته ثم يقص ما تحت القبضة ورواه أبو

(١) (قوله) يجب قطعه لعله أراد بالوجوب التأكيد كقوله ﷺ غسل الجمعة واجب على كل
محتلم اهـ مؤلف .

داود والنسائي في كتاب الصوم عن علي بن الحسين بن شفيق عن الحسن بن واقد عن مروان بن سالم المقتع قال رأيت ابن عمر يقبض على لحيته فيقطع ما زاد على الكف وقال كان النبي ﷺ إذا أفطرنا قال ذهب الظماء وابتلت العروق وثبت الأجر إن شاء الله تعالى ذكره البخاري تعليقا فقال وكان ابن عمر إذا حج أو اعتمر قبض على لحيته فما فضل أخذه (وقد روى) عن أبي هريرة أنه كان يقبض على لحيته فيأخذ ما فضل عن القبضة فأقل ما في الباب أن لم يحمل على النسخ كما هو أصلنا في عمل الراوي على خلاف مرويه مع أنه روى عن غير الراوي أيضا وعن النبي ﷺ (١) فيحمل الإغفاء على إغفائها من أن يأخذ غالبها أو كلها كما هو فعل مجوس الأعاجم من حلق لحاهم وكما يشاهد في الهنود وبعض أجناس الإفرنج فبذلك يقع الجمع بين الروايات (ويؤيد) إرادة هذا ما في مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال جزوا الشوارب وأعفوا للحى خالفوا المجوس فهذه الجملة واقعة موقع التعليل وأما الأخذ منمها وهي دون ذلك كما يفعله بعض المغاربة ومحنة الرجال فلم يبحه أحد انتهى كلامه بحروفه (فتأمل) في قوله فلم يبحه أحد هل مراده من أهل مذهبه أم من جميع المذاهب وهو نص صريح في منع الأخذ من اللحية إلا ما زاد على القبضة وهو موافق لما نص عليه علماء الحنابلة حيث قالوا ولا بأس بأخذ ما زاد على القبضة منها وللملكية كلام يشعر بالاختلاف (٢) في مذهبهم (وقد عم البلاء بذلك) ولا سيما في الحرمين

(١) أى وروى عن النبي أيضا اهـ.

(٢) قوله بالاختلاف في مذهبهم قال عياض يكره قصنها وحلقها وتحريفها وقال القرطبي في الفهم لا يجوز حلقها ولا تنفها ولا قص الكثير منها وقال عياض وأما الأخذ من طولها فحسته ويكره الشهرة في تعظيمها كما يكره في قصها وجزها وكره مالك طولها جداً اهـ من شرح الإحياء.

الشريفيين اهـ مؤلف فالحكم لله العلى الكبير فترى كل أحد يتصرف على هواه من غير التفات للنص الحلى والله أعلم.

بيان الأحاديث المأخوذة من مسانيد الأئمة رضى الله عنهم؛

ومن غريب ما اتفق لنا بالحرم النبوى أن جماعة أحضروا لنا رسالة مطبوعة بمصر وغيرها وهى تحتوى على أربعين حديثًا من أوائل كتب السنة الشهيرة يذكر من أول كل كتاب حديثًا وطلبوا قراءتها بالحرم النبوى فانشرح صدرى لذلك والله أعلم بما هنالك وشرعنا فى قراءتها لجماعة من أهل الصدق والوفاء من الغرباء المجاورين والفضلاء الصادقين فأحببت أن آخذ من مسانيد الأئمة الأربعة أحاديث الأوائل منها بذكر شيوخهم فهالك ما تيسر.

(مسند الموطأ) قال الإمام مالك رحمه الله حدثنا ابن شهاب أن ابن عمر ابن عبد العزيز أخر الصلاة يومًا فدخل عليه عروة ابن الزبير فقال له أن المغيرة ابن شعبة أخر الصلاة يومًا وهو بالكوفة فدخل عليه أبو مسعود الأنصارى فقال له ما هذا يا مغيرة أليس قد علمت أن جبريل عليه السلام نزل فصلى فصلى رسول الله ﷺ أى بصلاته ثم صلى أى جبريل فصلى رسول الله ﷺ أى بصلاته ثم قال بهذا أمرت فقال عمر ابن عبد العزيز اعلم ما تحدث به يا عروة أو أن جبريل هو الذى أقام للنبي ﷺ وقت الصلاة قال عروة كذلك كان بشير بن أبى مسعود يحدث عن أبيه قال عروة ولقد حدثتني عائشة رضى الله عنها أن النبي ﷺ كان يصلى العصر والشمس فى حجرتها قبل أن تظهر.

(مسند الإمام أبى حنيفة) قال رحمه الله حدثنا عطاء عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ أنه قال من داوم أربعين يومًا على صلاة الغداء والعشاء فى جماعة كتب له براءة من النفاق وبرائة من الشرك.

(مسند الإمام الشافعي) قال رحمه الله كتاب الطهارة أخبرنا مالك عن صفوان بن سليم عن سعيد بن سلمة رجل من آل ابن الأزرق أن المغيرة بن أبي بردة أخبره أنه سمع أبا هريرة يقول سأل رجل رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله إنا نركب البحر ونحمل معنا القليل من الماء فإن توضأنا به عطشنا أفترضاً بماء البحر فقال رسول الله ﷺ هو الطهور ماؤه الحل ميتته الكتاب العاشر.

(مسند الإمام أحمد) رحمه الله نم رواية ولده الإمام عبد الله أنه قال حدثنا أبي أحمد بن محمد بن حنبل قال حدثنا عبد الله بن نمير قال أخبرنا إسماعيل يعني ابن خالد عن قيس قال قام أبو بكر رضى الله عنه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم وإنا سمعنا رسول الله ﷺ يقول إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقابه.

ورواه أيضاً ببعض مغايرة في المتن والسند قال أى عبد الله حدثنا أبى قال حدثنا محمد بن جعفر قال حدثنا شعبة عن إسماعيل قال سمعت قيس بن أبى حازم يحدث عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه أنه خطب فقال يا أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية وتضعونها على غير ما وضعها الله يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم وإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه يوشك أن يعمهم الله بعقابه انتهى.

وسبق لنا حال قراءتنا للسنن بالحرم النبوى أن سائلا من خطباء الحرم النبوى عن قوله عليه السلام العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور

ليس له جزاء إلا الجنة هل هو بالرفع للجزأين أن ينصب الأول ورفع الثاني وما معنى إلى في الحديث .

والجواب أن إلى هي للانتهاء على أصلها والمعنى أن العمر منتهية إلى العمرة كفارة لما بينهما من صفات فيكون هو العمرة الأولى ويحتمل أن تكون إلى بمعنى مع فيكون المكفر العمرتين معاً ويدل لهذه الحديث الثاني وهو قوله عليه السلام العمرتان تكفران ما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة وأما الأعراب فالظاهر لنا أن قوله ليس له جزاء إلا الجنة أن له حبراً مقدماً للبس وجزل أصلها مؤخر وإلا الجنة بدل من جزاء ووقفنا على كتابة قديمة على هامش الصحيح بقلم أحد فضلاء علماء الأزهر يجوز في الإعراب أن تكون ليس مهملة لاتنقاض النفي بألا نظير قولهم ليس الطيب إلا المسك والظاهر أنه مذهب كوفي ويحتاج إلى مراجعة المعنى على ليس والله أعلم .

مسألة قوله عليه السلام نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس؛

وكذلك وقع بيننا وبين الفاضل بحث في إعراب الحديث الصحيح وهو قوله ﷺ نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ فذهب وهلى إلى أن هذا يقاس على قوله عليه الصلاة والسلام كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم حيث أنهم اتفقوا على أن كلمتان خبر مقدم وما بعدهما صفة لهما وسبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم جملتان أريد بهما لفظهما في مجل رفع مبتدأ مؤخر وقدم الخبر ووصف تشويقاً للسامع فظهر أن شراح البخارى صرحوا بضع ذلك وأعربوا نعمتان مبتدأ والخبر قوله مغبون فيهما كثير من الناس حيث أعربوا مغبون خبراً مقدماً وكثير من الناس مبتدأ مؤخر فظهر

الفرق بين الإعرابين والصحة والفراغ لمبتدأ محذوف أى هما الصحة والفراغ (بقي الأشكال) فى أن نعمتان نكرة ولا يبدئ بها إلا بعد المسوع على الصحيح ولا مسوع فيما يظهر إلا أن يدعى أنه محذوف أى نعمتان عظيمتان والله أعلم بالصواب.

ومن لطيف معناه أن المعنى فيه أن من كان صحيحاً فارغاً من الشواغل فاستعمل فراغه وصحته فى طاعة الله عز وجل فهو المغبوط الرابع ومن استعملها فى معصية الله فهو المغبون الخاسر وهو معنى لطيف منبه لأهل الكسل والله أعلم.

مطلب قوله ﷺ حبيب إلى من دنياكم ثلاث:

ومن الباحث العلمية التى صارت المذاكرة فيها بمنزل بعض أصحابنا بالمدينة المنورة أن فاضلاً أجرى المفاوضة فى قوله ﷺ حبيب إلى من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرّة عينى فى الصلاة فقال ما وجه افتتاح هذا الحديث الشريف بفعل مبنى للمجهول وهلا افتتح بجمله مبتدأً بأن لتفيد تأكيد النسبة كما هو شأن القرآن الكريم كقوله تعالى إن إلهكم لواحد وقوله تعالى إن هذا لهو القصص الح الخ وأمثاله كثيرة وبحث فى لفظ ثلاث وهو أنه شاع على لسان العموم حبيب إلى من دنياكم ثلاث وتحمل بعض المحققين لتصحيح ذلك فعند النساء والطيب وادعى أن الثالثة قوله وجعلت قرّة عينى فى الصلاة على جعل الفعل مجرداً من الزمان ومراد به الحدث فقط كقولهم تسمع بالمعيدي خير من أن تراه وهو عجيب.

ورد ذلك حفاظ الحديث الذين صان الله بهم السنة فى القديم والحديث فقالوا أن لفظ ثلاث فى الحديث لا أصل له وأن زيادة ذلك تفسد اللفظ وتخل

بالمعنى ما لمرجع إليهم فى هذا الشأن كيف لا وهم فرسان هذا الميدان (وممن) نص على ذلك الإسناد الحفنى فى حاشيته على الجامع الصغير وأما افتتاح الحديث بفعل مبنى للمجهول فنكتة ذلك والله أعلم أن حبه ﷺ الذى جبل عليه هو حبه لطاعة الله وعبادته وأما النساء والطيب فحبه لهما ليس بأصل الجبل بل هو عارض فلذا قال حبيب وقال من دنيكم ولم يقل من دنيى ولم يقل إنى أحب والله أعلم.

حكاية مدرس بيت المقدس... إلخ:

ومن المسائل العلمية التى مرت بنا بالمدينة المنورة أن رجلاً كان يلازم الحرم النبوى ويدعى أنه من بيت المقدس فذكرت له حكاية مدرس كان يدرس فى الحرم القدسى تجاه الصخرة الشريفة وإنى كنت جلست يوماً أنتظر صلاة العصر فابتدأ الدرس بحضورى فابتدأ الدرس بحضورى فأملى الحديث الشريف وهو حديث العرياض بن سارية رضى الله عنه قال خطبنا رسول الله ﷺ خطبة بليغة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون فقلنا يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا قال عليكم بالسمع والطاعة وإن مولى عليكم عبد حبشى كأن رأسه زبيبة وأنه من يعش منكم فسيرى اختلاقاً كثيراً فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثا الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضالة وكل ضلالة فى النار الخ.

أتى المدرس بكلام استوفى فيه ما يلزم لشرح الحديث المتقدم فقال لى صاحبنا الفاضل وهو من بيت المقدس أسألك بالله هل سمعت من أحد من مدرسى حرم القدس خلاً فى العبارة أو فساداً فى المعنى فقد جلست إليهم

وسمعت عباراتهم فقلت له لو تعافيتني من هذا السؤال فإنى أخشى المعرة من ذلك فالح في ما يريد (فقلت) أن المدرس هذا حسن التقرير فصيح العبارة إلا أنه صم العين من عضوا وهو لحن والصواب الفتح وقال أن مدة الخلفاء الراشدين يلحق بها أيام سيدنا معاوية لأنه صحابي وهذا خطأ أيضاً لأن مدة الخلفاء الراشدين محصورة في ثلاثين سنة بدليل ما صحح الخلافة بعدى ثلاثون ثم تكون عضوضاً أى فيه ظلم وجور فوصلت الحكاية إلى حضرة المكرم مفتى القدس حفظه الله تعالى وصار اجتماعنا بمنزله العامر وجرى البحث فى المسألة ثانياً .

وملخص البحث أن عض ومثله بر وود ونظائرها لفظ الأمر والماضى منها واحد وهى من الباب الرابع وإنما يفرق بين الماضى والأمر بالقرائن تقول عض زيد على يده وعض يا زيد على يدك وبر زيد أباه وبر يا زيد أباك والأصل اعضض وابرر نقلت حركة الاضد الأولى إلى الساكن قبلها لأجل الإدغام وحذفت الهمزة للاستغناء عنها وأدغمت الضاد بالضاد فبقيت العين مفتوحة ومثله بر لأن أصله ابرر .

ولما سمع صاحبنا الفاضل ما قررناه قال ما بال فر فى قوله عليه السلام لا طيرة ولا عدوى ولا هامة ولا صفر وفر من المجذون فرارك من الأسد فما باله بكسر الفاء وما هو الفارق بينه وبين عض وبر (قلت له) إن فر من الباب الثانى وعض وبر من الباب الرابع فافترقا والأصل افرر ولا يخفى تصريفه علىأهل الصناعة والله أعلم .

ثم إن صاحبنا الفاضل وكان من مدرسى الحرم القدسى قال وأنا وألح فى الطلب فقلت له على غالب ظنى أنك قرأت الحديث الصحيح وهو قوله

عليه الصلاة والسلام لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا بضم الضاد وهو لحن والصواب فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا بفتح الضاد والأصل أفيضوا فلعله تصريفه صار أفضوا (ولما سمع) ذلك صاحبنا قال إن في شرح العزيزى على الجامع الصغير عل قوله عليه السلام لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا ما هذا لفظه قال المناوى هو بضم الهمزة والضاد أى وصلوا فراجعت العزيز فرأيته ذكر ذلك وهو من الغرائب فإن كانت الرواية هكذا فلا سبيل للإنكار وإلا فلا وجه لذلك إلا أن يكون الفعل مبنياً للمجهول وتعين قراءته فإنهم قد أفضى بهم وقد رأينا أوهاماً من هذا القبيل للشرح فلا يستبعد ذلك ولا يخل ذلك بمرتبهم فإن الخطأ ليس بممتنع إلا على المعصوم.

وقد وقع نظير ذلك للعزيزى عند قوله عليه السلام أن الله يبغض الشيخ الغريب أى الى يصبغ بالسواد فقال هو بفتح الياء المثناة من تحت لأن أبغض لغة ردية وهو عجيب لأن المادة قد اشتهرت حتى قال فى المصباح قالوا لا يقال بغضته وإنما يقال أبغضته بالأف وقد سمع فى الأحاديث الصحيحة ما لا يحصى كقوله عليه الصلاة والسلام إذا أحب الله عبداً دعا جبريل فقال إن أحب فلاناً فأحبه وإذا أبغض الله عبداً دعا جبريل فقال له إنى أبغض فلاناً فأبغضه بقطع الهمزة من أبغض يبغض كما لا يخفى والله أعلم.

وقال ﷺ من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان رواه أبو داود والضياء عن أبى أمامة ومعناه من أحب من هو ملازم لطاعة الله وأبغض من هو ملازم لمخالفة أوامر الله فقد كمل إيمانه أى مع القيام بأركان الدين ومبانيه والله أعلم.

مطلب وعظ الخضر سيدنا موسى عليهما السلام:

(فصل) ومن غريب ما مر بنا في حال قراءتنا للسنن بالحرم النبوي إن صاحب الرسالة المبدوأة بحديث من أوائل كتب السنة المشهورة قد ذكر فيها حكاية سيدنا موسى مع الخضر عليهما السلام وهي غير ما قص الله عنهما في كتابه فآثرنا إيداعهما في رسالتنا هذه الرحلة الحجازية لما فيها من الحكم والمواعظ فهناك نص عبارتها.

قال الحافظ الشهير بابن عساكر في تاريخ دمشق أخبرنا أبو العباس أحمد بن الفضل إلى أن انتهى إلى قوله أبو سعيد الخدري قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ قال أخى موسى يارب أرنى الذى كنت أريتنى فى السفينة فأوحى الله إليه يا موسى أما أنك ستراه فلم يلبث إلا يسيراً حتى أتاه الخضر وهو فتى طيب الريح حسن بياض الثياب مشمرها فقال السلام عليك ورحمة الله وبركاته يا موسى بن عمران إن ربك يقرأ عليك السلام قال موسى إن ربي هو السلام وإليه السلام والحمد لله رب العالمين الذى لا أحصى نعمه ولا أقدر على أداء شكره إلا بمعونته ثم قال موسى أريد أن توصينى بوصية ينفعنى الله بها بعدك قال الخضر يا طالب العلم إن القائل أقل مائة من المستمع فلا تمل جلساءك إذا حادتهم واعلم أن قلبك وعاء فانظر ماذا تحشوا به وعاءك واعزف عن الدنيا وانبذها وراءك فإنها ليست لك داراً ولا لك فيها حل- قرار وإنما جعلت بلغة للعباد والتزود منها للمعاد ورض نفسك على الصبر تخلص من الإثم يا موسى تفرغ للعلم إن كنت تريد فإنما العلم لمن تفرغ له ولا تكن مكثاراً بالمنطق مهذاراً فإن كثرة المنطق يشين العلماء ويبدى مساوى السخفاء ولكن عليك بالاقتصاد فإن ذلك من التوفيق والسداد

وأعرض عن الجاهل وباطلهم واحلم عن السفهاء فإن ذلك فضل الحكماء
وزين العلماء وإذا شتمك الجاهل فاسكت عنه حلمًا وجانبه حزمًا فإنما بقى
من جهله عليك وسبه إياك أكثر وأعظم مما أصابك منه يا ابن عمران ولا ترى
إنك أوتيت من العلم إلا قليلا فإن الاندلاث والتعسف من الاقتحام والتكلف
يا ابن عمران لا تفتحن بابًا لا تدرى ما غلقه ولا تغلقن بابًا لا تدرى ما فتحه
يا ابن عمران إن من لا تنتهى من الدنيا نهمته ولا تنقضى عنها رغبته كيف
يكون عابدًا ومن يحقر حاله ويتهم الله فيما قضى له كيف يكون زاهدًا هل
يكف عن الشهوات من غلب عليه هواه أو ينفعه طلب العلم والجهل قد حواه
لأن سعيه إلى آخرته وهو مقبل على دنياه يا موسى تعلم ما تتعلم^(١) لتعمل
به ولا تتعلمه لتحدث به فيكون عليك وباله ولغيرك نوره يا موسى بن عمران
اجعل الزهد والتقوى لباسك والعلم والذكر كلامك واستكثر من الحسنات
فإنك تصيب أى لعلك السيئات وزرع بالخوف قلبك فإن ذلك يرضى ربك
واعمل خيرًا فإنك لا بد عامل سواه وقد وعظت أن حفظت (فتولى الخضر
ويقى موسى) حزينًا مكروبًا يبكى اهـ.

أقول ومن محاسن تلك الرسالة أن جامعها ختمها بحديث ابن السنى
تفاءؤلا بأن الله تعالى يختم له عمله بالتوحيد وذكر الله عز وجل ونحن نجعله
فى ذيل رسالتنا هذه تيمناً واقتداءً بذلك العالم الربانى فلعله تعالى أن يمن
علينا باللحوق بهؤلاء الأئمة الأعلام وفضلاء أهل الإسلام فنقول قال الحافظ
ابن السنى فى كتابه عمل اليوم والليلة فى باب حفظ اللسان والاشتغال بذكر
الله الملك الديان.

(١) أى ما تريد أن تتعلمه وبهذا يظهر المعنى اهـ مؤلف.

حدثنا محمد بن عبد الله الفضل قال أخبرنا محمود بن خالد قال أخبرنا الوليد بن مسلم عن ابن ثوبان عن أبيه عن مكحول عن جبير بن نصير عن مالك بن يخامر عن معاذ بن جبل رضى الله عنه أنه قال آخر كلمة فارقت عليها رسول الله ﷺ إن قلت يا رسول الله أخبرنى بأحب الأعمال إلى الله عز وجل قال أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله .

بيان التلبية وصفتها وبيان فضل عرفة وتقبيل الحجر الأسود :

(فصل) قد مر بنا حال قراءتنا السنن بالحرم النبوى أن صاحب السنن عقد باباً فى فصل التلبية وصفتها وفائدتها هذا ولما كان الزمان زمان الشروع فى الحج إلى بيت الله الحرام ونحن عازمون على ذلك إن شاء الله لمشاهدة تلك المشاعر الفخام آثرنا نقل جملة من تلك الفضائل ترغيباً وتنشيطاً للمسالك الكامل (فتقول) قال الحافظ رحمه الله فى سنته حدثنا على بن محمد وساق سنده إلى أن انتهى إلى ابن عمر قال تلقفت التلبية من رسول الله ﷺ سمعته وهو يقول لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة والملك لك لا شريك لك قال نافع وكان ابن عمر يزيد فيها لبيك لبيك وسعديك والخير فى يديك لبيك والرغباء إليك والعمل وذكر الحافظ فى الحديث الثانى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال فى تلبيته لبيك إله الحق لبيك وذكر الحافظ فى سنته عن سهل بن سعد الساعدى أن رسول الله ﷺ قال ما من ملب يلبي إلا لبي ما عن يمينه وشماله من حجر وشجر أو مدر حتى تنقطع الأرض من هاهنا وهاهنا (قال) فى الحاشية فإن قلت أى فائدة للمسلم فى تلبية ما حوله من الأحجار والأشجار مع تلبيته قلت فائدة ذلك أن اتباعهم فى هذا الذكر دليل على

فضيلته وشرفه ومكانته عند الله عز وجل إذ ليس له فائدة إلا ذلك على أنه يجوز أن يكتب له أجر تلبية هذه الأشياء التي صدر عنها هذا الذكر تبعاً له فصار المؤمن بالتلبية المذكورة كأنه دال على الخير والدال على الخير كفاعله اهـ سندى .

ومن فضائل يوم عرفة ما ذكره الحافظ في السنن وهو قوله ﷺ ما من يوم أكثر ما يعتق عز وجل فيه عبداً من النار من يوم عرفة وأنه عز وجل ليدنو ثم يباهى أى أهل عرفه الملائكة فيقول ما أراد هؤلاء رواه ابن ماجه في سنته عن أم المؤمنين عائشة .

وكتب في الحاشية على قوله ما من يوم ما هذا لفظه قوله ما من يوم أكثر ما يعتق الله فيه الخ هكذا فى النسخ المعتمدة لابن ماجه ونقله السيوطى ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه الخ بزيادة من ثم أكثر جاء بالنصب على أنه خبر ما الحجازية وبالرفع على أن ما تميمه لا عمل لها وعلى الوجهين أى نصب أكثر أو رفعه فإن يعتق فاعل لاسم التفضيل أى وهو أكثر اهـ وتجويز فتح أكثر على أنه صفة يوم محمول على لفظه إلا أنه جر بالفتحة لكونه غير مصروف وتجويز رفعه على أنه صفة له أى ليوم حمل له على محله وهذا يخرج إلى تقديرها غير أى منشور مثل موجود قال ولا حاجة له أى إلى هذا الإعراب المحوج إلى تقدير الخ انتهى كلام المحشى وهو عجيب قدم إلا أن أكثر منصوب على أنه خبر ما الحجازية أو مرفوع على أنه خبر المبتدأ الذى زيدت عليه ما وهى تميمه فلفتى بين إعرابين والله يغفر له .

وفى السنن أيضاً (باب) الدعاء بعرفة ثم روى بإسناده عن عباس بن مرداس السلمى أن أباه أخبره عن أبيه أن النبى ﷺ دعا لأمتة عشية عرفة

بالمغفرة فأجيب أنى قد غفرت لهم ما خلا المظالم وفى نسخة ما خلا الظالم
وهى أنسب لقوله فإنى آخذ للمظلوم حقه منه قال أى النبى ﷺ أى رب إن
شئت أعطيت المظلوم من الجنة وغفرت للظالم فلم يجب عشية عرفة فلما
أصبح بالمزدلفة أعاد الدعاء فأجيب إلى ما سأل قال فضحك النبى ﷺ أو قال
تبسم فقال له أبو بكر أو عمر بأبى أنت وأمى إن هذه لساعة ما كنت تضحك
فيها فما الذى أضحكك أضحك الله سنك قال أن عدو الله إبليس لما علم أن
الله عز وجل قد استجاب دعائى وغفر لأمى أخذ التراب فجعل يحثوه على
رأسه ويدعو بالويل والثبور فأضحكنى ما رأيت من جزعه اهـ.

كتب فى الحاشية على هذا الحديث ما هذا لفظه قوله دعا لأمته أى لمن
معه فى حجة ذلك أو لمن حج من أمته إلى يوم القيامة أو لأمته من حج ومن
لم يحج وقد ذكر فى الحاشية أن هذا الحديث فى إسناده عبد الله بن كنانة
وقد قال فيه البخارى لم يصح حديثه انتهى وقال السيوطى فى حاشية الكتاب
هذا الحديث أورده ابن الجوزى فى الموضوعات وأعله بكنانة فإنه منكر الحديث
جدرأ ورد عليه الحافظ بن حجر بمؤلف له سماه فذة الحجاج فى عموم المغفرة
للحجاج قال فيه وحكم ابن الجوزى على هذا الحديث بأنه موضوع مردود إلى
أن قال كل ذلك أى ما أورده ابن الجوزى لا يقتضى الحكم على الحديث
بالوضع بل غاية ما فيه أن يكون ضعيفاً ويعتضد بكثرة طرقه وهو بمفرده
يدخل فى حد الحسن على رأى الترمذى ولا سيما بالنظر فى مجموع طرقه
إلى أن قال وهذا الحديث له شواهد فى أحاديث صحاح اهـ سندى على
السنن وأشار بقوله شواهد فى أحاديث عن الصحاح إلى ما فى الصحيح عن
أبى هريرة أن النبى ﷺ قال العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور

ليس له جزاء إلا الجنة اهـ وقال ﷺ من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه قال العلقمى أى ذنب وظاهره غفران الكبائر والصغائر والتبعات قال وهو من أقوى الشواهد لحديث عباس بن مرداس المصرح بذلك وله شواهد من حديث ابن عمر فى تفسير الطبرى اهـ من العزيزى على الجامع الصغير وتحرر ذلك بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأتم التسليم ونحن على أهبة السفر إلى مكة المكرمة فى خمسة عشر من شهر ذى القعدة ختام عام ألف وثلثمائة وثلاثة وعشرين هجرية بلغنا الله مشاهدة الكعبة البهية وزيارة هاتيك المشاعر القدسية مع الرضا والقبول إن شاء الله تعالى بمنه وكرمه وبنبيه الشفيح ذى المقام الرفيع ولما تم هذا التقرير وذكرنا بعض فضائل يوم عرفة بحث معنا صاحبنا الفاضل فى مشروعية تقبيل الحجر الأسود وقد شاع الحجر الأسود يمين الله فى الأرض فمن صافحه فكأنما صافح الله قال فهل هذا الأثر من الآثار المروية أم لا فقلت إن تقبيل الحجر واستلامه مجمع على مشروعيته .

وقد جاء عن ابن عمر أنه قال رأيت النبى ﷺ استقبل الحجر ووضع شفثيه عليه ييكى طويلا ثم التفت فإذا هو بعمر ييكى فقال يا عمر ها هنا تسكب العبرات وفى الصحيحين عن عمر أنه قال للحجر إنى أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أنى رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك وأما الأثر المروى فى تقبيله فقد جاء بألفاظ مختلفة منها قوله ﷺ الحجر يمين الله فى الأرض يصافح بها عباده اهـ .

قال الشارح فمن قبله وصافحه فكأنما صافح الله والحديث رواه الخطابى وابن عساكر عن جابر وقال ﷺ الحجر يمين الله فى الأرض فمن مسحه فقد

بايع الله رواه الديلمي فى الفردوس عن أنس وفى السنن للحافظ ابن ماجة ما لفظه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ لياتين هذا الحجر يوم القيامة وله عينان يبصر بهما ولسان ينطق به يشهد على من يستلمه بحق اهـ وفى السنن أيضاً عن عطاء قال حدثنى أبو هريرة أن النبى ﷺ قال عن الحجر الأسود من فاضه فإنما يفاوض يد الرحمن اهـ والمفاوضة المقابلة بالوجه أى من قابله واستلمه فكأنما استلم يد الرحمن جل وعلا وتنزه عن مشابهة المخلوقين فالكلام فى هذه الأحاديث الشريفة مبنى على التمثيل عند أئمة الخلف أى من مسه أو قبله فكأنما مس يد الله أو قبلها وعند السلف هو من باب المتشابه يجب الإيمان به مع التنزيه لله عن مشابهة المخلوقين اهـ.

وقال إن آخر مذاكرة وقعت معنا من بعض أصحابنا بالحرم النبوى ونحن على أهبة السفر إلى مكة المشرفة أنه قال سائلا عن قوله ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال أعددت لعبادى الصالحين أى فى الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ذخراً بله ما أطعمت عليه اهـ فكان سؤاله محصوراً عن بله ما معناها فقلت أن الحديث صحيح وقد تكلم الشراح على معنى هذه اللفظة وعلى إعرابها وإعراب الجملة التى بعدها وملخص ذلك أن بله أشهر معانيها أنها اسم فعل بمعنى دع واترك وهى مبنية على الفتح كسائر أسماء الأفعال حكمها البناء ولا محل لها من الإعراب وما بعدها منصوب على المفعولية لبله ولها معنى آخر وهو التعجب فتكون بمعنى كيف اسم تعجب مبنى على الفتح فى محل رفع خبر مقدم وما مصدرية حرفية وما بعدها فى تأويل مصدر فى محل رفع مبتدأ مؤخر والتقدير كيف اطلاعكم عليه وقد أخفاه الله عن الخلق ولها معنى ثالث وهو أنها تعنى الترك فتكون

منصوبة على المصدرية وما بعدها مجرور بالإضافة والتقدير ترك اطلاعكم
عليه وتظهر هذه المعانى فى قول الشاعر يصف السيوف

تذر الجماجم ضاحياً هاماتها بله الأكف كأنها لم تخلق

يروى بنصب الأكف ورفعها وجرها على المعانى الثلاثة المتقدم ذكرها
والله أعلم (وقوله) ذخراً هو منصوب على التعليل أو هو مصدر منصوب
على الحال من مفعول أعددت وهو ما مؤول بمعنى اسم المفعول والمعنى
أعددت لعبادى الصالحين ثواباً عظيماً حال كونه مذخوراً لهم فى الجنة
(وتمامه) اقرأوا إن شئتم فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين ا هـ تحرر
بالمدينة المنورة.

اتفق لنا ونحن بجدة بمنزل صاحبنا المكرم الشيخ صالح بن عبد الله
الفضل حفظه الله تعالى أن جرت بمنزله مذاكرة علمية فى قوله ﷺ إن الله لا
ينام ولا ينبغي أن ينام يخفض القسط ويرفعه إليه عمل الليل قبل عمل النهار
وعمل النهار قبل عمل الليل حجاب النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما
انتهى إليه بصره من خلقه .

فقلت إن الحديث المروى فى صحيح مسلم عن أبى موسى الأشعري
ولفظه قال قام فىنا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فذكره الخ .

مسألة قول عليه الصلاة والسلام إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام

وملخص المذاكرة فى معنى قوله أن الله لا ينام كيف أتى بعدها بقوله
ولا ينبغي له أن ينام فإن الجملة الأولى أفادت أنه تعالى منزّه عن النوم لأنه
نقص والله منزّه عنه والجملة الثانية أفادت أنه لا يجوز عليه تعالى أن ينام

وهو من باب التأكيد للتنزيه فإن دلالة الالتزام لا يكتفى بها فى التوحيد كقوله تعالى لا تأخذه سنة ولا نوم مع أن تنزيهه تعالى عن النوم يلزم منه أنه منزّه عن السنة لأنها من مقدمات النوم وتنزهه عن السنة منه أنه منزّه عن النوم فلم يكف أحدهما عن الآخر بل لابد من التصريح بالتنزيه عنهما وأما قوله يخفض القسط ويرفعه فالمراد بالقسط الميزان كما يفهم من كلام العلامة القسطلانى عند قوله ﷺ قال الله عز وجل أنفق عليك وقال يد الله ملامى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار أرايتم ما أنفق منذ خلق السماء والأرض فإنه لم يغيض^(١) ما فى يده وكان عرشه على الماء وبيده الميزان خيفض ويرفع هذا الحديث لفظه فى تفسير سورة هود وأما قوله حجابه النور فذكر الحجاب إنما هو بالنسبة للمخلوقين والخالق جل وعلا منزّه عن الحجاب وسبحات وجهه صفا الجلال والعظمة والله أعلم (ونظير هذا الحديث) فى التنزيه قوله ﷺ إن الله لا يغلب ولا ينبأ بما لا يعلم وقوله لا يخلب معناه لا يخدع وقد قال النبى ﷺ لرجل كان يخدع فى السبوع إذا بايعت فقلت لا خلافة أى لا خديعة والله أعلم.

ومن الحوادث العلمية التى اتفق لنا وقوعها ونحن بيده بمنزل أحبنا الأكرم صالح الفضل أيضا أنا اطلعنا على كتاب من كتب التوحيد يذكر فيه ترجمة الإمام أحمد طيب الله ثراه وأنه أنشد لولده عبد الله هذه الأبيات:

دين النبى محمد آثار^(٢) نعم المطية للفتى الأخبار

(١) لم يغيض أى لم ينقص غاض الماء يغيض أى نقص اهـ.

(٢) قوله آثار أى ذو آثار هى مقدحة على الرأى والقياس وقوله فالرأى ليل يعنى به الرأى المجرد هو مظلم لأنه لم يستند إلى كتاب ولا إلى سنة صحيحة فيستبر بهما اهـ كاتبه.

لا تخدعن عن الحديث وأهله فالرأى ليل والحديث نهار
ولربما جهل الفتى طرق الهدى والشمس طلعه لها أنوار
وذكر أن الإمام أحمد كان يعيب على محدث لا يتفق له لقوله ﷺ من
يرد الله به خيراً يفه في الدين ويلهمه رشده (وسابقاً وقفنا) على هذه الآيات
المنسوبة للإمام أحمد وهي مخاطبة للإمام الشافعي رحمه الله هكذا.

أن نختلف نسباً يؤلف بيننا أدب أقمناه مقام الوالد
أو يفترق ماء الوصال فوردنا عذب نمحدر من إناء واحد
وقف على مدح الإمام أحمد للشافعي:

وله رحمه الله من الحكم المنشورة شيء كثير ومن الشعر قليل (ولما)
قالت له ابنته يا أبت أراك تدعو للشافعي كثيراً فما هو الشافعي قال يا بنية هو
كالشمس للدينيا وكالعافية للبدن ا هـ.

فانظر إلى هذا المدح الجليل الذي حاز غاية البلاغة وحسن السبك مع
عدم التطويل فرحم الله أئمة الدين وأجزل لهم المثوبة.

مطلب في قوله من أتى عرافاً:

(فصل) ومن الوقائع الغريبة أننا اجتمعنا مع أديب فاضل في بعض
بيوت المدينة فجعل يتكلم على الوقائع التي تقدم وقوعها قريباً كحوادث اليمن
وغيرها فقال أن أهل الإشارة أخبروا عنها ونسب ذلك إلى رسالة مؤلفة في
الإشارات والأخبار عن تلك الوقائع في أوقاتها وأن مؤلفها السلامة السيوطي
فاستبعدنا ذلك لأن النصوص الشرعية ناطقة بالمنع من ذلك أشد المنع كقوله
ﷺ من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد

ﷺ أى من الكتاب والسنة والحديث صحيح رواه الإمام أحمد والحاكم وغيرهما عن أبى هريرة .

وكقوله ﷺ من أتى كاهنًا فصدقه بما يقول فقد برئ مما أنزل على محمد ﷺ رواه الإمام أحمد وغيره عن أبى هريرة .

وكقوله ﷺ من أتى عرافًا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة رواه الإمام أحمد ومسلم عن حفصة أم المؤمنين .

وكقوله ﷺ من أتى كاهنًا فسأله عن شيء حجت عنه التوبة أربعين ليلة فإن صدقه بما قال كفر رواه الطبرانى عن وائلة بن الأسقع والأحاديث فى هذا المعنى كثيرة (فمن) صدق الكاهن أو العراف عما يخبران به كفر أن استحل ذلك وصدق خبرهما حقيقة وإلا كان ذلك من الكبائر (وقد نهى النبى ﷺ عن ثمن الكلب ومهر البغى وحلوان الكاهن حديث متفق عليه عن أبى مسعود البدرى واقترانه بمهر البغى يدل على مزيد قبحه كما لا يخفى (ولما) تم تقرير ما قدمناه قال لى صاحبنا الفاضل أن النبى ﷺ قد أخبر عن حوادث كثيرة تكون فى أمته ووقعت كما أخبر (كقوله) بين فئتين من المسلمين فوق الأمر كما أخبر (وقال) ﷺ يخرج من ثقيف كذاب ومبسر فوق الأمر كما أخبر خرج من ثقيف بن أبى عبيدة فادعى النبوة وأنه يوحى إليه فقتل فى أيام ابن الزبير وخرج من ثقيف أيضًا المبين وهو الحجاج وقد علم ذلك بالمشاهدة كما لا يخفى .

وقال ﷺ هلاك أمتى على يدى غلطة من قریش والمراد بهم يزيد بن معاوية وإضرابه من بنى أمية^(١) وقد جاء تعيينهم فى حديث أبى هريرة فإنه

(١) وقال ﷺ أول من يبدل سنتى رجل من بنى أمية ا هـ زاد ابن عساكر والرويانى فى روايتهما يقال له يزيد رمز له ٤ إسناد صحيح وتقدم ا هـ مؤلف .

كان يقول أعوذ بالله من إمارة الصبيان ومن أن تدركنى سنة ستين وقد تولى الخلافة يزيد فى تلك السنة (قال) صاحبنا فلا يبعد أن يكون الذى أخبر به هذا الأديب الفاضل عن الرسالة التى نسبتها إلى العلامة السيوطى من هذا القبيل (قلت) إن الأخبار الصحيحة يجب قبولها وقد دونها العلماء فى الصحاح والحسان فلا اعتراض لأحد عليهما والله أعلم.

أما ما يذكر من أخبار آخر الزمان وتعيين الوقت لوقوع الفتن فيه كقولهم فى سنة عشرين يصر كذا وفى سنة ثلاث وعشرين تقع حروب وفتن فلا أصل لشيء من ذلك وما صح عن المعصوم فيجب قبوله وما لا فلا.

وقد أخبر النبى ﷺ عن الحوادث التى تقع إجمالاً كقوله ﷺ ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشى والماشى فيها خير من الساعى من تشرف لها تستشركه ومن وجد فيها ملجأ أو ماذا فليعد به الشيطان وغيرهما عن أبى هريرة (وقد) تمسك بعمومه قوم فمنعوا الدخول فى القتال بين المسلمين مطلقاً وفصل آخرون وقالوا إذا بغت طائفة على الإمام فامتعت من الواجب عليها ونصبت المحاربة وجب قتالها وهذا هو الحق والحديث السابق يفهم منه التحذير من الفتن والحث على اجتناب الدخول فيها والله أعلم.

وقال ﷺ ستكون عليكم أمراء فتعرفون منهم وتكفون فمن كره برئ^(١) ومن أنكر^(٢) سلم ولكن من رضى وتابع^(٣) رواه مسلم وأبو داود.

(١) أى من المداينة.

(٢) أى بقلبه.

(٣) أى فهو الذى لم يبرأ أهـ.

وقال ﷺ سيفتح على أمتي مشارق الأرض ومغاربها إلا وعمالها في النار إلا من اتقى وأدى الأمانة رواه أبو نعيم في الحلية (والحاصل) أن خبر المعصوم يجب قبوله والله أعلم.

حكاية شريف من أشرف مدينة فارس والبحث في حديث كل مولود يولد على الفطرة:

(فصل) ومن الحوادث العلمية التي حصلت معنا ونحن بمكة المشرفة أن أحد الأشراف من أشرف مدينة فاس اجتمعنا به في منزل أحد قاربنا بمكة وجرت مذاكرة علمية في قوله ﷺ كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه وملخص المذاكرة هل بين هذا الحديث الصحيح وبين قوله ﷺ ما من نفس منفوسة إلا وقد كتبت شقية أو سعيدة إلا وقد علم الله مقعدها من الجنة أو النار منافاة أم لا (فقلت) أنه يحضرني الآن أنه تقدم معنا هذا البحث وأجاب عنه النووي رحمه الله بجواب حسن فقال لا منافاة بين الحديثين لأن المعنى أن كل مولود يولد على الفطرة الإسلامية فإن كان المولود في علم الله من السعداء بقى على الفطرة الإسلامية ولا يعرض له التغيير بعد ذلك وإن كان المولود ممن سبقت عليه الشقاوة والعياذ بالله عرض له التغيير عند البلوغ أو بعده فانتفت المغايرة بين الحديثين (وأجاب) الشريف بجواب أحد أئمة التصوف وهو جواب طويل دقيق المأخذ وجواب علماء الشرع أقرب إلى أفهامنا وأسهل إلى إدراكنا فلذا اخترنا ذكره في رسالتنا هذه وكل حق والله أعلم.

ثم أنجز البحث إلى ما ورد في الغلام الذي قتله الخضر عليه السلام هل ورد فيه شيء عن النبي ﷺ فقلت أنه يحضرني أنه جاء فيه أثر عنه ﷺ

ولفظه أن الغلام الذى ذبحه الخضر طبع فى بطن أمه كافراً ولو عاش لأرهب
أبويه طغياناً وكفراً أو كما قال وهل هذا الخبر يقتضى أن يحكم على الغلام
بأنه من أهل النار مع موته قبل البلوغ وهو زمن التكليف أم لا (أقول) أنه
يحضرنى الآن أنى رأيت كلاماً فى هذا البحث للإمام النووى رحمه الله فى
شرح مسلم ومفاده أن ما الخبر لا يقتضى أن يكون الغلام من أهل النار لأن
أطفال المشركين خدام أهل الجنة كما صح به الأثر والله أعلم.

مطلب فى أحاديث ثلاثية:

(فصل) ومن الحوادث العلمية ما مر بنا حال قراءتنا لشيء من ثلاثيات
المسند مسند الإمام أحمد طيب الله ثراه وملخص ذلك أن الإمام أحمد ذكر
فى مسنده ما هذا لفظه حدثنا محمد بن فضيل عن المختار بن فلفل عن أنس
بن مالك أن رسول الله ﷺ قال أن الله تبارك وتعالى قال لى يا محمد إن
أمتك لا يزالون يتساءلون فى ما بينهم حتى يقولوا هذا الله خلق الناس فمن
خلق الله اهـ.

ولما تلونا هذا الحديث جرى البحث فيما بيننا وبين صاحبنا الفاضل
وملخص ذلك أنه لم يذكر فى هذا الحديث الدواء النافع لإزالة تلك الخواطر
الردية والوساوس الشيطانية (فقلت) أنه يحضرنى الآن أن الشارع نبه فى عدة
أخبار وذكر ما ينفع لتلك الشبه والخواطر وقال صاحبنا أنى وقفت على شيء
من ذلك نبه عليه فى الأذكار النووية فتعين علينا بيان ما ورد فى ذلك من
السنة المطهرة.

فمن ذلك ما روينا مسنداً فى الصحيحين عن أبى هريرة عن النبى ﷺ
أنه قال لا يزال الناس يستءلون حتى يقال هذا خلق الله الخلق فمن خلق الله

فمن وجد من ذلك شيئاً فليقل آمناً بالله وبرسوله وفي لفظ آخر يأتي الشيطان أحدكم فيقول من خلق السماء من خلق الأرض فيقول الله عز وجل فيقول الشيطان فمن خلق الله فإذا بلغ ذلك فيلستعد بالله وليته فمن ذلك يذهب عنه وفي رواية لأبي داود فمن وجد شيئاً من ذلك فليقرأ قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ثم ليتفل عن يساره ثلاثاً وليستعد بالله من الشيطان الرجيم.

ثم إن صاحبنا الفاضل بحث هل وجد أحد من أصحاب رسول الله ﷺ شيئاً من ذلك أن في صحيح مسلم ما هذا لفظه عن أبي هريرة أنه قال جاء ناس من أصحاب رسول الله ﷺ إلى رسول الله فقالوا ما شيء نجده في صدورنا ويتعاطم أحدنا أن يتكلم به قال وقد وجدتموه قالوا نعم قال ذاك^(١) صريح الإيمان وفي لفظ تلك محض الإيمان.

وفي الصحيح أيضاً أن أصحاب النبي ﷺ قالوا يا رسول الله إن أحدنا ليجد في نفسه ما لأن يخبر من السماء إلى الأرض أحب إليه من أن يتكلم به قال الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة.

وفي سنن أبي داود عن سماك أبي الوليد قال سألت ابن عساكر فقلت له ما شيء أجده في صدري قال ما هو قلت والله لا أتكلم به قال أشياء من شك وصحك قلت نعم قال إذا وجدت شيئاً من ذلك فقل هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم اهـ (فظهر) ممن قدمناه أن الخواطر الردية والوساوس الشيطانية إذا حصلت في القلب ولم تستقر لا تضر صاحبها وأن الدواء النافع لصرفها هو الانتحاء إلى الله عز وجل فإذا التجأ الإنسان إلى

(١) أي كراهته واستعظامه دليل قوة الإيمان اهـ.

الملك الديان وتضرع إليه في دفع وساوس الشيطان فإنه جل شأنه وعظم سلطانه يمتنع عبده الملتجئ إليه من عدوه المتسلط عليه (فإن قلت) إن الشك في الاعتقادات كفر فما باله هنا لا يضر (قلت) لا يكون كفرًا إلا إذا استقر في القلب واطمأنت به النفس وأما مجرد الخوטר فمعضو عنه .

قال النبي ﷺ عفى لأمتي عما حدثت به أنفسنا ما لم تعمل وتتكلم به اهـ واللفظ الوارد فيه هكذا إن الله تعالى تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسنا ما لم تعمل أو تتكلم به اهـ .

قال المناوي لا يؤخذ العبد بحديث النفس ما لم يبلغ حد الجزم وهذا مخصوص بغير الكفر فلو تردد فيه كفر حالاً (وأما) العزم فالمحققون على أنه يؤاخذ به لقوله عليه السلام إذا التقا المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال إنه كان حريصاً على قتل صاحبه اهـ (ثم) إن لفظ أنفسنا المشهور فيه الرفع على أنه فاعل حدثت وجوز بعضهم فيه النصب على أنه مفعول حدثت قال القرطبي وهو روايتنا والله أعلم (ولقد) ذاكرنى صاحبنا الفاضل في إتمام الكلام على هذه المسألة المهمة فقال لى ما حكم التفكير قلت قد علم أنه ممدوح إذا كان فى مصنوعات الله عز وجل ويدل عليه ما ورد فى الكتاب العزيز والسنة المطهرة وأما التفكير فى ذات الله عز وجل فمنهى عنه إجماعاً ويدل على ذلك ما جاء عن النبى ﷺ أنه قال تفكروا فى كل شىء ولا تفكروا فى ذات الله عز وجل الخ .

وقال النبى ﷺ تفكروا فى خلق الله عز وجل ولا تفكروا فى الله عز وجل فتهلكوا وقال النبى ﷺ تفكروا فى الخلق ولا تفكروا الخالق فإنكم لا تقدرُونَ قدره .

قال النبي ﷺ تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى الله عز وجل .

وقال النبي ﷺ تفكروا فى آلاء الله ولا تفكروا فى الله عز وجل أى لأنه لا يحيط به الفكر وهذه الأحاديث خرجها العلامة السيوطى فى الجامع الصغير وسكت الشارح عن ذكر أسانيدھا وبيان أحوالھا وهى من رواية أبى الشيخ عن ابن عباس وعن أبى ذر روالحديث الأخير رواه الطبرانى وابن عندى والبيهقى عن ابن عمر .

ومن تمام الفائدة على هذه المسألة أن نتمم الكلام على متعلقاتها فنقول أن بعض الشراح ذكر أن الآثار المتقدم ذكرها تدل على كراهة كثرة المسائل (وأقول) أن النهى عن كثرة المسائل صح فى قوله عليه الصلاة والسلام ذرونى ما تركتكم فإنما أهلك من كان قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم (وفى الصحيح) أن النبى ﷺ قال إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات ووآد البنات^(١) وكره لكم قيل وقال كثرة السؤال وإضاعة المال قبل المراد بكثرة السؤال عن المشكلات والمعضلات من المسائل الكلامية والأقيسة الجولية لما فى ذلك من التنطع والقول بالظن .

وقال ﷺ أن من البيان لسحرا وأن من العلم لجھلا فسرہ بعضهم بقوله هو أن يتكلف العالم علمه ما لا يعلم فيجھله ذلك وفسره بعضهم أيضاً بقوله أن العلم الذى لا يعمل به وهو الذى يضر ولا ينفع فالجھل به خير من العلم به وجاء فى الآثار ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل ثم قرأ ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون وهو فى السنن

(١) قوله ووآد البنات الخ أى فيها فى التراب وهى بقيد الحياة وقوله منعاً أى للحقوق الواجبة وهات أى طلبنا مال طلبه ا ه مؤلف .

وقال بعض السلف إذا أراد الله بعبد خيراً فتح له باب العمل وأغلق عنه باب الجدل وإذا أراد الله بعبد شراً أغلق عنه باب العمل وفتح عليه باب الجدل.

وقال بعضهم لم يكن أصحاب رسول الله ﷺ يسألون عن الأغلوطات وعضل المسائل وإنما كانوا يسألونه عما ينفعهم في الدين وذكروا عند معاوية بن أبي سفيان يوماً شيئاً من المسائل^(١) فقال أتعلمون أن رسول الله ﷺ نهى عن عضل المسائل وعليها (والحاصل) أن أصحاب رسول الله ﷺ لم يكونوا يشتغلون بتفريع المسائل وتوليدها بل كانت همهم مقصورة على تنفيذ ما أمرهم الله به واجتناب ما نهاهم عنه فإذا وقع بهم أمر سألوا عنه (وقال) ما بك رحمه الله لابن وهب يا عبد الله ما علمته فقل به ودل عليه وما لم تعلمه فاسكت عنه^(٢) وإياك أن تقلد الناس قلادة سوء^(٣) والله أعلم.

(فصل) من الحوادث العلمية ما وقفنا عليه ؟ بنا حال قراءتنا لشيء من شرح ثلاثيات المسند مسند الإمام أحمد طيب الله ثراه فأثرنا نقله في رسالتنا هذه تيمناً وتبركاً بذكر هذا الإمام الجليل وذكر شيوخه المكرمين.

قال رحمه الله حدثنا محمد بن فضيل قال حدثنا المختار بن فلفل عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ذات يوم وقد انصرف من الصلاة وأقبل على أصحابه بوجهه الكريم فقال يا أيها الناس إنى إمامكم فلا تسبقونى بالركوع ولا بالسجود ولا بالقيام ولا بالقعود ولا بالانصراف

(١) أى المعضلة.

(٢) أى حتى تعمله اهـ.

(٣) أى بأن تفتيهم بالجهل.

فإنى أراكم من أمامى ومن خلفى ثم قال والذى نفسى بيده لو رأيتم ما رأيتم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيراً قالوا يا رسول الله وما رأيتم قال رأيتم الجنة والنار (وبمعناه) ما فى صحيح البخارى من حديث أنس قال ﷺ صلاة ثم قال لأصحابه لقد رأيتم الآن منذ صليت لكم الجنة والنار ممثلتين فى قبلة هذا الجدار فلم أر كالיום فى الخير والشر.

مطلب فى أحاديث مواعظ:

وروى البيهقى من حديث أنس أن النبى ﷺ قال ارغبوا فيما رغبكم الله فيه واخذروا فيما حذرکم الله منه وخافوا مما خوفکم الله به خافوا من عذابه وعقابه ومن جهنم.

وروى الترمذى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ما رأيتم مثل النار نام هاربها ولا مثل الجنة نام طالبها (وروى) البزار من حديث ابن الزبير قال مر النبى ﷺ بقوم يضحكون فقال أنضحكون وبين أظهرکم ذکر الجنة والنار فما روى منهم أحد بعد ذلك ضاحكاً حتى لحق بالله عز وجل قال ونزل فى ذلك نبى عبادى أنى أنا الغفور الرحيم وأن عذابى هو العذاب الأليم.

وروى الحاكم وصححه من حديث أبى الدرداء أن النبى ﷺ قال لو تعملون ما أعلم لبكيتم كثيراً ولضحكتكم قليلا وخرجتم إلى الصعدات (١) تجأرون إلى الله عز وجل لا تدرون أننجون أم لا تنجون.

وعند الترمذى من حديث أبى ذر قال قال النبى ﷺ لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيراً وما تلذذتم بالنساء على الفرش وخرجتم إلى

(١) أى الطرقات.

الصعداء تجأرون إلى الله عز وجل ثم قال والله لوددت إلى شجرة تعضد
(وروى) أبو يعلى من حديث ابن عمر أن النبي ﷺ خطب فقال لا تنسوا
العظيمتين الجنة والنار ثم بكى حتى بل دموعه جانبي لحيته ثم قال والذي
نفس محمد بيده لو تعلمون ما أعلم من أمر الآخرة لمشيتم إلى الصعيد
ولحشيتم على رءوسكم التراب.

وروى الترمذى من حديث أبي أمامة أن النبي ﷺ قال ليس شيء أحب
إلى الله من قطرتين وأثرين قطرة دموع من خشية الله وقطرة دم بهراق فى
سبيل الله وأما الأثران^(١) فأثر فى سبيل الله وأثر فى فريضة من فرائض الله
عز وجل.

وقال النبي ﷺ طوبى لعبد ملك لسانه ووسعته بيته وبكى على خطيئته
رواه الطبرانى عن ثوبان (ولما قرأنا ما تقدم) من الأثر قال لى صاحبنا الفاضل
النهى المستفاد من حديث أنس عن سبق المأموم أمامه هل هو للتنزيه أم
للتحریم فقلت أنه للتحریم إذا كان المأموم عامداً ودليله مجيء الوعيد عليه فى
الصحيح.

مطلب فى قوله أما يخشى الذى يرفع رأسه قبل الإمام:

قال ﷺ أما يخشى الذى يرفع رأسه قبل الإمام أن يحول رأسه رأس أو
يجعل صورته صورة حمار وهو فى الصحيحين (وظاهره) يقتضى تحريم
المسابقة بأن يرفع رأسه من الركوع أو السجود قبل الإمام عامداً لأنه توعد
عليه بالمسح وهو من أشد العقوبات وبه جزم الحنابلة وغيرهم (قال) فى شرح

(١) الأثر ما أثرت فيه الأقدام حال مشيها لجهاد فى سبيل الله أو إلى بيت من بيوت الله اهـ
مؤلف.

المقنع من فعل ذلك عامداً ثم أثم وبطلت صلاته في ظاهر كلام الإمام أحمد فإنه أى الإمام أحمد قال ليس لمن سبق الإمام صلاة لو كان له صلاة لرجى له الثواب ولم يخش عليه العقاب .

وروى عن ابن مسعود أنه قال لمن رآه يسبق إمامه لا وحدك صلويت ولا بإمامك اقتديت اهـ وأما إذا كان السبق من جاهل أو ناس بأن يرفع رأسه من الركوع أو السجود ناسياً أو جاهلاً قبل إمامه لم تبطل صلاته لأنه سبق يسير (ولقوله) ﷺ عفى لأمتي عن الخطأ والنسيان أى عن إثمهما لا عن الضوان في الإلتلاف للأموال فإنه لا يعفى عنه كما هو مقرر في محله فتنبه فإنه مهم .

وعند الجمهور من الأئمة لا تبطل الصلاة بالسبق ولكنه يأثم به وعن ابن عمر أنها تبطل به لأن النهي يقتضى الفساد وهكذا قال الظاهرية بناء على أن النهي يقتضى الفساد (وأما) السلام فالسبق به يبطل به صلاة المأموم إذا كان عامداً ولا يبطلها إن كان ناسياً عند الإمام أحمد وعلى من سلم ناسياً أو جاهلاً أن ينتظر سلام إمامه ليأتى به بعده وإلا بطلت صلاته لتركه ركناً من أركان الصلاة فقد اختار الإمام أحمد فرضية السلام في الصلاة وأنه تسليمتان في الفرض وتسليمه واحدة في النقل (ودليله) ما رواه هو وأصحاب السنن وصححه الترمذى عن ابن مسعود أنه قال كان النبي ﷺ يسلم عن يمينه وعن يساره السلام عليكم ورحمة الله السلام عليكم ورحمة الله حتى يرى بياض خده .

وروى الإمام أحمد أيضاً ومسلم في صحيحه عن سعد بن أبى وقاص نحوه ورواه أيضاً النسائى وابن ماجه ولفظه كنت أرى النبي ﷺ يسلم عن يمينه وعن يساره حتى يرى بياض خده فعند الإمام أحمد لا يخرج من الصلاة

إلا بالسلام فصلا الفرض لا بد فيها من تسليمين وصلاة النفل يكفى فيها تسليمة واحدة وعند مالك والشافعى يخرج من الصلاة مطلقاً بتسليمة واحدة وعند أبى حنيفة لا يعتبر التسليم بل يخرج من الصلاة مطلقاً ولو بفعل نفسه إتمام التشهد المعتبر عنده اهـ.

تنبيه يجب على المأموم متابعة الإمام فى تكبيرة الإحرام فلو كبر معه لم تنعقد صلاته وفاقاً لمالك والشافعى وخلاقاً لأبى حنيفة فعنده الأفضل تكبيرة معه وهكذا ذكره بعضهم لأنه شريكه فى الصلاة قال وحقيقة المشاركة فى المقارنة وعنده أيضاً لو سلم قبل إمامه عمداً بلا عذر لم تبطل صلاته (وقال) أصحابه معنى الإتمام الامتثال فمن فعل مثل ما فعل إمامه عد ممثلاً نقل ذلك المحقق فى بعض كتبه والله أعلم (وتقدم) قوله ﷺ فلا تسبقونى بالركوع ولا بالسجود ولا بالانصراف وهو السلام.

وقد قال النبى ﷺ عن الصلاة تحريمها التكبير وتحليلها التسليم صح ذلك عن رسول الله ﷺ قال الترمذى والعمل عليه عند أكثر أهل العلم والله أعلم.

مطلب فى حكم المصافحة بعد الصلاة:

ومن الأمور الغريبة ما شاهدناه بالحرم النبوى من كثير من المصلين عند الفراغ من صلاة الصبح يصافح بعضهم بعضاً ويداومون على ذلك أيضاً بعد الفراغ من صلاة الجمعة وقد جرى البحث فى ذلك مع جماعة من فضلاء المذاهب والذى وقفنا عليه من كلام أئمة مذهبنا كما حقق ذلك فى شرح منظومة الآداب ما هذا ملخصه عند قول الناظم:

وصافح من تلقاه من كل مسلم تناثر خطاياكم كما فى المسند

قال يشير بذلك إلى ما رواه أبو داود والترمذى وحسنه عن البراء بن عازب قال قال رسول الله ﷺ ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يتفرقا (وفى) رواية لأبى داود قال النبى ﷺ إذا التقى المسلمان فصافحا وحمدا لله تعالى واستغفراه غفر لهما .

وأخرج الطبرانى فى الأوسط بإسناد جيد عن حذيفة بن اليمان أن النبى ﷺ قال أن المؤمن إذا التقى المؤمن فسلم عليـن وأخذ بيده فصافحه تناثرت خطاياهما كما يتناثر ورق الشجر .

وأخرج الطبرانى أيضاً عن سلمان بإسناد حسن أن النبى ﷺ قال إن المسلم إذا لقى أخاه فأخذ بيده تحاتت عنهما ذنوبهما كما يتحاتت الورق عن الشجرة اليابسة فى يوم ربح عاصف .

وفى البخارى والترمذى عن قتادة قال قلت لأنس أكانت المصافحة فى أصحاب رسول الله ﷺ قال نعم والآثار فى هذا الباب كثيرة وفيما ذكرناه كفاية والله أعلم (بقى الكلام) فيما اعتاده الناس من المصافحة بعد الصلوات هل ذلك مستحب أم هو بدعة أقول أن خاتمة المحققين الأستاذ المكرم الشيخ محمد السقارينى نقل عن بعض أئمة المذهب أنه سئل عن ذلك فأجاب بدعة لم يفعلها رسول الله ﷺ ولم يستحبها أحد من العلماء انتهى (ثم قال قلت) وظاهر كلام ابن عبد السلام من الشافعية أنها بدعة مباحة وظاهر كلام الإمام النووى أنها سنة .

وقال الحافظ بن حجر فى شرح البخارى قال النووى أصل المصافحة سنة وكونهم حافظا عليها فى بعض الأحوال إلا يخرج ذلك عن أصل السنة

قال الحافظ بن حجر وللنظر في ذلك مجال ونقضه بمثل صلاة غائب فإن صلاة الناقله مستحبه مع كراهيتها أى صلاة الرغائب وبعضهم أطلق تحريمها انتهى كلام الحافظ بن حجر وقوله وبعضهم أطلق تحريمها أى المصافحة بعد الصلوات وصلاة الرغائب.

ولعل وجه التحريم أنهم يعتقدون سنيها وهى ليست بسنة ثم قال المحقق السفارنى قلت ويتوجه مثل ذلك فيما يفعل عقب الدروس ونحوها من أنواع مجامع الخيرات أى فيلحق ذلك بمسألة المصافحة بعد الصلوات أى فهو إما مباح أو هو مسنون والقول بالإباحة اقرب لم نصوا عليه فيما يفعل يوم العبد من قر لهم لا من بقول المصلى لغيره تقبل منا ومنك (وأما) اطلاق التحريم على ذلك ففيه بعد والله أعلم.

مطلب فى لبس الخنز

ولما تم تحريرنا لهذه المسألة بحث معنا صاحبنا الفاضل فى مسألة فقهية وقع النزاع فيها بين المتأخرين من أئمة المذاهب وهى مسألة الخنز من الحرير الذى يصنع بالشام ومصر وغيرهما فيسدا بالحرير ويلحم بغيره من القطن والكتان والوبر ويكون الظهور فيها للحرير والغلبة فى الوزن للقطن ونحوه (فأخذ العلامة) الشيخ عثمان النجدى فى شرحه على العمدة وحاشيته على المنتهى بظاهر نصوص الفقهاء من أئمة المذهب بابن الثوب المنسوج من الحرير وغيره العبرة فيه للظهور فان كان للحرير فلبسه محرم وإلا فلا (وأخذ الشيخ) محمد أبو المواهب الدمشقى وهو الولى الصالح صاحب الكرامات والبركات بما نصوا عليه فى كتب المذهب وهو إباحتة لبس ما سدى بالخير وألحم بغيره أو

كان الحرير وغيره في لظهور سيان ولم يعتبروا الظهور في مسألة الخبز المتقم ذكرها (وقد) عثرت على تحرير المسألة لخلقه في ديارنا الشامية الشيخ محمد السفاريني في شرحه على منظومة الآداب فهناك ما حط كلامه عليه في هذه المسألة قال رحمه الله فان قلت مأخذ النجدي دقيق وهو يوافق ما عللوا به ولكن أن شاء الله ما قاله وفهمه الشيخ محمد أبو المواهب هو التحقيق وعليه العمل والله تعالى اعلم

مطلب حكاية أديب من المدينة:

(فصل) ومن الحوادث العلمية ما مر بنا حال توجهنا إلى مكة المشرفة وذلك أنا ركبنا من جدة مع رفيق لنا في الشقذف وهو أديب فاضل يسكن المدينة المنورة وفي الحوادث الأخيرة سكن مكة فلما أخذ في المسير جعل كلما مر بمن يبيع البطيخ يشتري فيأكل بعضا ويطعم غيره ما بقي فقلت له إن عندي حكاية أريد أن أذكرها وملخصها أن سيدنا عمر رأى جابر بن عبد الله دخل السوق وخرج منه وهو حامل لشيء في يده فقال له ما هذا يا جابر فقال لحم اشتريته لأهلي وتكرر ذلك مرارا فقال له عمراً كل ما اشتيت اشتريت يا جابر أما تخشى قوله تعالى أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا الخ فلما سمع ذلك مني غضب وجعل يقول أنتم غركم كلام الزهاد عبد القادر الجيلي وأمثاله هل أوحاه الله إليهم وجعل يقول الله أعطاني هذا المأل وأمرني أن أصرفه على نفسي فمن يمنعني من ذلك وأساء في المقال (فقلت له) أن الله عز وجل بين أمر الاتفاق في كتابه فقال تعالى والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قوما وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم كم واشكروا الله إن كنتم اياه تعبدون فأمر بالانفاق من الطيبات

وهي الحالات المستلذات فخرج الحرام والمستقذرات وفي آية أخرى قال تعالى
كلوا واشربوا ولا تسرفوا فعدم الاسراف قيد في الانفاق وهو أمر مجمله عليه
عند علماء الظاهر والباطن .

وبيان ذلك وتفصيله في السنة المطهرة مستفيض (قال) لنبى ﷺ لدينا
خضرة حلوة من اكتسبت منها مالا من حله وأنفقت في حقه وأثابه الله عليه
وأورده جنته ومن اكتسب منها مالا من غير حله وأنفقه في غير حقه أحله الله
دار الهون ورب متخوض في مال الله ورسوله فيما اشتهدت نفسه له النار يوم
القيامة أو كما قال ﷺ رواه البيهقي عن ابن عمر (فلو أن من) اكتسب المال
الحرام وأنفقه في شهواته احتج على ذلك بمثل هذه الحججة الداحضة لاستوى
الحلال والحرام والانفاق في الطاعات والمعاصى وذلك للنصوص القطعية من
الكتاب العزيز والسنة المرضية (ثم إننا) في أثناء المسير تفاوضنا الحديث في أمر
مهم وهو ما بحثه علماء الهيئة في حقيقة الكسوف والخسوف وبيان السبب
فيهما فقلت له أن في السنة الصحيحة ما يدل بصراحة على أن الكسوف
والخسوف من آيات الله التي يخوف بها عباده كازلازل والصواعق وهبوب
الريح العاصف وأمثال ذلك لينكفوا ويرجعوا عن المعاصى والمخالفات .

وفي القرآن الكريم إشارة إلى ذلك قال تعالى وما نرسل بالآيات لا
تخويفا وقال تعالى ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغيانا كبيرا فلما سمع ذلك متى
اشتد غضبه وجعل يقول اسمعوا اسمعوا أدلة أهل الهيئة على مذهبهم أدلة
حسية قطعية وإنكارها مكابرة في المحسوس (فقلت له) أن إنكار لأدلة الثابتة
في السنة الصحيحة أعظم وأكبر اثما عند الله عز وجل ولاسيما وفي الآيات
القرآنية تأييد لما في السنة الصحيحة كما تلوناه عليك (وقلت له) الذى في

الصحيحين هو قوله ﷺ إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياة ولكنهما آيتان من آيات الله يخوف الله بهما عباده فإذا رأيتم ذلك فصلوا وادعوا حتى ينكشف ما لكم الخ وهذا الحديث في الصحيحين وقد ورد عن بضعة عشر صحابيا من فضلاء الصحابة وصريحة ينافى ما قرره علماء الهيئة من أن الكسوف أو مر عادي (ولذا قال) العلقمي وفي الحديث رد على من يزعم من أهل الهيئة أن الكسوف أمر عادي لا يتقدم ولا يتأخر إذ لو كان كما يقولون لم يكن في ذلك تخويف ولم يكن للأمر بالصلاة والصدقة والعتق فائدة وكذا قال غير واحد من علماء السنة (ومما نقض به) عليهم ابن العربي وغيره انهم يقولون ان الشمس لا تنكف على الحقيقة وإنما يحول القمر بينها وبين الأرض عند اجتماعهما في العقدين قال وهم يزعمون أن الشمس أضعاف القمر في الجرم فكيف يحجب الصغير الكبير إذا قابله (وقد وقع) وفي حديث النعمان بن بشير وغيره أن للكسوف سببا آخر غير الذي يذكره علماء الهيئة وهو ما أخرجه الإمام أحمد في مسنده والنسائي في سننه وابن ماجه وصححه ابن خزيمة والحاكم ولفظه أن الشمس والقمر لا ينكفان لموت أحد ولا لحياته ولكنهما آيتان من آيات الله يخوف الله بهما عباده وإن الله إذا تجلى لشيء من خلقه له .

مطلب في قوله إن الله إذا تجلى لشيء من خلقه:

قال شراح البخارى وحاصل ما ذكروه في أمر الكسوف أن كان حقا في نفس الامر فلا يافى كون الكسوف آية دالة على التخويف لأن لله تعالى أفعالا جزية على حسب العادة وأفعالا خارجة عن ذلك وقدرته حاكمة على كل سبب فالكسوف أثر الارادة القديمة وفعل الرب وتكوينه فيخلق في هذين

الحرمين النور ويسلبه عنها متى أراد من غير توقف على سبب أو ربط باقتران (فان قلت) أن الغزالي قد أنكر هذه الزيادة وقال يجب تكذيب ناقلها لمخالفتها أمرا قطعيا (نلت) لم يرتض ذلك علماء الحديث قاطبة ومال السبكي إلى الجمع بين ما دلت عليه السنة الصحيحة وبين كلام أهل الهيئة فارجع إليه والله أعلم.

وفى الجامع الصغير عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال إن الشمس والقمر إذا رأى أحدهم من عظمه الله شيئا حاد عن مجراه فانكسف قال المناوى أى لشدة ما يحصل له من الحلال والعظمة اهـ (فلما) تلونا عليه شيئا من ذلك اغتاض وتشاغل عنى وهو كظيم ثم فارضنى مرة أخرى وقال إن معجزات النبي ﷺ ليس فيها شيء يسلم من الاعتراض أو يسلم له الأفضة أصحاب الفيل فانها سالمة من الاعتراض والمعارضة (فقلت له) وانشقاق القمر فهز برأسه وأشار إلى أن الاجرام العلوية لا تقبل الحرق والالتئام (فقلت له) قوله تعالى ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر هو صريح القرآن وكذلك قوله تعالى وفتح السماء فكانت أبواب.

وصح أن النبي ﷺ قال لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا كلهم أجمعون ذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرا.

مطلب فى حراسة السماء بالشهب:

وقلت له أيضا أن حراسة السماء بالشهب وإرسال الشهب نح الأرض فى أول المبعث النبوى قد سلم لها الناس مؤمنهم وكافرهم ونزل فيها القرآن قوله تعالى وإنا لمسنا فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهيا وإنا كنا نقعد منها

مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا (فقال) ومن رأى فى السماء نارا وهن برأسه منكرا لذلك فتشاغلت عنه عند ذلك ورأيت من تهاون فى أمر الطهارة والصلاة شيا عظيما فأوجب ذلك سوء الظن به (ولما وصلنا مكة) المشرفة ذكرت شيئا من ذلك الذى رأيت له بعض الإخوان من علماء مكة فحضرة العلامة الفاضل الشيخ حسب الله قال قال لى إنا سمعنا من كلمات لسانه مقال غريبة يعتب على الصحابة الكرام عدم توليتهم أمر الأمة المحمدية للسيدة فاطمة رضوان الله عليها ويقول أن ذلك لو كان لسلمت الأمة سفك الدماء والاختلاف .

وقال لى آخر من فضلا مكة أيضا أن النبى ﷺ قال افتقرت اليهود على احدى وسبعين فرقة وافتقرت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة ستفترق أمتى ثلاثا وسبعين فرقة كلها فى النار إلا واحدة فهتم مقصودهما وأمست عن الأخبار الذى سمته منه هو بوجب الانحلال من الدين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم نسأله تعانى أن يحفظ علينا ديننا وأن يحقق لنا يقيننا يمنه وكرمه أنه وليس الإجابة ومنه يطلب الرداية والتوفيق والله أعلم .

مطلب فى حكاية أدبية:

(فصل) ومن الحوادث العلمية ما وقفنا عليه فى بعض الكتب القديمة عند قوله ﷺ الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر حديث صحيح والذى وقفنا عليه هو ما حكاه القرطى عن سهل الصعلوكى الفقيه الخراسانى وكان ممن جمع رياسة الدين والدنيا أنه كان فى بعض مواكبة ذات يوم إذ خرج عليه يهودى من تنور حمام وه بثياب دنسة وممفة خسيصة بخسة فامسك بزمام مركوبه وقال له ألستم تزعمون أن نبيكم قال الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر

وإلا بعد عبد كافر على زعمكم وترى حالي وأنت عبد مؤمن وترى حالك فأى سجن عليك وأى جنة بعد (فقال له إذا صرت غدا إلى عذاب الله) كانت هذه أى الحالة التى أنت عليها جنتك وإذا صرت أنا إلى النعيم المقسيم والرضوان كان هذا أى الذى أنا فيه سجنى أى كالسج لى بالنسبة لى نعيم الجنة فعجب الحاضرون من فهمه وحسن جوابه (وورد) بمعنى هذا الحديث قوله صلى الله عليه ولم الدنيا لا تصفو لمؤمن كيف وهى سجنه وبلاؤه .

وقال ﷺ الدنيا سجن المؤمن وستته فإذا فارق الدنيا فارق السجن والسنة أى وانتقل إلى الانفساح فى ديار السرور والافراح ولما كان المؤمن فى الدنيا ممنوعا من تناول الشهوات المحرمة كالزنا واللواط وشرب الخمر كان كأنه فى سجن والكافر بخلاف ذلك والله أعلم بما هنالك (ووقفنا) على أثر مفاده أوحى الله إلى الدنيا تمررى وتكدرى على أوليائى كى يجبوا فانى جعلتك سجنًا لهم وجنة لا عذابي أؤكما قال وبعد فراغى من تحرير هذه المسألة وقفت على شرح نفيس لخاتمة المحققين الاستاذ إلا كرم الشيخ محمد السفارنى سماء غداء الأبواب شرح منظومة إلا داب وفيه من النفائس الأدبية ما لا يحصى إلا بكلفة .

مطلب فى فضل التوبة النصوح:

وذكر فى آخر فصلا طويلا فى التوبة فأخذنا من ذلك ما نحرره فى هذه الورقات ليكون كالحتم لرسالتنا هذا .

قال رحمه الله أخرج الإمام أحمد ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ أن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربهم (قال) النووى

معناه أن الله يقبل التوبة من المسيئين ليلا ونهارا ولا يختص قبولها بوقت
ويست اليد استعارة في قبول التوبة (وقال) الماوردي المراد به قبول التوبة وإنما
ورد بلفظ اليد لأن العرب إذا رضی أحدهم الشيء بسط يده لقبوله وإذا كرهه
قبضه عنه فخطوبوا بأمر يعرفونه كى يفهموه وظاهره محال على الله لأن يد
الجارحة مستحلية فى حقه تعالى انتهى من العلمى .

وأخرج مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول
الله ﷺ من تاب من قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه (قال)
الحفنى فى حاشيته قوله من مغربها هذا صريح فى أن الشمس تطلع من
مغربها حقيقة وبعضهم أنكر ذلك قال المناوى .

واختلف العلماء فيه فقيل بكفرة والراجع عدم الكفر لأنه ليس معلوما
من الدين بالضرورة إذ لا يعلمه كل أحد انتهى كلام الحفنى (أقول) وهو
نقيس وحيث قلنا أنه لا يكفر (نقول) لكنه بدعة وضلالة فى الدين كمن ينكر
سؤال القبر ونعيمه وعذابه قالوا يكون ذلك بدعة وضلالة فى الدين لإنكاره
لشئ وردت به السنة الصحيحة وهذا مثله .

وروى ابن ماجه بإسناد جيد عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال
قال النبى ﷺ لو أخطأتم حتى تبلغ خطاياكم السماء ثم تبتم لتاب الله عليكم
(وروى) الحاكم بإسناد صحيح عن جابر بن عبد الله قال قال النبى ﷺ من
سعادة المرء أن يطول عمره ويرزقه بالله الإجابة^(١) .

وروى الترمذى والحاكم وقال صحيح الإسناد وابن ماجه عن أنس قال
قال النبى ﷺ كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون ..

(١) أى التوبة والرجوع على الخير اهـ مؤلف .

وأخرج البخارى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول أن عبدا أصاب ذنبا فقال يا رب أنى أذنبت فاغفر لى فقال له رب علم عبدى أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به فغفر له ثم مكث ما شاء الله ثم أصاب ذنبا آخر فقال يارب إنى أذنبت ذنبا فاغفره لى فقال ربه علم يغفر الذنب ويأخذ به فقال ربه غفرت لعبدى فليعمل ما شاء انتهى ما فى لصحيحين .

قال الحافظ المنذرى معناه والله أعلم أنه ما دام كلما أذنب واستغفر عازما أنه لا يعود إليه فليفعل إذا كان هدى؛ فإنه ما شاء لأنه كلما أذنب توبته واستغفارة كغارة لذنبه فلا يضره ذلك لا أنه يذنب فيستغفر بلسانه منه من غير اقلاع ثم يعلوده فهذه توبة الكذابين ١ هـ .

والخاصل أنه لا بد لصحة التوبة من وجود هذه الأمور الثلاثة الأول والاقلاع عن الذنب الثانى الندم على فعله الثالث العزم على أنه لا يعود إليه فإذا وجدت الثلاثة صحت التوبة فان عاد بعد ذلك فلا تبطل توبته الأولى بل يحتاج إلى تجديد التوبة (وهذا مذهب أهل السنة خلافا للمعتزلة فى قولهم يبطلان الأولى والله أعلم .

وأخرج الطبرانى بإسناد حسن عن معاذ أن النبى ﷺ قال عليك بتقوى الله ما استطعت وأذكر الله عند كل حجر وشجر وما علمت من سوء فأحدث له توبة السر بالسر والعلانية بالعلانية .

وروى الأصبهاني عن أنس أن النبى ﷺ قال إذا تاب العبد من ذنوبه أنس الله حفظته ذنوبه وانسى ذلك جوارحه ومعاله من الأرض حتى يلقى الله يوم القيامة وليس عليه شاهد من الله بذنوبه ورواه ابن عاكر عنه أيضا .

وقال النبي ﷺ التائب من الذنب كم لا ذنب له والمستغفر من الذنب وهو مقيم عليه كالمستهزئ بربه .

مسألة قوله عليه الصلاة والسلام لله أفرح بعبدته المؤمن إلى آخره:

وفى الصحيحين وغيرهما عن عبد الله أن النبي ﷺ قال لله أفرح بتوبه عبده المؤمن من رجل نزل بارض دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع رأسه فنام فاستيقظ وقد ذهب راحلته فطلبها حتى إذا اشتد عليه الحر والعطش وما شاء الله قال ارجع إلى مكاني الذي كنت فيه فأنام حتى أمرت فوضع رأسه على ساعدة ليموت فيسقيظ فإذا ولمحانه عند هو وعليها طعامه وشرابه وزاده قاله أشد فرحا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته اهـ .

وروى ابن عساکر فى اماليه عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال لله أفرح بتوبة عبده المؤمن من العقيم الوالد ومن الضال الواجد ومن الظمآن الوارد فمن تاب إلى الله توبة نصوحا انسى الله حافظيه وبقاع الأرض كلها خطاياهم وذنوبهم .

وفى الحديث المرفوع عن معاذ بن جبل أن النبي ﷺ قال له اتق الله حيث ما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن (ويكفى) لفضل التوبة قوله تعالى أن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين (ولما) نخبر تحريرنا لهذا البحث الشريف المتضمن لبيان فضل التوبة وإن التائب الصادق فى توبته من الله بمكان جرى البحث فيما بيننا وبين صاحبنا الفاضل فى مسألة مهمة من مسائل التوبة وهى أن قوله تعالى إلا من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وملخص البحث ما حقيقة هذا التبديل هل هو على ظاهره بأن يعطى التائب الصادق بدل كل سيئة حسنة فيلزم أن يكون

التائب من المعاصى أفضل وأكثر ثوابا من السالم من العصيان أو المعنى فيه غير هذا الذى هو ظاهر اللفظ (فقلت) إن فى تفسير العلامة البيضاوى اشارة على الجواب عن ذلك وملخص جوابه ما ذكره فى تفسيره قال بأن يمسحو سوابق معاصيتهم بالتوبة ويثبت مكانها لو احق طاعتهم أو يبدل ملكة المعصية فى النفس بملك الطاعة فيها وقيل معنى التبديل أن يوقفه لاضداد ما سلف منه أو يثبت له بدل كل عاقب ثوابا ا هـ.

مطلب فى معنى تبديل سيئات التائب بحسنات:

وقال خاتمة المحققين عند ذكره لهذا المبحث الرابع من صحة توبته فهل تغفر خطيئته فقط أم تغيير ويعطى بدلها حسنة ظاهر الأدلة من الكتاب والسنة الأول وهو حصول المغفرة للتائب الصادق خاصة وهذا ظاهر كلام أصحابنا وغيرهم وأما قوه تعالى فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسناتهم فقال الحافظ ابن الجوزى (خلف العلماء) فى هذا التبديل وفى زمان كونه فقال ابن عباس يبدل الله شركهم إيمانا وقتلهم إمساكا^(١) وزناهم احصانا قال وهذا يدل على أن التبديل يكون فى الدنيا (قال) وعن ذهب إلى هذا سعيد بن جبير ومجاهد رقنادة والضحك وابن زيد الثانى أن التبديل يكون فى الآخرة قاله سلمان الفارسى وسعيد بن المسيب وعلى ابن الحسين وقال عمرو بن ميمون بن مهران أن يبدل الله سيئات المؤمن إذا غفرها له حسنات حتى أن العبيد ليتمنى أن يكون أكثر من السيئات ثم تاب منها وروى عن الحسن كالقولين.

قال الحافظ ابن الجوزى ويؤكد هذا القول ما روى من حديث أبى ذر عن النبى ﷺ أنه قال أنى لا أعلم آخر أهل الجنة دخولا الجنة وآخر أهل النار

(١) قوله إمساكا أى عن القتل وسماء تديلا مجازا ا هـ.

خروجاً منها رجل يؤتى به يوم القيامة فيقال اعرضوا عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها فيعرض عليه صغار ذنوبه فيقال عملت يوم كذا وكذا وكذا فيقول نعم لا يستطيع أن ينكر وهو مسفق من كبار ذنوبه أن تعرض عليه فيقال له أن لك مكان كل سيئة حسنة فيقول رب إنى عملت أشياء لم أرها هنا فلقد رأيت رسول الله ضحك حتى بدت نواجذه رواه مسلم.

فهذا الحديث يشهد للقول الثانى والجواب أنه فى رجل خاص فلا يقتضى العموم وأيضاً فليس فيه ذكر التوبة فيجوز أن يكون حصل بذلك بمحض فضل رحمة الله عز وجل لا بسبب منه من توبة ولا غيرها كما أن الله عز وجل ينشئ للجنة خلقاً يسكنهم إياها بفضل رحمته فلا حجة فيه لهذا القول فى هذه المسألة.

وأما الآية وهى قوله تعالى فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات فهى محتملة للقولين^(١) أى المتقدمين والأول يوافق ظواهر عموم الأدلة أى أن التائب الصادق فى توبته يسلم من إثم المعصية التى تاب منها فقط ولا ظهور فيها للقول الثانى وهو أن التائب الصادق فى توبته يعطى بدل كل سيئة تاب منها حسنة فكيف يقال بتبديل خاص بلا دليل خاص مع مخالفته للظواهر هذا فيه بعد.

إلى أن قال المحقق قلت وقد أخرج البزار والطبرانى واللفظ له أن رجلاً سأل النبى ﷺ فقال رأيت رجلاً عمل الذنوب كلها ولم يترك منها شيئاً فهل لذلك من توبة فقال له هل أسلمت فقال أما أنا فأشهد أن لا إله إلا الله وإنك

(١) هو مجزوم فى جواب الأمر الذى هو تفعل لأنه بمنزلة أفعل الخيريات واترك السيئات يجعلهن الله بك حسنات اهـ مؤلف.

رسول الله قال تفعل الخيرات وتترك السيئات يجعلهن الله لك خيرات كلهن قال وغدراتي وفجراني قال نعم قال الله أكبر وما زال يكبر حتى توارى ا هـ .

فهذه أيضا قضية عين لا عموم فيها عند الحافظ بن الجورى ومن نحا نحوه ا هـ كلام الأستاذ خاتمة المحققين والذي يظهر أنه يميل إلى القول الأول وهو الذى يقتضيه كلام القاضى البيضاوى فى تفسيره وهو صريح كلام ابن عباس الذى هو امام المفسرين وفى تفسير العلامة الألوسى مزيد لذلك فى سورة الفرقان فارجع إليه أن شئت والله أعلم .

مطلب فى قوله من تاب من ذنوبه قبل طلوع الشمس من مغربها :

تنبيه جرى فى مجلس علمى مذاكرة علمية بحضرة جمع من أدباء العصر وملخص ذلك أنه ذكر فى المجلس قول النبى ﷺ من تاب من قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه ومفهومه أن من تاب من ذنبه بعد طلوع الشمس من مغربها أنه لا يتاب عليه وهو أمر مجمع عليه عند العلماء (فاعترض) بعضهم بأن من أسماؤه تعالى الغفار وعدم قبول التوبى بعد طلوع الشمس من مغربها يقتضى تعطيل الذات العلية من أثر هذا الاسم الشريف وسألنى بعضهم عن ذلك (فقلت) له أن الشارع أخبر بذلك وخبره صحيح مقطوع بصحته بصريح السنة ودلالة الآية الكريمة يوم يأتى بعض آيات ربك وكون الحكم مغياً بغاية لا محذور فيه كقوله تعالى حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون فإنه مغياً بنزول عيسى عليه السلام وحينئذ فلا تقبل الجزية وهو أمر مجمع عليه والقياس لا يصير إليه إلا عند عدم وجود النص الصريح والله أعلم .

ومن متعلقات هذه المسألة ما بحثه بعض الفضلاء فيها أيضا .

وملخص ذلك هل عدم قبول التوبة مخصوص بمن يشاهد طلوعها من أهل ذلك العصر أم يمتد عدم القبول إلى قيام الساع فيه فحال لنظر وقد ورد في الحديث يمكث الناس بعد طلوع الشمس من مغبتها ما ثر عشرين سنة وهو مروى عن ابن عمر وروى عبد بن حميد عنه أيضا يبقى الناس بعد طلوع الشمس من مغبتها عشرين ومائة سنة .

وروى أيضا عن أبي هريرة مرفوعا لا تقوم الساعة حتى يلتقى الشيخان الكبيران فيقول أحدهما للآخر متى ولدت فيقول زمن طلعت الشمس من مغربها (إذا) علمت ذلك ظهرت أنه لا بد لأهل ذلك العصر من فعل الطاعات وارتكاب المعاصي وفي بعض الآثار أن الشمس إذا طلعت من مغربها أغلق باب التوبة فمن كل على شيء بعده استامر له أى فمن كان على الإيمان، والطاعات استمر له ذلك ومن كان على الكفر والمعاصي استمر له ذلك فلا يتغير حاله وحينئذ فلا يلزم حفظه ولا كتابة صحف وقيل أن الجوارح هي التي تشهد على الأعمال .

وقد أخرج الإمام والطبراني وغيره عن مالك بن يخامر وعبد الرحمن ابن عوف وعبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال لا تزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من مسربها فإذا طلعت طبع على كل قلب بما فيه وكفى الناس العمل .

وأخرج الطبري وعبد بن حميد عن عائشة بسند صحيح إذا خرج أول الآيات يعنى طلوع الشمس من مغربها طرحت الأقلام وطونيت الحصف وخلصت الحفظة وشهدت الأجساد على الأعمال فهذه الآثار يقوى بعضها بعضا وهي متفقة على أنه إذا طلعت الشمس من المغرب أغلق باب التوبة ولم

يفتح بعد ذلك ولا يختص ذلك . بيوم طلوعها بل يمتد يوم القيامة صرح بذلك الاستاذ المحققين في بعض كتبه والله أعلم .

مطلب في شهادة الناس للميت عند صلاة الجنائز:

(فصل) ومن الحوادث العلمية ما جرت المفاوضة فيه بيننا وبين صاحبنا الفاضل في بعض المجالس وملخص ذلك أن ما يفعله الناس بعد صلاة الجنائز يقوم أحدهم فيسأل كيف تشهدون في هذا فيقولون تشهد له بخير قال هل لذلك من أصل وهل ذكر ذلك أحد من أرباب المذاهب المتبوعة أم هو بدع وما ورد فإنما هو في الثناء الإلهامي من أهل الدين والصلاح (فقلت أننى طالما تتبعت) البحث عن هذه المسألة فلم أعثر على نص صريح فيها حتى رأيت ذلك الخاتمة المحققين ونصه هكذا الرابع ما اعتاده الناس من القيام على الجنائز وسؤال الناس ليشه له بخير فهو محمود شرعا وهو من عاجل بشرى المؤمن بشرط أن يكون ذلك الهاما وأن يكون من عدل عالم بما يشهد به للميت فان شهد له بخير وهو يعلم خلافه كان شاهد زور .

فقد قال الفقهاء في قول المصلى أنه عبدك نزل بك وأنت بخير منزول به ولا نعلم الأخير أن كان يعلم منه غير الخبر لا يقول ذلك وإلا كان شاهد زور .

وقد صح عن أنس أن جنازة مرت بالنبي ﷺ فأتوا عليها خيرا بحسب ما علموا وما ألقى الله في قلوبهم وأبعت الألسنة بالثناء لها بخير فقال رسول الله ﷺ وجبت ثم مرة جنازة أخرى فأتوا عليها شرا بحسب ما علموا وما ألقى الله في قلوبهم وتابعت الألسن بالشر فقال رسول الله ﷺ وجبت فقال عمر بأبي أنت يا رسول الله ما وجبت قال من أثبتتم عليه خيرا وجبت له

الجنة ومن أثبتتم عليه شرا وجبت له النار أنتم شهداء الله في الأرض قالها ثلاثا اهـ. قال بعض المحققين من أئمة المذهب أعلم أن من أطلق الله السنة الناس بالثناء عليه بالخير والذكر الصالح كان ذلك دليلا على أنه من أهل الخير فيغلب على الظن ذلك قال وغير مستنكر أن يلقي الله على السنة المسلمين ثناء حسنا على عبد أحبه وأن يضع له في قلوبهم مودة ودليله قوله تعالى أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا.

وفي الصحيحين أن النبي ﷺ قال إذا أحب الله عبدا دعا جبريل فقال أن الله يحب فلانا فأحبه قال فيحبه جبريل ثم ينادى في السماء أن الله يحب فلانا فأحبه قال فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض وذكر في البغضاء مثل ذلك.

وفي الصحيح أيضا أن رجلا قال للنبي ﷺ أرأيت الرجل يعمل الخير فيحمده الناس عليه قال تلك عاجل بشرى المؤمن اهـ.

قال العلماء معناه أن هذه البشرى المعجلة له بالخير وهي دليل البشرى المؤخرة إلى الآخرة لقوله تعالى بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار.

وقال النبي ﷺ إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان وفي رواية بالخير قال تعالى إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فمتى أولئك.

وفي هذا الحديث دليل على جواز ذكر الفاسق بما فيه وإنما يجوز ذلك حيث كان فيه مصلحة راجحة ويعتبر في جانب المدح أن لا يكون فيه مجازفة وأن يؤمن على الممدوح من العجب وفي الحديث إياكم والمدح فإنه الذبح.

قال العلماء تباح الغيبة فى كل غرض صحيح شرعا كالتظلم والاستعانة على تغيير المنكر والاستفتاء والتحذير من الشر قالوا ومن تجوز غيبتهم من يتجاهر بالفسق والظلم أو البدعة إلى غير ذلك مما ذكره مفضلا والله أعلم .
 وأما قوله ﷺ لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا وقوله ﷺ أذكروا محاسن موتاكم عن مساويهم وقوله ﷺ لا تسبوا موتانا فتؤذوا أحيانا .

وقوله ﷺ لا تذكروا موتا إلا بخير أن يكونوا من أهل الجنة تأثموا وإن يكون من أهل النار فحسبهم ما هم فيه فكل ذلك محمول على ما إذا لم يكن فى السبب مصلحة راجحة جما بين الأخبار والله أعلم .

(فصل) ومن الحوادث العلمية ما مر بنا حال قراءتنا لحصة فى مصطلح الحديث فى بحث المتواتر وقد عرفوه بأنه ما رواه عدد كثير أحالت العادة تواطئهم على الكذب ورووا ذلك عن مثلهم من الابتداء وكان مستند انتهاهم الحس وانضاف إلى ذلك أن يصحب خبرهم إفادة العلم إلى سامعه فإن تخلفت إفادة العلم عنه كان مشهورا فقط فكل متواتر مشهور من غير عكس .

مطلب فى الحديث المتواتر:

فشروط التواتر أربعة وإذا اجتمعت استلزمت حصول العلم وهو كذلك فى الغالب لكن قد يتخلف أى حصول العلم لمانع أى فى السامع . (ولما) وقف صاحبنا الفاضل على مضمون ما تقدم بحث فى المانع ما هو فقلت له لعلمهم أرادوا بذلك التعمه والجنون كالبه ونحوه .

ثم بحث فى تعيين أفراده من السنة فقلت حبا وكرامة والذى وقفنا عليه من كلامهم أحاديث معلومة :

منها قوله ﷺ من كذب على متعمدا فليتبوا مقعده من النار صرح كثير منهم بأنه متواتر وبمعناه قوله ﷺ أن كذبا على ليس ككذب على أحد فمن كذب على متعمدا فليتبوا مقعده من النار والكذب هو الإخبار بالشئ ما هو عليه سواء كان عمد أو خطأ لكن المخطئ غير آثم اجماعا.

مطلب فى قوله الخيل فى نواصيها الخير:

ومنها قوله ﷺ الخيل معقود فى توأصيها الخير إلى يوم القيامة الاجر والمغنم صرح كثير منهم بأنه متواتر والمراد بالخيل الغزاة المعدة للجهاد بمعنى أن الخير ملازم لتوأصيها إلى يوم القيامة ويفهم منه أن الجهاد يبقى إلى يوم القيامة أى إلى قربها وفى حديث والجهاد ماض منذ بعثنى الله لى أن يقاتل آخر أمتى الدجال لا يبطله جوز جائر ولا عدل عادل وهو فى السنن سنن أبى داود عن أنس ولفظه قال النبى ﷺ ثلاث من أعمال الإيمان الكف عمن قال لا إله إلا الله ولا نكثه بذنوب ولا نخرجه من الإسلام بعمل والجهاد ماض منذ بعثنى الله إلى أن يقاتل آخر أمتى الدجال لا يبطله جوز جائر ولا عدل عادل والإيمان بالاقدار اهـ رمز له فى الجامع الصغير عن أنس.

ثم إن هذا الحديث اشتمل على مهمات يطلب التنبيه عليها منها قوله ﷺ الكف عن قال لا إله إلا الله أى مع محمد رسول الله علم ذلك من القواعد الإسلامية فمن قالها وجب الكف عن دمه وماله وحسابه على الله فيما يتعلق بأمر الاعتقاد وقوله ولا نخرجه من الإسلام بعمل أى من أعمال المعاصى فقط فخرج العمل المكفر كالسجود لغير الله ونحوه من الأعمال المكفرة فهو عام مخصوص بأعمال المعاصى ففيه رد على الخوارج ونحوهم من أهل البدع الذين يكفرون أهل القبلة بالمعاصى ولو لم يعتقدوا حلها إذا ماتوا

غير تائبين وهو مذهب باطل مصادم لنصوص السنة المتواترة ولظاهر القرآن الكريم ومنها قوله والجهاد ماض إلخ فسرهُ الشارح بقوله الخصلة الثانية اعتقاد كون الجهاد نافذا حكمه منذ بعثنى الله إلى أن يقاتل متى الدجال فينتهى حيثئذ حكم الجهاد ففيهم منه أن حكم الجهاد الوجوب عند الاستطاعة وأن هذا الحكم مستمر إلى آخر المدة الإسلامية وليس المراد استمرار وجود الجهاد بالفعل لأنه قد يتعطل في بعض الأزمنة أو يقال أن المراد وجوه بالفعل ولو في بعض الأمكنة والله أعلم ومنها قوله والإيمان بالاقدار أى ومن أصل الإيمان الإيمان بالقدر ومذهب أهل الحق وجوب الإيمان بالقدر ومعناه أن أوقات معلومة عنده سبحانه وعلى صفات مخصوصة فهى تقع على حسب فاقدرها وأنكرت القدرية هذا وزعمت أنه سبحانه لم يقدرها ولم يتقدم عليه بها وإنه سبحانه إنما يعلمها بعد وقوعها وسميت هذه الفرقة قدرية لإنكارهم القدر والله أعلم .

ومنها أى الأحاديث بالمتواترة قوله ﷺ نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فأداها إلى من إلى من لم يسمعها فرب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه إلى من هو أفقه زاد ابن ماجه فى سننه ثلاث لا يغفل عليهن قلب الزمن إخلاص العمل لله وطاعة ذوى الأمر ولزوم الجماعة اهـ . وهذه الجملة الأخيرة هى من تمام الحديث الذى فى سنن الحافظ القزوينى المعروف بابن ماجه ولم يظهر لى وجه مناسبتها لأول الحديث ولم أر من نبه على ذلك غير أنى وقفت على حاشيه السنن للسندى فأشار إلى الجواب عن ذلك فليرجع فإنه دقيق اهـ .

مطلب فى الأحاديث المتواترة:

ومنها أى الأحاديث المتواترة قوله ﷺ لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن أى وهو كامل الإيمان وهذا أحسن ما قيل فيه .

ومنها قوله ﷺ أكمل المؤمنين إيماننا أحسنهم خلقا .

ومنها قوله ﷺ لما سئل عن البحر فقال هو الطهور ماءه الحل ميتته .

ومنها قوله ﷺ لا يقبل الله صلاة بغير ظهور ولا صدقة من غلول أى

حرام .

ومنها قوله ﷺ من بنى مسجد الله بنى الله له بيتا فى الجنة .

ومنها قوله ﷺ بشر المشائين فى الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم

القيامة .

ومنها قوله ﷺ مفتاح الصلاة الطهور وتحريمها التكبير أى تكبيرة

الاحرام وتحليلها التسليم أى فلا يحل الخروج منها إلا بالتسليم كما هو عند

الجمهور .

ومنها قوله ﷺ أن الله رادكم صلاة هى خير لكم من حمر النعم ألا

وهى الوتر .

ومنها قوله ﷺ وسلم من ترك الجمعة ثلاث مرات من غير عذر طبع

الله على قلبه أى فيكون من الغافلين .

ومنها قوله ﷺ إذا أتى أحدكم الجمعة فليغتسل .

ومنها قوله ﷺ لقنوا موتاكم لا إله إلا الله والمراد من حضرهم الموت عند النزاع .

ومنها قوله ﷺ صوم يوم عاشوراء يكفر سنة وصوم يوم عرفة يكفر سنتين .

ومنها قوله ﷺ من صام رمضان واتبعه ستا من شوال فكأنما صام الدهر .

ومنها قوله ﷺ عمرة في رمضان تعدل حجة .

ومنها قوله ﷺ المستشار مؤمن (ومنها) قوله ﷺ اتقوا النار ولو بشق تمرة .

ومنها قوله ﷺ لا حول ولا قوة إلا بالله كنز من كنوز الجنة .

ومنها قوله ﷺ لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى إليهما ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب .

ومنها قوله ﷺ يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام .

ومنها قوله ﷺ من لا يرحم لا يرحم ومعناه قوله ﷺ ما نزلت الرحمة إلا من شقى .

ومنها وقوله ﷺ ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة .

ومنها قوله ﷺ من عاد مريضا خاض في الرحمة حتى يجلس غمرته الرحمة .

ومنها قوله ﷺ الظلم ظلمات يوم القيامة .

ومنها قوله ﷺ لن يدخل أحدكم الجنة عمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته.

ومنها قوله ﷺ لغزوة في سبيل الله أروحة خير من الدنيا وما فيها.

ومنها قوله ﷺ لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك.

ومنها قوله ﷺ لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية فإذا استغفرتهم فانفروا.

ومنها قوله ﷺ أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي نصرت بالعرب مسيرة شهر وجعلت لى الأرض مسجدا وظهر فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل وأحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وأعطيت الشفاعة^(١)، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة ويبعث للناس عامة.

ومنها قوله ﷺ أنا معشر الأنبياء لا نورث ما تركنا صدقة.

ومنها قوله ﷺ لو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلا.

ومنها قوله ﷺ من كنت مولاه فعلى مولاه.

ومنها قوله ﷺ لعلى أما أن ترضى أن تكون منى بمنزلة هرون من موسى

إلا أنه لا نبى بعدى.

ومنها قوله ﷺ يقتل عمار الفئة الباغية.

ومنها قوله ﷺ الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة.

ومنها قوله ﷺ خير الناس ثم الذين يلونهم.

(١) أى وهى لفصل القضاء.

ومنها) قوله ﷺ حوضى مسيره شهر وزواياه سواء مائه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء من شرب منه شربه فلا يظماً بعدها أبداً .

ومنها قوله ﷺ يدخل الجنة من أمتى سبعون ألفاً بغير حساب .

ومنها قوله ﷺ يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان فى قلبه من الخير ما يزن شعيرة ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله إلا كان وكان فى قلبه من الخير ما يزن برة ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان فى قلبه من الخير ما يزن ذرة اهـ .

ومنها قوله ﷺ أربع من كن فيه فهو مؤمن ومن جاء بثلاثة وكنتم واحدة فقد كف شهادة أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله وإنه مبعوث بعد الموت وإيمان باقدر خيره وشره .

ومنها قوله ﷺ من يقل على ما لم أقل فليتيوا مقعده من النار .

ومنها قوله ﷺ من صلى فى اليوم والليلة اثنتى عشرة ركعة تطوعاً بنى الله له بيتاً فى الجنة اهـ .

أقول لم يبين فى هذه الرواية العدد المذكور وقد بينه فى رواية النسائي عن أم حبيبة فقالت أربع ركعات قبل الظهر وركعتان بعدها وركعتان بعد المغرب وركعتان بعد العشاء وركعتان قبل الفجر وهذه هى المسماة بالرواتب المؤكدة عند الفقهاء كما هو منصوص حديث ابن عمرو حفظت من رسول الله ﷺ عشر ركعات فعند منها ركعتين قبل الظهر إلخ وهو فى الصحيحين والله أعلم .

(فصل) ومن الحوادث العلمية ما وقفنا عليه حين قراءتنا في ثلاثيات المسند مسند الإمام أحمد طيب الله ثراه ولفظه هذا قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن أبي عدى قال حدثنا ابن عون قال حدثنا أنس بن مالك أنه قال صنع بعض عمومتي طعاما فقال النبي ﷺ أنى أحب أن تأكل في بيتي وتصل فيه قال فأتاه ومن شاء الله من أصحابه قال وفي البيت فحل من تلك (١) الفحول ثم قال أين تحب أن أصلى من بيتك قال فأشار له إلى ناحية من البيت فقام رسول الله ﷺ فكبر وقمنا وراءه ركعتين ثم سلم وحبسه على خزيرة صنفها له وساق الحديث إلخ .

قال الشارح وفي هذا الحديث فوائد منها جواز اتخاذ موضع معين للصلاة وأما النهى عن أيطان موضع معين من المسجد لأنه يلزم منه بعض بقاع المسجد ببعض الأشخاص مع ما يستلزم من الرياء ونحوه فليس ذلك بلازم في مسجد بيته ومنها مشروعية إمامة الزائر في بيت المزار وأما النهى عن امامة الزائر من وزارة فمخصوص بما إذا كان الزائر غير الإمام الاعظم وكذا من أذن له صاحب البيت ومنها التبرك المواضع إلى صلى فيها النبي ﷺ .

ومنها إجابة الفاضل دعوة المفضول ومنها مشروعية صلاة الضحى وأنه يجوز أن تصلى جماعة من غير أن يتخذ ذلك عادة .

مطلب في مشروعية الضحى:

ومن الدليل على مشروعية صلاة الضحى ما فى الصحيحين وسنن أبى داود والترمذى عن أبى هريرة أنه قال أوصانى خليلى رسول الله ﷺ بصيام

(١) قوله فحل من تلك الفحول أى وهو ذكر الإبل وفائدة ذلك أنه لا يستمتع من الصلاة فى بيت شىء من الإبل اهـ مؤلف .

ثلاثة أيام من كل شهر وركعتى الضحوة وأن أوتر قبل أن أرقد ورواه ابن خزيمة فى صحيحه ولفظه عن أبى هريرة قال أوصانى خليلى رسول الله ﷺ بثلاث لست بتاركهن أن لا أنام إلا على وتر وأن لا أدع ركعتى الضحى فإنها صلاة الأولين وصيام أيام من كل شهر .

وفى صحيح ومسلم من حديث أبى ذر عن النبى ﷺ أنه قال يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة فكل تسيحة صدقة وكل تحميدة وكل تهيلة صدقة وكل تكبيرة صدقة وأمر بالمعروف صدقة ونهى عن المنكر صدقة ويجزى عن ذلك ركعتان يركعهما من الضحى .

وأخرج الإمام أحمد وأبو داود وابن خزيمة من حديث بريدة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول فى الإنسان ستون وثلاثمائة مفصل فعليه أن يتصدق عن كل مفصل منها صدقة فمن يطيق ذلك يا رسول الله قال النخاعة فى المسجد تدفنها صدقة والشئ تنحيه عن الطريق صدقة فإن لم تقدر فركعتان من الضحوة تجزئ عنك .

وأخرج الإمام أحمد أيضا من حديث عقبة بن عامر الجهنى أن رسول الله ﷺ قال إن الله عز وجل يقول يا ابن آدم أكفنى أول النهار بأربع ركعات أكفك بهن آخر يومك ورجاله رجال الصحيح .

وأخرج الطبرانى فى الكبير ورواته ثقات من حديث أبى الدرداء قال قال رسول الله ﷺ من صلى الضحوة ركعتين لم يكتب من الغافلين ومن صلى أربعاً من العاديين ومن صلى ستاً كفى ذلك اليوم ومن صلى ثمانياً كتبه الله من القانتين ومن صلى اثنتى عشرة ركعة بنى الله له بيتاً فى الجنة وما من يوم ولا ليلة إلا لله من يمن به على عباده وصدقه وما من الله على أحد من

عباده أفضل من أن يلهمه ذكره ورواه البراز عن أبي عمر قالت قلت لأبي ذر يا عماء أوصني سألتني كما سألت رسول الله ﷺ فقال أن صليت الضحى ركعتين لم تكتب من الغافلين فذكر الحديث إلى آخره.

وروى الطبراني وابن خزيمة في صحيحة وغيرهما من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ لا يحافظ على صلاة الضحى إلا أواب، وهي صلاة الأوابين انتهى.

هذا ولما تم تحريرنا لهذه المسألة وبيان ما ورد من الفضائل والترغيب بحث معنا صاحبنا الفاضل يقوم في قصة عتبان أن النبي ﷺ صلى بهم ركعتين جماعة وإن رجلا من آل الجارود سأل أنسا أكان رسول الله ﷺ يصلي الضحى فقال ما رأيته صلاحها إلا يومئذ.

أجاب خاتمة المحققين بقوله قلت لعله أراد ما صلاحها جماعة لا يومئذ وإلا فقد روى ابن ماجه الترمذى بإسناد واحد من حديث أنس أنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول من صلى الضحى عشرة ركعة بنى الله له قصرا في الجنة من ذهب انتهى.

وفى الإقناع وشرحه تسن صلاة الضحى لما روى أبو هريرة قال أوصاني خليلي رسول الله ﷺ بثلاث صيام ثلاثة أيام من كل شهر وكعتي الضحى وأن أوتر قبل أن أنام رواه الإمام أحمد في مسنده ومسلم في صحيحة وعن أبي الدرداء، نحو متفق عليه إلى أن قال في الرقناع وشرحه وعدم المداومة عليها أفضل وفي المبدع وتكره مداومتها تفعل غبا نص عليه الإمام أحمد لقول عائشة ما رأيت النبي ﷺ يصلي الفجر قط متفق عليه.

وروى أبو سعيد الخدري قال كان النبي ﷺ يصلي الضحى حتى نقول

لا يدعها ويدعها حتى نقول لا يصلّيها رواه الإمام أحمد والترمذى وقال حسن غريب ولأن في المداومة عليها تشبيها بالفرائض واستحبها أى المداومة عليها جموع محققة منهم الأجرى وأبو الرفا ابن عقيل وأبو الخطاب زهر أصوب لما تقدم من حديث أبى هريرة وأبى الدرداء، وغيرهما والأفضل فعلها إذا اشتد الحر لحديث زيد بن أرقم أن النبى ﷺ قال صلاة الأولين حين ترمض الفصال رواه الإمام أحمد ومسلم ومعناه أن تحمى الرمضاء وهى الرمل فتبرك الفصال من شدة الحر وأقلها ركعتان وأكثرها ثمان الحديث أنس أن النبى ﷺ قال من قعد فى مصلاه حين ينصرف من صلاة الصبح حتى يسبح ركعتى الضحى لا يقول إلا خيراً غفر له خطاياہ وإن كانت أكثر من زيد البحر رواه أبو داود فى سننه .

وعن عائشة رضی الله عنها كان النبى ﷺ يصلى الضحى أربع ركعات ويزيد ما شاء رواه الإمام أحمد ومسلم .

وروت أم هانئ أن النبى ﷺ عام الفتح صلى ثمانى ركعات سبحة الضحى رواه الجماعة اهـ (أقول) أن الأخذ بالآثار الكثيرة أحوط ويحمل قول عائشة رضی الله عنها ما رأيت رسول الله يصلى الضحى على أنها قالت ذلك بحسب ما علمت من حاله عليه السلام ومن حفظ حجة على من لم يحفظ والله ولى التوفيق وهو أعلم .

مطلب فى فضل الصلاة عند الأسطوانة بالروضة؛

(فصل) ومن الحوادث العلمية ما وقفنا حين قراءتنا فى ثلاثية المسند ونصفه هكذا قال الإمام أحمد حدثنا مكى بن إبراهيم حدثنا مكى بن إبراهيم قال حدثنا يزيد بن ابى عبيد قال كنت آنى مع سلمة بن الأكوع المسجد

فيصلى عند الأستوانة التى عند المصحف أى التى كان عندها المصحف الذى كتبه أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه فقلت له يا أبا مسلم أراك تتحرى الصلاة عند هذه الأستوانة قال نعم أنى رأيت رسول الله ﷺ يتحرى الصلاة عندها .

قال الشارح وهذه الأستوانة فى الروضة ما بين القبر الشريف والمنبر وهى التى صلى إليها النبى ﷺ وسلم المكتوبة بعد تحويل القبلة بضعة عشر يوما ثم تقدم إلى مصلاه وهى أيضا الأستوانة الثالثة من المنبر والثالثة من القبلة والثالثة من القبر الشريف والخامسة من الحربة التى فيها الحصاء اليوم وهى متوسطة فى الروضة الشريفة وتعرف بأستوانه المهاجرين لأن أكابر الصحابة كانوا يصلون إليها ويجلبون حولها وتسمى عائشة للحديث الذى روته أنها لو عرفها الناس لاضطروا على الصلاة عندهم بالسهمان وهى التى أسرت بها عائشة لابن أختها عبد الله فكان أكثر نوافله إليها ويقال أن الدعاء عندها مستجاب كما فى زبدة الأعمال وذكره فى الفتح وعزاه لابن النجار قال وذكره قبله محمد بن الحسن فى أخبار المدينة .

قال الحافظ بن حجر فى شرحه للبخارى حققه لنا بعض مشايخنا أنها يعنى التى تحراها سلمة هى الأستوانة المذكورة المتوسطة فى الروضة الشريفة قال ويحتمل أنها أستوانة التوبة وهى ارتبط فيها أبوا لبابة حتى نزلت توبته (وتقل) أن رباله أن النبى ﷺ كان يصلى نوافله إليها وفى رواية كان أكثر نوافله إليها وكان إذا أصبح الصبح انصرفت إليها وقد سبق إليها الضعفاء والمساكين وأهل الضر والضيغان ومن لا مبيت له إلا المسجد فينصرف إليهم من مصلاه من الصبح فيتلو ما أنزل عليه من القرآن ويحدثهم الحديث .

وقد روى عن ابن عمران رسول الله ﷺ كان إذا اعتكف يطرح له فراشة ويوضع له سريره إلى أسطوانة التوبة مما يلي القبلة يستند إليها وهذه الأسطوانة هي الثانية من القبر الشريف والثانية من القبلة والرابعة من المنبر والخامسة من رحبة المسجد اليوم وخلف هذه الأسطوانة من جهة الشمال أسطوانة أمير المؤمنين على وتعرفت بالحرس لأنه رضى الله عنه كان يجلس إليها لحراسة النبي ﷺ وهي مقابلة الخوخة التي كان رسول الله ﷺ يخرج من بيت عائشة للصلاة بالروضة الشريفة وخلفها أيضا أسطوانة الوفود والله أعلم.

ثم إن شارح ثلاثيات المسند الاستاذ المكرم السفاريني بعد أن حرر ما قدمناه ملخصا أتى بفائدة تشعر بأنه من خاصة أحباب النبي ﷺ ومن العاشقين لذلك الجناب الرفيع فقال لم حججت بيت الله الحرام وزرت قبر خير الأنام قصدت الصلاة إلى هذه الأسطوانة امتازت به من الشرف البازخ وسنى المكانة وتحريت ما تحراه السلف لأحوز بذلك فضيلة المتابعة فرأيتهم قد جعوا إليها محرراً ياليز يدها ذلك وضوحا واعرابا غير أنهم أخروه عما كان وجعلوا ذلك كالعنوان فسألت الأخ في الله علامة المدينة في رفته الشيخ محمد حياة المعروف بالسندى ضاحكا من سؤالي فقد تبين له بالبرهان صدق ما عنيت من البيان قال لى أعلم قد أحروا البيان عن هيئته ليكون خط المصلى فى صلاته أن يكون موضه جهته محل القدمين الشريفين وحسب السعيد من اتمامه أن يضع جيئته بحل اقدمه فقلت له وما جعلوا لذلك لعام لإصابة المكان القبر فقال بل اجعل رمانة كتفك محاذية لرمانة المنبر فحصل لنا بذلك من الفرح والسرور مالا يدخل تحت العبارة ولا تشرحه الاشارة وكان ذلك فى

عام ثمانية وأربعين ومائة من هجرة سيد الكونين وخلاصة الثقلين ﷺ وشرف
وكرم اهـ.

مطلب مهم:

قلت وقد تشرفت أنا بتلك الأماكن الزكية والبقاع الطاهرة القدسية
ووضعت جبهتي بحل الأقدام وصليت بحرايه مراراً عليه أفضل الصلاة
والسلام وكان ذلك ولله الحمد والمنة وفي عام ثمانية عشر بعد الألف
والثلاثمائة من هجرة سيد البشر وأسأل الله الكريم من فضله العميم أن
يمنعنا بالعود إلى مدينة رسول الله وبالمجاورة في حرم خير خلق الله أنه
جواد كريم رؤوف رحيم والله أعلم.

وقال الإمام أحمد أيضاً في مسنده حدثنا حماد بن مسعدة عن يزيد بن
أبي عبيد عن سلمة بن الأكوع أنه كلن يتحرى موضع المصحف أى الموضع
الذى كان فيه فيصلى فيه وذكر أنه النبى ﷺ كان يتحرى ذلك المكان فيصلى
فيه وذكر سلمة أيضاً أنه كان بين المنبر الشريف أى جدار المسجد مما يلي القبلة
عمر الشاة اهـ وروى الإسماعيلي بلفظ كان على عهد رسول الله ﷺ ليس بينه
وبين حائط القبلة لا قدر ما يمر العنز اهـ والله أعلم.

(فصل) ومن الحوادث العلمية ما مر بنا حال مطالعتنا لشرح الإقناع
والمتهى من الفقه الحنبلى وقد نص فقهاء الحنابلة على أنه يستحب صيام يوم
عرفة إلا لمن وقف بها صيام يوم عاشوراء، واستدل الشرح على ذلك بقوله
ﷺ فى صيام يوم عرفة أنى احتسب على الله أن يكفر السنة الماضية والمستقبله
وفى صيام يوم عاشوراء أنى احتسب على الله^(١) أن يكفر السنة الماضية

(١) لفظه هكذا أن يكفر السنة التى قبله والسنة التى بعده اهـ مؤلف.

فبحث معنا صاحبنا الفاضل بقوله أن تكفير السنة الماضية قد علمناه فما معنى تكفير السنة المستقبلية .

مطلب فى قوله من فعل كذا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر:

قلت أن المعنى فيه أن هذا العمل الفضل ببركته تقع ذنوب المستقبل مكفر أو أن العامل ببركة هذا العمل يحفظ من الذنوب فى المستقبل أو ما يشبه ذلك ويبحث معنا أيضا هل ورد فى السنة الشريفة نظير ما ورد فى صيام يوم عرفة من أنه يكفر التى قبله والتى بعده .

قلت ورد فى الصحيح قال النبى ﷺ من صام رمضان إيمانا واحتسابا له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وهذا اللفظ أغنى غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فى مواضع فهلك ما وقفنا عليه .

منها قوله ﷺ من أقرأ إذا سلم الإمام يوم الجمعة قبل أن يثنى رجليه فتحه الكتاب وقل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس سبعا سبعا غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال ابن حجر ينبغى تقييده بما بعد المأثور فى الصحيح هو والمراد بالمأثور آية الكرسي والتسبيحات ثلاثا وثلاثين وأمثالهما فهذه مقدمة .

ومنها ما رواه عثمان عن النبى ﷺ أنه قال لا يسبغ عند الوضوء إلا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر .

ومنها ما روى عن سعد بن أبى وقاص قال قال رسول الله ﷺ من قيل حين يسمع المؤذن يقول أشهد أن لا إله إلا الله رضيت بالله ربا وبالإسلام ديننا وبمحمد نبيا وفى لفظ رسولا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر .

ومنها قوله ﷺ من أهل بحجة أو عمرة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ووجبت له الجنة وهذا الحديث رواه أبو داود والبيهقي في الشعب عن أم سلمة.

ومنها قوله ﷺ من جاء حاجا يريد وجه الله غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر أو نعيم في الجنة.

ومنها قوله ﷺ من قضى نسكه وسلم المسلمون من لسانه ويده غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وهذا الحديث أخرجه أحمد بن منيع وأبو يعلى في مسند بما عن جابر بن عبد الله.

ومنها قوله ﷺ من قرأ آخر سورة الحشر غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

وقال ﷺ من قاد مكفوفاً أربعين خطوة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

وقال ﷺ من سعى لأخيه المسلم في حاجة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

وقال ﷺ ما من عبد بن يلتقيان فيصافحان ويصليان على النبي ﷺ إلا لم ينفرا حتى يغفر الله لهما ذنوبهما ما تقدم منها وما تأخر.

ومنها قوله ﷺ من أكل طعاماً ثم قال الحمد لله الذي أطعمته هذا الطعام ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر هذا من الذي لخصه العزيزي على الجامع الصغير والله أعلم.

قول الله تعالى لعيسى عليه السلام إني باعث من بعدك أمة إلخ:

(فصل) ومن الحوادث العلمية ما مر بنا ونحن بالحرم النبوي قول النبي ﷺ الله لعيسى يا عيسى إني باعث من بعدك أمة أصابهم ما يحبون حمدوا وشكروا وإن أصابهم ما يكرهون صبروا واحتسبوا ولا حلم ولا علم يارب كيف يكون هذا لهم ولا حلم ولا علم قال الله أعطيهم من حلمي وعلمي أهـ أى ويكون لهم حيثئذ حلم وعلم لدنى بحث صاحبنا ما معنى النفى السابق أجبت بأن المعنى لا حلم لهم بقدرتهم واكتسابهم وكذلك قوله ولا علم أى لهم باكتسابهم وإنما ذلك من اعطائي وفضلى فيشعر ذلك بمزيد المدح لهذه الأمة المعطاة ذلك كما لا يخفى وهو الأمة المحمدية شرفها الله وكرمها وأفيضت عليهم المعارف والعلوم الربانية وظهر مصداق ذلك فى كثير من العلماء البارزين والعباد المتألهين والأئمة المحتهدين. ثم بحث صاحبنا أيضاً فى قوله قال الله يا عيسى هل صح عن بعض المحققين أنه منع من قول يقول الله كذا بلفظ المستقبل لأنه يؤذن بحدوث القول وكلام الله قديم.

مطلب فى بطلان قول القائل لا يقال يقول الله كذا:

قلت أن شواهد الاستعمال تبطل ذلك فقد وردت الأخبار من الشارع بلفظ قال ويقول فمن وروده بالأول قوله ﷺ قال الله عز وجل من علم أنى ذو قدرة على مغفرة الذنوب^(١) غفرت له ولا أبالى ما لم يشرك بى شيئاً رواه الطبرانى والحاكم عن ابن عباس ومنه أيضاً قول النبي ﷺ قال الله تعالى أنا الرحمن أنا خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمى فمن وصلها وصلته ومن قطعهم قطعته ومن بتها بتته حديث صحيح.

(١) أى واستغفرنى.

ومنه قول النبي ﷺ أيضاً قال الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة إزاري
أي هما صفتان مختصتان بي فلا يليقان إلا بي اه فمن نازعني واحد منهما قد
فته في النار رأى لتشوفه ما لا يليق إلا الواحد القهار حديث صحيح أيضاً.

ومن وروده بالأول أيضاً قول النبي ﷺ قال الله تعالى شتمني ابن آدم
وما ينبغي له أن يشتمني وكذبني ابن آدم وما ينبغي به أن يكذبني ما شتمه
إياي فقوله أن لي ولدًا وأنا لله الأحد الصمد لم ألد ولم أولد لي كفواً أحد
وأما تكذيبه إياي فقوله ليس يعبدني كما بد أنى وليس أول الخلق بأهون من
إعادته حديث صحيح أيضاً اه.

ومن وروده بالثاني قول النبي ﷺ أن الله تعالى يقول يوم القيامة يا ابن
آدم مرضت فلم تعطني قال فيقول يارب كيف أعودك وأنت رب العالمين قال
إما علمت أن عبدى فلانا مرض فلم تعده إما أنك لو عدته لوجدتني عنده يا
ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني قال يارب كيف أطعمك وأنت رب العالمين
قال أما علمت أنه استطعمك عيذى فلان فلم تطعمه ما علمت أنك لو
أطعمته لوجدت ذلك عندي يا بن آدم استسقينك فلم تسقني قال يا رب كيف
اسقيك وأنت رب العالمين قال استسقاك عيذى فلم تسقه أما أنك لو سقينه
لوجدن ذلك عندي والحديث صحيح رواه مسلم عن أبي هريرة والله أعلم.

ومن وروده بالثاني قول النبي ﷺ أن الله يقول إنى لأهم بأهل الأرض
عذاباً فإذا نظرت إلى عمار بيوتى المتحابين فى والمستغفرين بالأسحار صرفت
عذابى عنهم رواه البيهقى عن أنس. ومن وروده بالثاني أيضاً قول النبي ﷺ
أن الله تعالى يقول أن عبداً أصححت له جسمه ووسعت له فى معيشته بمضى
عليه خمسة أعوام لا يفيد^(١) لى المحروم.

(١) قوله لا يفد إلى أى بيتى اه.

ومنه أيضاً قول النبي ﷺ أن الله تعالى يقول لأهل الجنة يا أهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير في يدك فيقول تعالى هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد أعطينا ما لم تعط أحدا من خلقك فيقول تعالى ألا أعطيكم أفضل من ذلك فيقولون يا ربنا وأى شيء أفضل من ذلك فيقول أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً أهـ وهو حديث صحيح رواه الشيخان عن أبي سعيد وهذا الحديث وأمثاله فيه رد على من قال لا يجوز أن يقال يقول الله عز وجل بصيغة المضارع لا يهامه حدوث القول وإنما يقال قال الله تعالى ورد بأن الفعل إذا أضيف إليه تعالى انسلخ عن الزمان أهـ حفتى وأيضاً ورد في القرآن الكريم والله يقول الحق الخ وبهذا يعلم سقوط هذه الشبهة والله أعلم.

مطلب في قوله لم يتكلم في المهد إلا أربعة:

(فصل) ومن الحوادث العلمية ما مر بنا بالحرم النبوي لحصة من علم السنة وهو قوله ﷺ لم يتكلم في المهد إلا أربعة فبحث معنا صاحبنا الفاضل ما هذا الحصر هل هو حقيقي أم نسبي وطلب بيان ذلك فقلت أن هذا الحديث رواه الحاكم عن أبي هريرة ولفظه قال النبي ﷺ لم يتكلم في المهد إلا أربعة عيسى بن مريم وشاهد يوسف وصاحب جريج الراهب وابن ماشطة فرعون أى لما أراد فرعون إلقاء أمه في النار فتقاعست فقال لها ابنها أنك على الحق فاصبرى وقد نظم بعضهم أسماءهم فبلغوا أحد عشر وذكر قصصهم وأما الحصر المذكور في هذا الحديث فهو نسبي أى لم يتكلم في المهد إلا أربعة من بنى إسرائيل.

وفى لفظ في الصحيح أن النبي ﷺ قال لم يتكلم في المهد إلا ثلاث

عيسى ابن مريم وصاحب جريج الراهب وصبي كان يرضع أمه فمر راكب حسن الهيئة فقالت أمه اللهم أجعل ابني مثل هذا فقال الصبي اللهم لا تجعلني مثله وذكر بعضهم جواباً آخر عن قوله لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة بأنه قال ذلك قبل أن يعلمه الله بالزيادة.

وفي صحيح الإمام البخارى ما هذا لفظه مع بعض اختصار للشرح هكذا حدثنا مسلم بن إبراهيم قال حدثنا جرير بن حازم ومحمد بن سيرين عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال لم يتكلم في المهد إلا ثلاثين عيسى بن مريم وكان في بنى إسرائيل رجل يقال له جريج وفي حديث أبي سلمة أنه كان تاجراً وكان ينقص مرة ويزيد أخرى فقال ما في هذه التجارة خير لا لتمسن تجارة وهي خير من هذه فبنى صومعة فترهب فيها وكانت أمة تأتيه فتناديه فيشرف عليها فتكلمه وكان يصلى وما فجاءته فدعته فقلت يا جريج فقال فى نفسه أجيبها واقطع صلاتى وأصلى فأثر الصلاة على إجابتها بعد أن دعته ثلاثا فدعت قالت اللهم لا تمته حتى تريه وجوه المومسات وكان جريج فى صومعته فتعرضت له امرأة^(١) وكانت راعية ترعى الغنم فكلمته^(٢) فأبى فأنت راعياً فأمكنته من نفسها^(٣) فحملت منه فولدت غلاماً فقيل لها عن هذا فقالت من جريج الراهب فأتوه فكسروا صومعته وأنزلوه منها وسبوه وضربوه فقال ما شأنكم قالوا أنك زنت بهذه فتوضأ وصلى ركعتين ودعا الله عز وجل أى سأل أن يبرئه ثم أتى الغلام فقال من أبوك يا غلام وفمه فى ثديها فترع الغلام فمه من الثدي وقال الراعى فلان

(١) أى من البغايا.

(٢) أى أن يواقعها.

(٣) أى فواقعها.

فوثبوا إلى جريج فجعلوا يقبلونه وقالوا نبني لك صومعتك من ذهب فقال لا إلا من طين كما كانت ففعلوا.

والغلام الثالث كانت امرأة من بنى إسرائيل ترضع ابنا لها فمر بها رجل راكب ذو شاة أى ذو هيئة وملبس حسن يتعجب منه ويشار إليه فقالت اللهم اجعل ابني مثله فترك ثديها واقبل على الراكب فقال اللهم لا تجعلنى مثله ثم أقبل على ثديها يمصه قال أبو هريرة كأتى انظر إلى النبي ﷺ يمص أصبعه ثم مر بأمة تضرب فقالت اللهم لا تجعل ابني مثل هذه فترك ثديها وقال اللهم اجعلنى مثلها فقالت له أمه لم ذاك فقال اما الراكب فجبار من الجبابرة وأما هذه الامة فهم يقولون لها سرقت وزنيت ولم تفعل بل تقول حسبى الله اهـ ما فى الصحيح .

قال فى الشرح والرابع ممن تكلم فى المهد شاهد يوسف المشار إليه فى قوله تعالى وشهد شاهد من أهلها وفسر بأنه كان ابن خال لها تكلم وهو فى المهد^(١) صيبا .

والخامس ممن تكلم وهو صبى ابن ماشة فرعون لما أراد فرعون القاء أمه فى النار لأنها كانت تعبد الله وحده فأمر فرعون بالقائها فى النار فتقاعت فأقبل ولدها عليها وترك الثدي وقال لها يا أماه اصبرى فأننا على الحق كما رواه الإمام أحمد وغيره من حديث ابن عباس .

(١) وقيل أنه كان ذا لحية لما سمع بقصة يوسف مع زليخة قال ما حكى الله عنه إن كان قميصه قد انخ لأنه لو كان صيبا يرضع لكان قوله حجة قطعية من دون تفصيل إن كان قميصه قد من قبل إنخ والله أعلم وتقدم فى حديث رواه الحاكم وصححه لم يتكلم فى المهد إلا أربعة وعد منهم شاهد يوسف اهـ مؤلف .

والسادس من الذين تكلموا فى المد وهو فى قصة الأخدود لما أتى بالمرأة ليلقى بها فى النار لكونها تعبد الله وحده فتقاعست عن دخول النار فترك ولدها نديها وقال لها يا أماه اصبرى فإنك على الحق رواه مسلم فى صحيحه من حديث صهيب .

والسابع زعم الضحاك فى تفسيره أن يجى بن ذكرىا عليهما السلام تكلم وهو فى المهد أخرجه الثعلبى .

والثامن زعم الراقدى فى سيرته أن نبينا ﷺ تكلم فى أوائل ما ولد وعن ابن عباس قال كانت حليلة تحدث أنها أول ما فطمت رسول الله ﷺ تكلم فقال الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا الحديث رواه البيهقى .

وعن معيقب اليمانى قبل حججت حجة الوداع فدخلت دار فيها رسول الله ﷺ فرأيت منه عجبا رجل من أهل اليمامة بغلام يوم ولد فقال له رسول الله ﷺ يا غلام من أنا قال أنت رسول الله قال صدقت بارك الله فبك ثم أن الغلام لم يتكلم بعد حتى شب فكنا نسميه مبارك اليمامة رواه البيهقى من حديث معرض اهـ من القسطلانى .

مطلب فى بيان حقيقة المعجزة:

فظهر مما قدمناه أن نطق المرتضع وهو صبى فى المهد كان معجزة لسيدنا عيسى وغيره من الأنبياء عليهم السلام وكرمة للراهب وحقيقة المعجزة أمر خلق للعادة مقرون بالتحدى لا يقدر أحد أن يأتى بمثله والكرامة تشارك المعجزة فى كونها أمر خارقا للعادة تظهر على يد عبد طالح ملتزم لتابعة نبي كلف بشر بعثه مصحوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح من غير طلبه

تشريفًا له فالنبي يقول أنا رسول الله وهذه معجزتي تشهد لى وأما التحدى وهو طلب المعارضة فليس بشرط فيها لكنه ذكر فى قوله تعالى وإن كنتم فى ريب صادقين ولم يذكر فى قلب العضاحية ولا فى اخراج الناقة من الصخر فدل ذلك على أنه ليس بشرط فيها.

واختلفوا هل دلالة المعجزة لظفية أم عقلية على قولين مشهورين وقوله أمر خارق للعادة يشمل كل أمر خارق للعادة كقطع المسافة البعيدة فى الزمن القليل وظهور الطعام والشراب واللباس عند الاحتياج والمشى على الماء وفى الهواء وكلام الجماد والعجماء فكل ذلك من الأمور الخارقة للعادة.

مطلب كرامات الأولياء حق:

والحاصل أن كرامات الأولياء حق ثابت بالأدلة الشرعية والمشاهدات الحسية نص عليها القرآن وشهد بها العيان فإنكارها بدعة وضلالة فى الدين وقد نس على ذلك الإمام أحمد طيب الله ثراه وقال أنها توجد فى أيام النبوة وفى أشراط الساعة وفيما بين ذلك فكرامات الصحابة والتابعين قد نقلت نقلا متواتر معنويا وإن كان تفاصيلها آحادا.

وفى القرآن الكريم ما حكاه الله عز وجل فى قصة مريم عليها السلام فى قوله تعالى كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله أى من الجنة ينزل عليها وكان يجد عندها فاكهة الشتاء فى الصيف وفاكهة الصيف فى الشتاء وكان ذلك كرامة لمريم والقول بأنه كان معجزة لزكريا يدفعه اشتباه الأمر عليه لقوله أنى لك هذا إلخ.

وفيه أيضا ما حكاه الله فى قصة سليمان مع بلقيس فى قوله تعالى قال

الذى عنده علم من الكتاب وهو آصف بن برخيا وزير سليمان عليه السلام وكان يعلم الاسم الأعظم فدعا الله به فاحضر عرشها فى لمحة من مسافة شهرين فهو من الأمور الخارقة للعادة.

مطلب فى قصة سارة مع الجبار:

وفى السنة المطهرة أن إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام لما هاجر ومعه زوجته سارة وحديثه رواه البخارى فى صحيحه عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لم يكذب إبراهيم عليه الصلاة والسلام إلا ثلاث كذبات ثنتين منهن فى ذات الله عز وجل قوله أنى سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وبينما هو ذات يوم وسارة إذ أتى على جبار من الجبارة فقيل له أن يفهما رجلا معه امرأة هى من أحسن الناس فأرسل إليه فسأل عنها فقال من هذه قال هى أختى فأتى سارة فقال لها يا سارة ليس على وجه الأرض مؤمن غيرى وغيرك وأن هذا سألنى عنك فأخبرته أنك أختى^(١) فلا تكذبنى فأرسل إليها فلما دخلت عليه ذهب يتناولها بيده فأخذ أى اختنق حتى ركض برجله فقال الجبار ادعى الله لى ولا أضرك فدعت الله عز وجل فأطلق ثم تناولها الثانية فأخذ واشد فقال ادعى الله لى ولما أضرك فدعت الله له فأطلق فدعا بعض حجبه فقال إنكم تاتونى بإنسان إنما أتيتمونى بشيطان أرجعوها إلى إبراهيم وأخدمها هاجر فأنت شارة إبراهيم وهو قائم يصلى فأوما بيده مهياً أو مهيم^(٢) قالت رد الله كيد الكافر أو الفاجر فى نحوه وأخدم هاجر قال أبو هريرة تلك أمكم يا بنى ماء السماء^(٣).

(١) أى ولو علم أنه زوجها لقتله فأراد أن يدفع أحد الضررين بأخفهما اهـ مؤلف.

(٢) أى ما شأنك اهـ.

(٣) يعنى العرب اهـ.

وهذا الحديث رواه البخارى فى مواضع متعددة وكذا مسلم فى صحيحه، وفيه من الفوائد أن الله تعالى يتلى الصالحين برفع درجاتهم يقال إن الله اكشف لإبراهيم عليه السلام حتى رأى الملك مع سارة معانية خشية أن يخطر بباله شيء زيادة فى تكرمته عليه السلام.

وفى رواية للبخارى تقدمت فى البيوع ولفظه هكذا فأرسل إبراهيم بها إليه أى إلى الجبار فقام إليها فقامت تتوضأ وتصلى وقالت اللهم إن كانت آمنت بك وبرسولك وأحصنت فرجى إلا على وزجى فلا تسلط على هذا الكافر فقط حتى ركض برجله أى ضرب بها الأرض كأنه مصروع وهذه كرامة أكرم الله بها سارة كما لا يخفى.

ومن ينكر كرامات الأولياء^(١) يقول إنها معجزة لإبراهيم كما تقدم فى قصة مريم وزكريا عليهما السلام وقوله لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذابات قد وقع فى الصحيح وغيره وهو مؤول لأنه ليس من الكذب الحقيقى الذى يذم فاعله حاشا وكلا وإنما أطلق عليه لمقصد تجوزا لأن صورته الكذب وهو من باب المعارض المحتملة لأمرين لمقصد شرعى دينى.

مطلب فى قوله ﷺ أن فى المعارض لمدوحة عن الكذب:

وفى الحديث أن فى المعارض لمدوحة عن الكذب أى سعة.

وعند ابن أبى حاتم عن سعيد رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ فى كلمات إبراهيم الثلاث التى قالها ما منها كلمة ما حل بها عن دين الله أى جادل.

(١) كالمعتزلة اهـ.

وفى حديث ابن مسعود عند الإمام أحمد قول النبي ﷺ أن جادل بهن إلا عن دين الله.

وفى القسطلانى فى الكلام على هذا الحديث ما هذا لفظه وأما قول الدين لا ينبغي لأحد أن ينقل هذا الحديث لأن فيه نسبة الكذب لإبراهيم عليه السلام وقول بعضهم له فكيف يكذب الراوى العدل وجواب الإمام بأنه لما وقع التعارض بين نسبة الكذب إلى الراوى ونسبة الكذب إلى الخليل كان من المعلوم بالضرورة أن نسبه إلى الراوى فليس بشيء ليس هذا القول بشيء يعتد به لأن الحديث صحيح والجواب عنه بين كما تقدم أنه من المعارضين فقوله أنى سقيم أى مريض القلب من عبادتكم غير الله عز وجل وقوله بل فعله كبيرهم هذا هو مرتبط بقوله أن كانوا ينطقون وقوله عن سارة هى أختى أى فى الدين فلا كذب والله أعلم بأسرار كتابه وبمراد رسوله ﷺ.

مطلب فى فضل التسبيح والتكبير إذا قفل الحاج:

(فصل) ومن الحوادث العلمية التى مرت بنا ونحن قافلون من مكة المشرفة بعد أداء المناسك وكنا سائين على ظهور الركائب فلم تشعر إلا وجماعة من أهل المغرب الأقصى يرفعون أصواتهم بالتهليل والتكبير (فبحث معنا صاحبنا) الفاضل هل لذلك من أصل فيعتمد عليه أو اثر صحيح فيعول عليه فقلت له أنه قد صح عن أبى موسى الأشعري رضى الله عنه قال كنا رسول الله ﷺ فكننا إذا أشرفنا على واد هللنا قد ارتفعت أصواتنا فقال لنا النبى ﷺ يا أيها الناس أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا أنه تعالى معكم أنه سميع قريب يجب أهد من البخارى ففيه أنه أقرهم على التهليل والتكبير وأمرهم أن يرفقوا بأنفسهم وأن يكفوا عن الشدة.

وفى البخارى أيضا باب التسييح إذا هبط المسافر واديا روى فى صحيحه عن حاي بن عبد الله قال كنا إذا قفلنا من الغزو أو الحج كبرنا عند الصعود استشار لكبرياء الله وعظمته وإذا نزلنا إلى واد سبحنا أى استتباطا من قصة يونس وتسييحه فى بطن الحوت.

قال بعضهم لما كان التكبير لله عند رؤية عظيم من مخلوقاته وجب أن يكون فى منخفض من الأرض تسييح لله تعالى لأن تسييحه تنزيهه عن صفات الانخفاض والضعفة.

وفى البخارى أيضا باب التكيير إذا علا شرفا ثم روى بإسناده عن جابر أيضا قال كنا إذا صعدنا كبرنا وإذا تصوبنا تسبحنا.

وروى البخارى أيضا عن عبد الله بن عمر قال كان النبى ﷺ إذا قفل من الحج أو العمرة أو الغزوة يقول كلما أوفى على ثنيته^(١) أو فدغد^(٢) الله أكبر ثلاثا ثم يقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون لا غله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده اهـ من البخارى لا شىء قبله ولا شىء بعده لا إله إلا الله ولا نعبد ولا نقصد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون وهذا الذكر الذى كنا نسمعه من فضلاء المغرب وهم قافلون من الحج وأكثره فى صحيح البخارى وكانوا يقولونه بأصوات عالية من غير أن يشددوا على أنفسهم والنبى ﷺ أمر أصحابه بالذكر ونهاهم عن التشديد على أنفسهم كما مر بيانه والله أعلم.

(١) هى العقبة أو الجبل اهـ.

(٢) فدغد أى مكان مرتفع من الأرض قاموس.

قصة جماعة من المأزمين للروضة الشريفة:

(فصل) ومن الحوادث العلمية أيضا ما شاهدناه من فضلاء المجاورين بالحرم النبوى بالروضة لشريفة والبقعة الطاهرة المنيفة وذلك أن جماعة من الخيار المتسكين يلازمون الروضة الشريفة للعبادة والطاعة يرغبون فى ذلك على الدوام ولاسيما بعد صلاة الصبح لما علم فضيلة ذلك الوقت .

فبحث معنا صاحبنا الفاضل قائلا أن هؤلاء منهم التالى للقرآن الكريم ومنهم الخائع فى الأدعية للرب العظيم ومنهم الذاك لله يرغب عند الله من النعيم المقيم ومنهم المشتغل بالفقه فى أمور الدين فأيهم أفضل وأكثر ثوابا (فقلت له) أن هؤلاء كلهم على خير إن شاء الله وافضلهم أكثرهم غبة فيما عند الله عز وجل وأخلصهم عملا لله وقد علم من النصوص الشرعية والآثار المرضية أن أزكى الأعمال عند الله هو ما اخلصت له النية وصدقت فيه السريرة وطابت فيه الطوية فقال أريد السؤال عن الاشتغال بتلاوة القرآن والاشتغال بذكر الله الملك الديان أيهما أفضل وأكثر ثواب .

فقلت أن الفقهاء ذكروا هذه المسألة وقالوا أن الاشتغال بتلاوة القرآن الكريم أفضل إلا أن يكون الذكر ماثورا معينا كالتسبيح والتحميد والتكبير ثلاثا وثلاثين بعد الفرائض فان الاشتغال به أفضل من الاشتغال بتلاوة القرآن الكريم وكالاشتغال بالصلاة على النبى ﷺ يوم الجمعة فقد نص الفقهاء بأنه أفضل من تلاوة القرآن يوم الجمعة إلا سورة الكهف لما ورد فيها من الأمر بخصوصها فبحث معنا صاحبنا أيضا فى أن الأذكار التى قال فيها النبى ﷺ من قال يوم مائة مرة أعطى من الأجر كذا وكذا هل يلحق ذلك بالمأثور المعين أم لا .

فقلت هذا محل توقف يحتاج إلى البحث عنه فمن ذلك قوله ﷺ من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياها وإن كانت مثل زبد البحر رواه الشيخان وغيرهما عن أبي هريرة.

وقوله ﷺ من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة كتبت له مائة حسنة ومحبت عنه مائة سيئة وكانت له عدل عشر رقاب وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه أو كما قال النبي ﷺ.

مطلب في قوله ﷺ لأبي هريرة من لقيت من رواء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله بشره بالجنة

(فصل) ومن الحوادث العلمية ما بحثه معنا صاحبنا الفاضل في حديث أبي هريرة المتقدم معنا حين قراءتنا له بالحرم النبوي وملخص ذلك أن حديث أبي هريرة في صحيح مسلم وقد اشتمل على أمرين متنافسين ظاهر أمره أولا أن يشير بالجنة من أبقى من وراء الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه ثم أمره بالإمساك عن ذلك حين أشار بذلك عمر وقال يا رسول الله أخشى أن يتكل الناس عليها ويدعوا العمل فخلهم يعملون فقال له النبي ﷺ فخلهم أه (وكان لهم البحث) ما الجواب عن ذلك وهل ورد في السنة نظير ذلك فان بعض الأدباء أنكروا ذلك مستبعدا لحصول هذا الأمر من عمر وكاد يقع منه ما لا يليق (فقلت) جوابا عن ذلك أن في شرح مسلم ما هذا لفظه وأما مره ﷺ بالتبشير ثم بالإمساك عنه فهو من تغير الاجتهاد وأما وقوع نظيره فقد ورد في الصحيح حديث معاذ ولفظه قال معاذ كنت رديف رسول الله

ﷺ على حمار ينال له غفير فقال يا معاذ فقلت لبيك يا رسول الله وسعديك قال هل تدري ما حق الله على عباده قلت الله ورسوله أعلم قال فان حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ثم سار ساعة ثم قال يا معاذ قلت ليك يا رسول الله وسعديك قال هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك قلت الله ورسوله أعلم قال أن لا يعذبهم بالنار. وفي لفظ في البخارى فقلت يا رسول الله أفلا أبشر به الناس قال لا تبشرهم فيتكلموا اهـ.

وفي لفظ في صحيح مسلم عن معاذ قال النبي ﷺ ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله إلا حرمه الله على النار قال معاذ فقلت يا رسول الله أفلا أخبر بها الناس فيستبشروا قال إذا يتكلموا فأخبر بها معاذ موته تأثماً أى خوفاً من الوقوع فى الاثم أى ثم كتم العلم وكأن معاذ علم أن النبي ﷺ لم ينه عن التبشير نهى تحريم.

وقال ابن الصلاح منعه من التبشير العام خوفاً من أن يمع ذلك من لا خبرة له ولا علم عنده فيغتر ويتكل وأخبر بذلك النبي ﷺ معاذاً لأنه يأمن عليه الاغترار والاتكال وهذا ظاهر يزيل الاشكال من أصله.

أقول ويشبه ذلك ما فى صحيح البخارى ولفظه عن عطاء بن يسار عن أبى هريرة أنه قال رسول الله ﷺ من آمن بالله ورسوله واقام الصلاة وصام رمضان كان حقاً على الله أن يدخله الجنة جاهداً فى سبيل الله أو جلس فى أرضه التى ولد فيها فقالوا يا رسول الله أفلا تبشر الناس بذلك قال إن فى الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين فى سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض فإذا سألت الله فاسأله الفروس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة، وفوقه عرض الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة اهـ.

وذكر القسطلاني كلام الحافظ في فتح الباري وهو أنه ورد في الحديث زيادة دلت على أن قوله أن الجنة مائة درجة تعليل بتلك البشارة المذكورة فعند الترمذي من رواية معاذ قلت يا رسول الله ألا أخبر الناس قال ذر الناس يعملوا فإن في الجنة مائة درجة أعدها الله لمن جاهد في سبيله إلخ.

وظهر أن المراد لا تبشر الناس بما ذكرته لك من دخول الجنة لمن آمن وعمل الأعمال المعروضة عليه فيقفوا عند ذلك ولا يتجاوزوه إلى ما هو أفضل منه من الدرجات التي تحصل بالجهاد وهذه هي النكتة في قوله أعدها الله للمجاهدين أهـ وهذا الذي فهمه صاحب الفتح يؤيده حديث معاذ المتقدم لا تبشر الناس فيتكلموا وهو فهم جيد لا ينبغي العدول عنه إلى غيره والله أعلم.

ولم تم تحريرنا لهذه المسألة بحث معنا صاحبنا بأن التبشير العام قد وقع من النبي ﷺ في غير ما حديث قلنا أشار إلى الجواب عن ذلك الإمام ابن الصلاح في قوله المتقدم فارجع إليه فإنه مهم والله أعلم.

مطلب في ذكر شيء من فضائل المدينة:

الخاتمة في ذكر شيء من أخبار المدينة المنورة وفي ذكر فضائلها وما ورد في ذلك من الآثار وصحيح الأخبار وقد اسلفنا شيئاً من ذلك في أول رسالتنا هذه تيمناً وتبركاً وترويحاً للقلب المولع بحبها وحب ساكنيها.

فمن علامة حب النبي ﷺ حب المدينة وحب مشاهدة آثاره التي بها من الروضة الشريفة والمنبر الشريف والحجرة الطيبة والقبر المكرم والمنيف فحب مشاهدة تلك الآثار وانتشاق روائح هاتيك الديار رهي علامة الصدق من المخلصين الأخيار ولله در من قال في ذلك وسلك نوعاً من هذه المسالك

جدير لمواطن عمرت بالوحى والتنزيل وتردد فيها جبرائيل وميكائيل أن تعظم
عرصاتها وتستنشق نفختها وتقبل بوعتها وجدارتها ولله در من قال أيضا:

يا دار خير المرسلين ومن به هدى الأنام وخص بالآيات
عندى لأجلك لوعة وصباية وتشوق متوقد الجمرات إلخ

وفى الحديث الشريف أن النبي ﷺ قال عن المدينة من أحدث فيها حدثا
أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا
ولا عدلا.

وقال ﷺ أن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى حجرها حديث
صحيح ومعنى يأرز ينضم ويجتمع كما تنضم الحية إلى حجرها وهو بيتها
الذى تصلحه فى الأرض تاوى إليه وتلتجئ إليه إذا انتشرت فى طلب المعاش.

وقال العلقمى فكل مؤمن له من نفسه سائق يسوقه إلى المدينة لمحبة
النبي ﷺ فيشمل ذلك جميع الأزمنة فى زمن النبي ﷺ يأتون المدينة للتعلم
منه وللتبرك برويته وفى زمن الصحابة والتابعين وتابعيهم باحسان للاقتداء
بهديهم ومن بعد ذلك لزيارة قبره المكرم وللصلاة فى مسجده وللتربك
بمشاهدة آثاره وآثار أصحابه.

وقال القرطبى فيه تنبيه على صحة مذهب أهل المدينة ولاسمتهم من
البدع وإن عملهم حجة كما رواه مالك وهذا أن سلم فيختص بعصر النبي
ﷺ والخلفاء الراشدين وأما بعد ظهور الفتن وانتشار الصحابة فى البلاد فهو
بالمشاهدة بخلاف ذلك والله أعلم.

وقال النبي ﷺ تفتح اليمن فيأتى قوم يسون فيتحملون بأهليهم ومن
أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون.

قال البيضاوى المعنى أن المسلمين يفتحون بلاد اليمن فيعجب قوما بلادها وعيش أهلها فيجعلهم ذلك إلى المهاجرة إليها بأنفسهم وأهلهم حتى يخرجوا من المدينة والحال أن الإقامة فى المدينة خير لهم لأنها حرم رسول الله وجواه ومهبط الوحى ومنزل البركات والخيرات اهـ.

ثم قال ﷺ وتفتح الشام فيأتى قوم ييسون فيتحملون بأهلهم ومن أطاعهم والمدينة خبر لهم لو كانوا يعلمون وتفتح العراق فيأتى قوم ييسون فيتحملون بأهلهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون اهـ وهو حديث صحيح وفيه علم من أعلامه النبوة فقد وقع الأمر على وفق ما أخبر به النبى ﷺ وعلى ترتيبه ووقع أيضا تفرق الناس فى البلاد لما فيها من السعة والرخاء ولين العيش ولو صبروا على الإقامة بالمدينة لكان خيرا لهم وهذا مخصوص يمن خرج من المدينة يطلب الرخاء ولين العيش وأما من خرج للجهاد فى سبيل الله ولنشر العلم فليس بمذموم وفى هذا الحديث أيضا فضل المدينة على البلاد المذكورة وهو أمر مجمع عليه أيضا والله أعلم.

بيان قوله ﷺ من أطاعنى فقد أطاع الله وفضل العلم بالسنة:

(فصل) ومن علامة حب النبى ﷺ أيضا اتباعه فى سنته وطاعته ومحبته ومناصحته وقد قال النبى ﷺ أمرت أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا أنى وبما جئت به فإذا فعلوا ذلك غصموا منى دمائهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله عز وجل أهـ من الشفا وأصله فى الصحيحين وهو متواتر.

وقال النبى ﷺ من أطاعنى فقد أطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله ومن أطاع أميرى فقد أطاعنى اهـ من الشفا وطاعة الأمير مقيدة بما إذا أمر

بطاعة الله لما صح عن النبي ﷺ من قوله لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق (فتنبه) لذلك فإنه مهم نعم يحرم الخارج على من جار وظلم بل يجب الصبر والدعاء لهم بالصلاح لقوله ﷺ للأَنْصار أنكم ستلقون بعدى آترة قالوا فما تأمرنا يا رسول الله قال أصبروا حتى تلقوني على الحوض فيأني فرطكم أو كما قال. وقد اشتبه الأمر في هذه المسألة على كثير من الناس والتحقيق ما قدمته لك وهو أن طاعة من ولاء الله أمر المسلمين حق واجب ويحرم الخروج عليه إذا ظلم وجار بل يدعى له بالصلاح ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وهذا أمر آخر فتنبه والله أعلم.

قال النبي ﷺ كل أمتي يدخلون الجنة الأمن أبي قالوا ومن يأبى رسول الله قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وقال النبي ﷺ مثلى كمثل من بنى داراً وجعل فيها مآدبة وبعث داعياً فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المآدبة ومن لم يجيب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المآدبة فالدار الجنة والداعي محمد ﷺ فمن أطاع محمد ﷺ فقد أطاع الله ومحمد ﷺ فرق بين الناس أي من المؤمنين والكافرين بتصديقه وتكذيبه والله أعلم.

وقال ﷺ لآلئين (١) أحذكم متكئاً على أريكته (٢) يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول لا أدري ما وجدنا في كتاب الله تبعناه وإنما أمرت بما أمر الله به قال تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله.

(١) أي لا اجدن والمعنى لا يكن أحدكم على هذه الحالة حتى أجده عليها هـ.

(٢) سريره.

وقال النبي ﷺ إن أحسن الحديث كتاب لله تعالى وخير الهدى هدى محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

وقال النبي ﷺ عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة.

وقال النبي ﷺ المتمسك بستي عند فساد أمتي له أجر مائة شهيد رواه الطبرني في الأوسط عن أبي هريرة رضى الله عنه.

حكاية عن الإمام أحمد:

ويحكى عن الإمام رحمه الله تعالى أنه قال كنت يوماً مع جماعة تجردوا عن ثيابهم ودخلوا الماء أى بلا سترة فاستعملت الحديث وهو قوله ﷺ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام^(١) إلا بمئزر وتجرد من ثيابه فرأيت فى المنام تلك الليلة قائلاً يقول لى يا أحمد أبشر فإن الله قد غفر لك باستعمالك السنة وجعلك إمام يقتدى بك قال قلت من أنت قال أنا جبريل عليه السلام.

مطلب فى مدح خفض الصوت بالمسجد النبوى:

(فصل) ومن محبة النبى ﷺ خفض الصوت فى مسجد ﷺ وغض النظر له فى حياته إجلالاً له وتوقيراً وكانت هذه عادة أصحابه (فروى) أسامة ابن شريك قال أتيت النبى ﷺ وأصحابه حوله (فروى) أسامة بن شريك قال أتيت النبى ﷺ وأصحابه حوله كأنما على رؤسهم الطير وقال عروة بن مسعود رضى الله عنه حين وجهته قريش إلى النبى ﷺ عام القضية فى طلب الصلح ورأى ما رأى من تعظيم أصحاب النبى ﷺ قال أنه أى النبى ﷺ لا يتوضأ

(١) لعله فلا يدخل الماء أهـ.

إلا ابتدروا وضوؤه يتمسحون به وكان يقتلون عليه ولا يبصق بصاقا ولا يتنخم نخوة نخامة إلا تلقوها باكفهم يدلكون بها وجوههم وأجسادهم ولا تسقط منه شعرة إلا ابتدروها وإذا أمرهم بأمر ابتدروا أمره وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يجدون إليه النظر تعظيما له فلما رجع أى عروة بن مسعود إلى قريش قال يا معشر قريش إنى جئت كسرى فى ملكه وقيصر فى ملكه والنجاشى فى ملكة فما رأيت واللّه ملكا يعظمه قومه مثل محمد فى أصحابه وقد رأيت قوما لا يسلّمونه أبداً.

وفى الشفا واعلم أن حرمة النبى ﷺ بعد موته وتوقيره وتعظيمه لازم على كل مسلم كما كان حال حياته ثم ذكر بسنده إلى يعقوب بن إسحق تقلال تحدثنا ابن عبد قال ناظر أبو جعفر وهو المنصور أمير المؤمنين مالكا الإمام فى مسجد رسول الله ﷺ ورفع صوته فقال له مالك يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك فى مسجد الله ﷺ فإن الله تعالى أدب قوما فقال يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أعمالكم وأنتم لا تشعرون.

ومدح قوما فقال تعالى إن الذين يفضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر كريم.

وذم قوما فقال إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون وإن حرمة النبى ميتا كحرمة فاستكان لها أبو جعفر إلخ واللّه أعلم.

مطلب فى حب أهل البيت:

(فضل) ومن محبته ﷺ حب أهل بيته وأصحابه وتوقيهرهم وتعظيمهم لسابقتهم فى الإسلام ولما لهم من المحاسن والمزايا الفخام قال النبى ﷺ أنى

تارك فيكم خليقتين كتاب الله حل ممدود ما بين السماء والأرض وعترتى أهل بيتى وإنما أن يتفرقا حتى يردا على الحوض رواه الإمام أحمد والطبرانى عن زيد بن ثابت رضى الله عنه .

والمراد بأهل بيته العلماء منهم لا يزالون آمرين بما فى الكتاب إلى قيام الساعة وقال تعالى قلا لا أسئلكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى أى إلا أن تودوا قرابتى أو لا أن تودنوني لقرابتى منكم وقبل الاستثناء منقطع والمعنى لا أسئلكم عليه أجراً فقط ولكن أسئلكم المودة فى القربى .

وروى ابن أبى حاتم والطبرانى وابن مردويه عن ابن عباس رضى الله عنهما أنها لما نزلت قالوا يا رسول الله من قرابتك هؤلاء قال على وفاطمة وابناهما قال الولى العراقى وهذا إسناده مختلف فيه والآية مكية ولم يكن لفاطمة حينئذ أولاً والخطاب فيما قبل هذه الآية وفيما بعدها يدل على أن المراد بأهل البيت أزواج النبى ﷺ لأنهن سبب نزول هذه الآية لكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

فقد وردت آثار كثيرة تعين المراد بأهل البيت فعن زيد بن أرقم أنه قال فىنا رسول الله ﷺ خطيباً بما يدعى غدیر خم فحمد الله واثنى عليه ووعظ وذكر .

ثم قال أما بعد أيها الناس إنما أنا بشعر مثلكم يوشك أن يأتينى رسول ربى فأجبت وإنى تارك فيكم أثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور المبين من استمسك به كان على الهدى ومن أخطأه ضل فتمسكوا بكتاب الله عز وجل وخذوا به وحث عليه وورغب فيه وثانيهما أهل بيتى أذكركم الله فى أهل بيتى أذكركم الله فى أهل بيتى أذكركم الله فى أهل بيتى رواه مسلم فى

صحيحه اهـ وهم العلماء العاملون منهم وهم المقتدى بهم فى المسائل العلمية والأفعال المرضية (وأما جهنم) وتعظيمهم وتكريمهم فيمر الجميع منهم إلا أنه ينكر عليهم فعل القبيح ولاسيما إذا تجاهاوا به والله أعلم.

وفى لفظ آخر رواه الإمام أحمد عن أبى سعيد أن النبى ﷺ قال إني أوشك إن أدعى فأجيب وأنى تارك فيكم ثقلين كتاب الله حبل ممدون ما بين السماء والأرض وعترتى أهل بيتى وأن اللطيف الخبير أخبرنى انهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض فانظروا بماذا تخلفونى فيهما اهـ.

وأخرج الإمام أحمد عن وائلة بن الأسقع أن رسول الله ﷺ جاءوا معه على وحسن وحسين أخذ كل واحد منهما بيده حتى دخل فادنى علياً وفاطمة وأجلسهما بي زيد وأجلس حسنا وحسينا كل واحد منهما على فخذه ثم لف عليهم كساء ثم تلا هذه الآية إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً وقال اللهم هؤلاء أهل بيتى فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

مطلب فى حب الحسن والحسين:

والآثار فى هذا المعنى كثيرة وقد قال ﷺ لحسن وحسين هذان أبناى اللهم إني أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما^(١) خرجه الترمذى فى سننه. وكان النبى ﷺ يشمهما ويضمهما إليه ويقول من أحبني وأحب هذين وأباهما وأمهما معى فى الجنة.

وفى صحيح البخارى عن ابن عمر وسأله رجل من أهل العراق عن

(١) أى حباً لا إفراط فيه اهـ.

المحرم يقتل الذباب وقد قتلوا ابن بنت رسول الله ﷺ وقال ﷺ هما ريحانتاي من الدنيا إلى آخره.

واعلم أن حب أهل بيت رسوله الله ﷺ فرض على كل مسلم والثواب عليه عظيم وردت به الأخبار وتظاهرت عليه الآثار لكنه مخصوص بمن أحبهم حباً معتدلاً لا إفراط فيه.

بيان قوله ﷺ لعلي إن فيك مثلاً من ابن مريم:

وأما من تغالى في حبهم وابتغى أصحاب رسول الله ﷺ لأجلهم فلا حظ له في هذه المثوبة الفخيمة بل هو بمنزلة من أحب المسيح عليه السلام وافطرط في حبه حتى وصفه بالالوهية وقد صح عن علي رضي الله عنه أنه قال دعاني رسول الله ﷺ فقال لي يا علي أن فيك مثلاً من ابن مريم بغضته اليهود حتى بهتموه وأمه وأحبهه النصارى حتى أنزلوه بالمنزل الذي ليس به (ثم) قال علي رضي الله عنه إلا وأنه يهلك فينا أهل البيت رجلان محب مفرط يفطرنا بما ليس فينا وشانئ مبعوض يحمله شأننا على أن ييهتنا والله أعلم.

مطلب في حب الصحابة:

(فصل) وأما الصحابة الكرام فقد اثنى الله عليهم في كتابه ومدحهم في معرض خطابه فقال تعالى محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يتغنون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود والآيات في هذا المعنى كثيرة وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين وقال ﷺ الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً من بعدى فمن أحبهم أحبهم فحبي أحبهم ومن أبغضهم

فبغضنى أبغضهم ومن آذاهم فقد آذانى ومن آذانى فقد أذى الله عز وجل ومن آذى الله يوثك أن يأخذه.

وفى لفظ آخر قال النبي ﷺ لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه أخرجهم أصحاب السنن هذا فى عامة أصحابه.

ذكر فضائل أبى بكر وعمر رضى الله عنهما؛

وأما ما ورد فى خصوصهم فكثير كقوله ﷺ أن من أمن الناس على فى صحبتته وماله أباً بكر ولو كنت متخذاً خليلاً من أمتى لاتخذت أباً بكر خليلاً وماله أباً بكر ولو كنت متخذاً خليلاً من أمتى لاتخذت أباً بكر خليلاً أو كما قال.

ولما صعد النبي ﷺ الجبل ورجف بهم ضربه وقال أثبت أحد فإنما عليك نبى وصديق وشهيدان وكان معه أبو بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم وأمثال هذا كثير فرضى الله عن أصحاب رسوله وأجزل لهم المثوبة وأعلى رتبهم فى الدنيا والآخرة آمين.

وصح أن النبي ﷺ قال أن يطلع الناس أباً بكر وعمر يرشدوا وصح أيضاً قوله ﷺ أنى لا أدرى ما مدة بقائى فيكم فاقتدوا باللذين من بعدى أبى بكر وهو والله أعلم.

مطلب فى ثواب الصلاة عليه ﷺ؛

(فصل) فى فضل الصلاة على النبي ﷺ وفى ذكر ما ورد فيها من الآثار وصحيح الأخبار.

وقد تقدم في رسالتنا هذه ذكر شيء من الأخبار المرورية في فضلها ولندكر الآن طرقاً من ذلك تبركاً وتمناً فنقول قال النبي ﷺ من صلى على واحدة صلى الله عليه عشر صلوات وحط عنه عشر خطيئات ورفع له عشر درجات رواه الإمام أحمد في مسنده والبخارى في الأدب والنسائي في السنن والحاكم وغيرهم وقال ﷺ على صلاة واحدة عليه بها عسراً رواه مالا أحد في مدده ومسلم في صحيحه وقال النبي ﷺ من صلى على حين يصبح عشراً وحين يمسي عشراً أدركته شفاعتي يوم القيامة رواه الطبراني عن أبي الدرداء وقال النبي ﷺ من صلى على عند قبري سمعته ومن صلى على نائياً رواه البيهقي عن أبي هريرة قال المغاوي في شرحه على قوله أبلغته أى أخبرت به على لسان بعض الملائكة لأن لروحه الشريفة تعلقاً بجده الشريف فهو حى فى قبره كسائر الانداء عليهم الصلاة والسلام وقد قال النبي ﷺ وحرام على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وتقدم ذلك وقال النبي ﷺ أكثروا الصلاة على فى الليلة الغراء واليوم الأزهر أى ليلة الجمعة وبمها صلاتكم تعرض على رواه البيهقي والطبراني عن أبى هريرة وعن أنس بإسناد حسن .

وقال النبي ﷺ أكثروا من الصلاة على يوم الجمعة فإنه يوم مشهود تشهدة الملائكة وإن أحداً لن يصلى على إلا عرضت على صلواته حين يفرغ منها .

قال أبو الدرداء قلت يا رسول الله وبعد الموت قال وبعد الموت أن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء فبنى الله حى فى قبره رواه ابن ماجه عن أبى الدرداء ورجال ثقات .

وقال النبي ﷺ أكثروا من الصلاة على في كل يوم جمعة فان صلاة أمتي تعرض على في كل يوم جمعة فمن كان أكثرهم على صلاة كان أقربهم مني منزلة رواه البيهقي عن أبي أمامة .

وقال النبي ﷺ أكثروا من الصلاة على في يوم الجمعة وليلة الجمعة فمن فعل ذلك كنت له شهيداً وشفيحاً يوم القيامة رواه البيهقي عن أنس .

وقال النبي ﷺ أكثروا من الصلاة على فإن صلاتكم على مغفرة لذنوب ولطلبوا إلى الوسيلة فان وسيلتي عند ربي شفاعتي بكم رواه ابن عساكر عن الحسن بن علي رضي الله عنهما اهـ .

ولما تم تحريرنا لجملة ما قدمناه من المسائل العلمية والأبحاث الأدبية بحث معنا صاحبها الفاضل بأنه تقدم مكنكم مراراً شيء من الذي سبق بالحرم النبوي من قراءة حصة في الفقه الحنبلي أو قراءة شيء من علم السنة أو من علم التفسير فجعل الفكر يجول في ذلك هل هو مما يخشى منه احباط الأجر والثواب أم هو شيء نظيره عن الصحابة الكرام والأئمة الأعلام وقال نريد بيان ذلك وبسط هذه المسألة المهمة لتتجو من المهالك .

مطلب في حكم من حدث بعمله الصالح لغرض ديني؛

فقلت أنه يخطر ببالي أن هذه المسألة سبق لها أثر صحيح عن النبي ﷺ وهو صريح الدلالة على جواز ذلك لمن له نية صادقة في ابتداء العمل وإنما حدث بعمله الصالح لغرض صحيح كالتحدث بنعمة الله عز وجل أو ليقنتدى به في ذلك العمل أو لينبه على فضل ذلك العمل ولم يرد الفخر بذلك ليمدح من الناس والأثر الذي تقدم هو ما صح عن النبي ﷺ أنه صلى يوماً الصبح ثم أقبل على أصحابه بوجهه الكريم فقال من أطعم منكم اليوم مسكيناً فقال

أبو بكر أنا يا رسول الله فقال من دعا اليوم منكم مريضاً فقال أبو بكر أنا يا رسول الله فقال من شبع اليوم منكم جنازة فقال أبو بكر أنا يا رسول الله فقال ﷺ ما اجتمعت هذه لخصال في مسلم إلا دخل الدجنة اهـ وفي صحيح البخارى عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال لابي بردة أبى موسى الأشعرى هل تدرى ما قال أبى لأبيك قال لا قال فان أبى لأبيك يا أبا موسى هل يسرك إسلامنا مع رسول الله ﷺ وهجرتنا معه وجهادنا معه وعملنا كله معه برد لنا وأن كل عمل عملناه بعده نجونا منه كفافاً رأساً برأس فقال أبى لا والله قد جاهدنا بعد رسول الله ﷺ وصلينا وصمنا وعملنا خيراً كثيراً وأنا لنرجوا ذلك وأسلم على أيدينا بشر كثير وأنا لنرجوا لك فقال أبى لكنى أنا والذي نفس عمر بيده لو ددت أن ذلك يرد لنا^(١) وأن كل شىء عملناه بعده نجونا منه كفافاً رأساً برأس فقلت والله إن أباك^(٢) خيره من أبى اهـ.

وهذه القصة تحتاج إلى مراجعة الشرح ليتم لنا فهم معناها كمت ينبغي والله أعلم وفي صحيح البخارى أيضاً عن أنس أن عبد الله بن سلام جاء النبى ﷺ مقدمه المدينة فقال أشهد أنظ رسول الله وأنك جئت بالحق وقد علمت يهودى أى سيدهم وإن سيدهم وأعلمهم وابن أعلمهم فادعهم وما سألهم عنى قبل أن يعلموا أنى قد سلكت فانهم أن يعلموا أنى قد سلمت قالوا فى ما ليس فى فأرسل نبى الله إليهم فأقبلوا حتى دخلوا عليه فقال لهم رسول الله ﷺ يا معشر اليهود ويلكم اتقوا الله واسلموا فو الله الذى لا إله

(١) أى ثبت اهـ.

(٢) قوله أن إياك أى وهو عمر خير من أبى أى أبى موسى وذلك لأن سيدنا عمر لم ير نفسه عملاً بعد رسول الله كأنه يخاف من التقصير فى الإخلاص وأبو موسى غلب الرجاء ثقة بكرم الله فقال ما قال اهـ مؤلف.

إلا الله إلا هو أنكم لتعلمون أنى رسول الله حقاً وإنى جئتمكم بحق قالوا ما نعلم ذلك قال فأى رجل فيكم عبد الله بن سلام قالوا ذلك سيدنا وابن سيدنا وأعلمنا قال أفرأيتم أن أسلم عبد الله قالوا حاشا لله ما كان ليسلك قال يان ابن سلام اخرج عليهم فخرج فقال يا معشر اليهود اتقوا الله واسلموا فو الله الذى لا إله إلا هو أنكم لتعلمون أن محمداً رسول الله وأنه جاء بحق فقالوا ما نعلم ذلك فأخرجهم رسول الله ﷺ اه وفي صحيح البخارى أيضاً عن أبى وائل عن خباب رضى الله عنه قال هاجرنا مع رسول الله ﷺ نبتغى بذلك وجه الله ووجب أجرنا على الله عز وجل فمننا من مضى ولم يأكل من أجره شيئاً منهم مصعب بن عمير قتل شهيداً يوم أحد فلم نجد شيئاً نكفنه فيه إلا نمره كنا إذا غطينا بها رأسه خرجت رجلاه وإذا اغطينا رجله خرج رأسه أمرنا رسول الله أن نغطى رأسه بها ونجعل على رجله شيئاً من أذخر ومنا من أينعت له ثمرته فهو بهديها اهـ.

وفي صحيح البخارى أيضاً عن عروة بن الزبير أنه قال قال لى عبد الله بن عدى بن خيار دخلت على أمير المؤمنين عثمان بن عفان فى تلك القضايا التى أنكروها عليه فلما جلست عنده تشهد ثم قال أما بعد فان الله بعث محمداً ﷺ بالحق وأنزل عليه الكتاب فكنت ممن استجاب لله ولرسوله وآمن بما بعص به محمد ﷺ ثم هاجرت الهجرتين وصليت إلى القبلتين ونلت مصاهرة رسول الله ﷺ مرتين وبابعته فى الله ما عصيته ولا غششته حتى توفاه الله عز وجل أه أقولها أن وجه الدلالة من هذه الأحاديث على ما قدمناه من أهل التحدث بالعمل الصالح لا ضرر فيه إذا كان لغرض ديني ظاهر لا يخفى فإن هؤلاء من علماء الصحابة وساداتهم وقد أخبروا واحد

الناسن هجرتهم إلى رسول الله ﷺ وجاهدهم معه وعن صلاتهم وصيامهم ونصحهم للدين ولم يكن ذلك للفخر ولا للأغراض الدنيوية بل كان ذلك لمقاصد صالحة وأغراض دينية كما يعلم ذلك من فحوى كلامهم وضياع خطابهم والله تعالى أعلم.

مطلب فى ذكر أحاديث مروية بألفاظ غريبة:

(فصل) ولما تم تحرير المسائل المتقدم ذكرها بحث معنا صاحبنا الفاضل فى مسألة مهمة وملخصها أنه وقف على أحاديث ثلاثة فى الفاظها غرابة وطلب ما بيان ما أشكل منها فقلت له حباً وكرامة فهات ما عندك فقالك

الحديث الأول وقوله ﷺ ما توطن رجل مسلم المساجد بالصلاة والذكر إلا تيشبش الله له كما يتشبش أهل الغائب فى غائبهم إذا قدم عليهم أهـ رواه الحاكم عن أبى هريرة بإسناد صحيح.

الحديث الثانى قوله ﷺ سبق المفردون المستهترون فى ذكر الله عز وجل يضع الذكر عنهم ائفالهم فيأتون يوم القيامة خفاً أهـ الترمذى والحاكم عن أبى هريرة والطبرانى عن أبى الدرداء.

الحديث الثالث قوله ﷺ الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه حواها وتمتة الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه حولها وتمنى على الله الأمانى وقد بحث معنا صاحبنا أيضاً فى قوله ﷺ من أنظر معسراً فإنه بكل يوم مثله صدقة قبل أن يحل الدين فإذا حل الدين فانظره فله بكل يوم مثلاه صدقة رواه الإمام أحمد والحاكم بريدة وقال الحاكم أنه صحيح (الجواب) عن الحديث الأول أن معناه أن من لازم المساجد للصلاة ولذكر وقراءة وتعلم العلم وتعليمه ونحو ذلك

فالله عز وجل يقبل عليه بالرضا ولا نعلم كما يقبل أهل الغائب على غائبهم إذا قدم عليهم وهو مثل لارتضاء عز وجل فعله ووقوعه الموقع الحسن عند الله عز وجل قال الزمخشري التيشيش بالانسان المسرة به والاقبال عليه اهـ أن هذا اللفظ من المتشابه فعند السلف يجب الإيمان به مع التسليم وتنزيه الرب عز وجل عن مشابهة المخلوقين والله أعلم.

وأما الحديث الثانى فسبق فى أول رسالتنا هذه فى فضل الذكر وأن معناه أن من أحب الانفراد عن الناس واشتغل بذكر الله عز وجل فهو من السابقين إلى منازل الأبرار فالمفردون جمع مفرد وهم اسم فعل وفعله بمعنى انفراد عن الناس ولمستبترون اسم فاعل أيضاً مفردة مشتهر بمعنى مولع فى الذكر إلى آخر والله أعلم.

وأما الحديث الثالث فالجواب عنه إن الكيس بتشديد الياء معناه العاقل الكامل فى العقل هو من دان نفسه أى استعبدها وأذلها فى طاعة الله ورسوله وأما قوله والعاجز فهو ضد الكيس وهب الذى يتيح نفسه هواها ويرتعاها فى شهواتها من الحرام الذى نهى الله عنه ويتمنى على الله الأمانى يقول إذا عمل معصية وعوتب على ذلك الله غفور الله رحيم ولا يتوب التوبة لنصوحا فهو مفرط مغرور والله أعلم.

وما قوله ﷺ من انظر معسراً فله بكل يوم مثله صدقة قبل أن يحل الدين الذى يظهر والله أعلم بمراد نبيه ﷺ أن هذا فيمن عامل فقيراً بغير ربح إلى أجل معلوم كالى سنة مثلاً فله بكل يوم مقدار الدين ثواب كأنه تصدق به فإذا مضت السنة مثلاً وهو معسر فانظره إلى أجل ثان بغير ربح فيعطى ثواباً مضاعفاً معنى قوله فإذا دخل الدين ونظره فله بكل يوم مثلاً صدقة اهـ

ولم لظفر بما يزيل الأشكال فى هذه المادة لأنه يشكل علينا إعطاؤه ثواباً قبل خلول للاجل لأن البائع إذا باع ما يساوى عشرة بأحد عشر مثلاً إلى ستة فكيف يعطى لى ذلك وهو قد أخذ عرضاً رائداً فى مقابلة الاجل اللهم إلا أن يحمل على ما قررناه آنفاً والله أعلم .

وبحث معنا صاحبنا أيضاً فى الأعراب قائلاً أنه يوجد فى كثير من النسخ ما هذا لفظه من أنظر معسراً فله بكل يوم مثليه صدقة وفى بعض النسخ مثلاه فجعله بعض المحققين على أن أصله فله بكل يوم قد رمثليه فحذف وبقى المضاف إليه على حاله مجروراً وهو مشكل أيضاً لأن القاعدة أن المضاف إذا حذف يقوم المضاف إليه مقاما فى اعرابه وأما بقاؤه على حاله فشاذ لا يصار إليه ولا تحمل الأحاديث النبوية عليه وقد سبق وما نحن ببلاد الشام أننى سئلت عن اعراب هذا الحديث الشريف وغرته هكذا له متعلق بمحذوف خبر مقدم ومثلاه مبتدأ مؤخر صدقه فانتصب على التمييز نظير قول حاشيته أعربه على أ، صدقه بالرفع بدل من مثل فرجعت عن فكرى والله أعلم بالصواب وإليه المرجع ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

مطلب فى فضل الموت بالمدينة:

(فصل) فى ذكر ما ورد من الآثار فى فضل المدينة المنورة وفضيلة الموت فيها أما فضيلة المسجد النبوى وفضل العبادة فيه فقد قدمنا فى أول رسالتنا هذه طرفاً صالحاً من ذلك وأشهرها قوله ﷺ فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام والجمعة فى مسجدى هذا أفضل من ألف جمعة فيما سواه إلا المسجد الحرام وشهر رمضان أن فى مسجدى هذا أفضل من صوم ألف شهر رمضان فيما سواه إلا المسجد الحرام رواه البيهقى عن

جابر بن عبد الله وقال ﷺ من صلى في مسجدى أربعين صلاة لا تفرقة صلاة كتبت له براءة من النار وبراءة من النار وبراءة من النفاق رواه الإمام أحمد بإسناد صحيح وتقدم ذلك وأما فضيلة سكنى المدينة المنورة وفضل ملازمتها لأجل الموت فيها مع المحافظة على الآداب الشرعية والقوانين المرعية فقد جاء فيه عن النبي ﷺ أنه قال من استطاع منكم أن يموت بالمدينة فليمت فاني اشفع لمن يموت بها رواه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه عن ابن عمر ومعنى الحديث أن من استطاع منكم أن يقيم بالمدينة حتى يدركه الموت فيها بها حتى يموت فيها فهو مبعث على لزوم الإقامة بها بشرط المحافظة على الأعمال الفاضلة ومراقبة محاسن الشرع مع التزهّد في الدنيا والرغبة في الآخرة قال الترمذي حسن صحيح وقال عمر رضى الله عنه اللهم ارزقني شهادة في سبيلك واجعل موتى في بلد نبيك ﷺ فاستجاب الله عاهه وحصل له ما طلب من الشهادة والموت بالمدينة المنورة ولم تنزل العلماء الأبرار والفضلاء الأخيار يطلبون ذلك ويرغبون فيه إلى أن حصل لهم ذلك والله أعلم بما هناك ومن فوائد الموت بالمدينة لمن وفقه الله تعالى لفعل الخير أنه يبحث مع النبي ﷺ وكفى بذلك فخراً وشرقاً فقد جاء عن النبي ﷺ أنه قال أنا أول من تشق عنه الأرض ثم أبو بكر ثم عمر أتى البقيع فيحشرون معي ثم انتظر أهل مكة فيحشرون معي رواه الترمذي والحاكم عن ابن عمر وهو حديث حسن .

مطلب في بيان كيفية الحساب:

(فصل) ومن المباحث العلمية ما بداه صاحبنا الفاضل حيث تذاكر معنا في كيفية الحساب وفي كونه عاماً لجميع المكلفين أم هو خض بمن شاء الله

متهم وفي الوزن هل هو للأعمال مع أنها أعراض أم هو للحصف المكتوب فيها الأعمال وبحث معنا أيضاً فيما صح النبي ﷺ أنه قال يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً لا حساب عليهم ولا عذاب وورد أيضاً على هذا العدد فهل هذه الزيادة ثابتة بالأحاديث الصحيحة كالأول أم لا وطلب بأن ذلك فقلت جواباً عن ذلك والله الموفق والمعين أما كيفية الحساب فقد ورد أن الله عز وجل يحاسب العباد في مقدار نسلت يوم من أيام الدنيا بأن^(١) يخلق لهم علماً ضرورياً فيعلم كل واحد منهم منك وما عليه والله تعالى قادر على ما يريد وأمور الآخرة لا تقاس على الدنيا فيجب الإيمان والتسليم بما جاء عن الله وعن رسوله ﷺ وأما كون الحق عاماً لجسم المكلفين فهو ظاهر الكتاب العزيز ولكن ما من علم إلا وقد خصص وقد ورد في السنة الصحيحة أن جماعة من هذه الأمة يدخلون الجنة من غير حساب وقوله تعالى فوربك لنسأهم أجمعين عما كانوا يعملون هو من العام المخصوص كما يأتي بيانه إن شاء الله .

مطلب في بيان كيفية وزن الأعمال:

وأما الوزن فيجب الإيمان به واعتقاده حيث نطقت به الآيات القرآنية وصحت به الاخبار النبوية فإنكاره بدعة وضلالة في الدين وزما كون الأعمال هي التي توزن فهذا الصحيح من القولين وكون الأعمال اغراضاً لا يمنع من الوزن لأنه تعالى قادر على أن يخلق الأعمال الصالحة في صور حسان والأعمال السيئة في صور قبيحة كما يأتي إن شاء الله بيانه وقيل أن الذي يوزن هو صحف الأعمال^(٢) ويأتي دليل كل واحد من القولين إن شاء الله

(١) قوله بأن يخلق علماً ضرورياً الخ هذا كثير من المحققين وبينوا أن الحساب حقيقي وقدرة الله صالحة أنه كاتبه .

(٢) وصحيحه كثير من المحققين وهو المعتمد اهـ .

تعالى وفى عقيدة الشيخ الإمام العلامة المتقن المعروف بشيخ الإسلام الانصارى الخرزجى ويعرف بالبلباني ما نصه وهكذا ويحاسب المسلمون المكلفون إلا من شاء الله أن يدخل الجنة بغير حساب وكل مكلف مسؤول ويسأل من شاء من الرسل عن بليغ الرسالة ومن شاء من الكفار عن تكذيب الرسل إلى أن قال والكفار لا يحاسون فلا يوزن صحائفهم وقال غيره وأما الكفار يحاسبون حساب من يوزن حسناته وسيئاته فلهم لا حسنات لهم ولكن تعد أعمالهم عليهم وتحصى عليها ويقررون بها أه قيل قد ورد فى التنزيل قوله تعالى فيومئذ لا يسئل عن ذنبه ولا جان فالجواب إن هذا يعارض بقوله تعالى فورريك لتسألهم أجمعين عما كانوا يعملون ويجاب عن الآية الكريمة بأنهم لا يسئلون سؤال استفهام بأن يقال هل فعلتم كذا وإنما يسئلون سؤال تقرير فيقال لهم قد فعلتم كذا وقيل إن فى القيامة مواطن ففى بعضها يسئلون وفى بعضها لا يسئلون فلا منافاة بين الآيتين .

وفى كلام الإمام أحمد رحمه الله فى الجواب عن متشابه القرآن إشارة إلى ذلك فإنه قال قال تعالى هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون وقال فى آية أخرى ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون فللناس يوم القيامة حالات مختلفة والآيات مخرجة باعتبار تلك الحالات فأول ما تبعث الخلائق على مقدار ستين سنة لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون ثم يؤذن لهم بعد ذلك فى الكلام فيتكلمون فذلك قوله تعالى ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا أنا موقنون ويختصمون عند ذلك كذلك قوله تعالى ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون وذلك عن الحساب وإعطاء المظالم اهـ .

وقال الإمام النسفى فى بحر الكلام الأنبياء عليهم السلام لا حساب

عليهم وكذلك العشرة لمبشرة بالجنة لا حساب عليهم أيضاً وحمله بعض المحققين على حساب المناقشة لقوله تعالى فلنسالن الذين أرسل إليهم ولنسالن المرسلين أى عن تليغ الرساا فقط وبهذا التقرير يندفع الإشكال من أصله والله أعلم.

وفى صحيح الإمام البخارى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ يدعى نوح يوم القيامة فقال له هل بلغت فيقول نعم نستدعى أمته فقال لهم هل بلغكم نوح فيقولون ما جاءنا من بشير ولا نذير فيقال يا نوح من يشهد لك فيقول محمد ﷺ وأمته فذلك قوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا أى خيارا عدو لا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا اهـ. أى مزكيا لكم وفى التفاسير ما لفظه إذا شهدت هذه الأمة على الأمم بأن الرسل قد بلغوهم فتقول الأمم يا ربنا أنهم شهدوا على ما لم يحضروا فتسال الأمة المحمدية عن ذلك فيقولون يا ربنا أنت علم قد جاءنا رسولك مؤيدا بالمعجزات ونزل إلينا كتابك مشتملا على الآيات البيئات فحن نشهد بما عهدت إلينا فى كتابك واعلمتنا به على لسان رسولك فيقول الله لهم صدقتم اهـ.

مسئلة ذكر حديث البطاقة:

وملخص ما سبق أن الله عز وجل يحاسب عبادة الأمن شاء منهم حسابا حقيقيا وتوزن أعمالهم وزنا حقيقيا لا أن الحساب أن يخلق الله لهم علما ضروريا بمقدار ما لهم وعليهم كما تقدم ذلك عن بعضهم لمخالفته ظاهر السنة المطهر الصريحة الدلالة فما صح عن رسول الله المعصوم الذى لا ينطق عن النهوى وجب تلقيه بالقبول ورد علم ما أشكل منه إلى الله عز وجل

وهذا أسلم وأما الوزن فقد قدمنا أن الصحيح أنه يكون للأعمال بأن تجد الأعمال الصالحة في صور حسان وضدها الأعمال السيئة ولم يزل هذا فكرنا حتى رأينا خاتمة المحققين جزم في بعض كتبه بخلاف ذلك واختار أن الوزن يكون للصحف وحديث البطاقة صريح فيه ولفظه أى خاتمة المحققين هكذا اختلف العلماء في الموزون فليل يوزن العبد من عمله وقيل غير ذلك إلى أن قال والحق ما قدمناه عن شيخ مشايخنا العلامة الأنصارى الخرجى الملقب بالبلباني قال في عقيدته ونؤمن بأن الميزان الذى توزن به صحائف الحسنات والسيئات حق ثابت مجمع عليه عند أهل السنة ولهذا الميزان لسان وكتفان توزن به صحائف الأعمال أهـ وقال العلامة الشيخ مرعى المقدسى فى بهجته والصحيح أن المراد بالميزان الميزان الحقيقى لا مجرد العدل خلافا لبعضهم .

وقال الحسن البصرى وهو شهيد التابعين لما سئل عن الميزان فقال هو ميزان له كفتان ولسان والموزون به صحف الأعمال وهو الذى صححه ابن عبد البر ويشهد لصحته ما أخرجه الترمذى فى سننه وابن حبان وابن ماجه والبيهقى والحاكم وصححه عن عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما عن النبى ﷺ أنه قال يصاح برجل من أمتى يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعون سجلا فيها خطاياهم وذنوبهم فيقول له أنتكر من هذا شيئا أعلمك كتبتى الخافظون فيقول لا يارب فيقول ألك حسنة فيقول لا يارب فيقول الله تعالى بل إن لك عندا حسنة وأنه لا ظلم عليك اليوم فيخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسوله فيقول يارب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقال له إنك لا تظلم فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة فتطيش السجلات وتثقل البطاقة ولا يثقل مع اسم الله شىء .

قال خاتمة المحققين الشيخ محمد السفاريني قال شيخنا هذا حديث جليل له وقع في القلوب .

وقال أبو الحسن الحوراثي لما أملى علينا شيخنا حمزة الكناني هذا الحديث صاح غريب من الحلقة صحيحه عظيمة فاضت فيها نفسه قال أبو الحسن وأنا ممن حضر جنازته وصلى عليه وهو حديث جيد الإسناد اهـ (١) ثم قال والحاصل أن الميزان محمول على الحقيقة وأنه ميزان واحد وإن الموزون صحائف الأعمال .

وأما قوله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فانما جمعت وتعددت لتعدد الموازين بها لا لتعدد الموازين فان الحق أنه ميزان واحد فان قيل قد أخرج الشيخان عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال إنه ليأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة فلا يزن عند الله جناح بعوضة فقد صرح بأن نفس الانسان هو الموزون والجواب إن هذا مثل ضربه النبي ﷺ الذي يتغير ببعض الأجسام وهو كناية من قلة الاكثرات بالأجسام فإن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم وإنما نظر للأعمال والقلوب اهـ أقول ويشهد لمن قال أن الموزون هو نفس الأعمال بعد أن تجد ما صح عن رسول الله ﷺ وختم به الإمام البخارى صحيحه وهو قوله ﷺ كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم فقوله ﷺ ثقيلتان فى الميزان ظاهر فيما قلنا أن الموزون نفس العمل بعد أن يجد والله أعلم بمراد رسوله كتابه .

(١) قوله جيد الإسناد أى لكن قضيته قضية عين فلا تقتضى العموم لأن كثيراً من العصاة يعذبون ويحسبون على ذنوب اقترفوها حتى تدركهم الرحمة اهـ كاتبه .

البحث فى قوله عليه الصلاة والسلام يدخل الجنة من أمتى سبعون ألفا الخ؛

وأما قوله ﷺ يدخل الجنة من أمتى سبعون ألفا بغير حساب فصحيح واللفظ الوارد فيه هو ما أخرجه الشيخان عن أبى عباس رضى الله عنهما قال خرج إلينا رسول الله ﷺ ذات يوم فقال عرضت على الأمم يمر النبى ومعه الرجل والنبى ومعه الرجلان والنبى وليس معه أحد والنبى ومعه الرهط فرأيت سوادا كثيرا فرجوت أن يكون أمتى فقيل لى هذا موسى وقومه قيل لى انظر فرأيت سوادا كثيرا فقيل لى هؤلاء أمتك ومع هؤلاء سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب فتفرق الناس ولم يبين رسول الله ﷺ فتذاكر أصحابه فقالوا ما نحن فولدنا على الشرك ولكننا قد آمننا بالله ورسوله هؤلاء أبناؤنا فقال رسول الله ﷺ هم الذين لا يسترقون ولا يتكثبون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة بن محصن فقال ادع الله أن أكون منهم يا رسول الله فدعا له وفى لفظ فى الصحيح فقام محصن فقال أنا منهم يا رسول الله قال نعم أنت منهم ثم قام آخر فقال أنا منهم يا رسول الله فقال ﷺ سبقك بها عكاشة اهـ.

قال المحقق قوله ﷺ سبقك عكاشة لم يرد بذلك أن عكاشة وحده أحق بذلك ممن عداه من الصحابة الكرام ولكن أراد سد الباب فانه لو دعا له فر بما قام آخر وآخر الفتح الباب وربما قام من لم يستحق أن يكون منهم فقام الإمساك أولى أه أقول ونظير هذا قول سيدنا حذيفة لسيدنا عمر حين قال له نشدتك الله هل سمانى لك رسول الله من المنافقين فقال له لا ولا أزكى بعدم أحد اهـ فمراده أنى لا أفتح هذا الباب على والله أعلم.

مسألة حديث وعدنى ربي وهو حديث الحثيات:

وأما الزيادة على السبعين ألفا فقد وردت في السنن فقد أخرج الترمذى في سننه وحسنه عن أبي امامة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول وعدنى ربي أن يدخل الجنة من أمتى سبعين ألفا لا حساب عليهم ولا عذاب ومع كل ألف سبعين ألفا وثلاث حشيات من حشيات ربي أه قال في مشارق الأنوار ويروى حففات وهو الغرف ملء اليدين وقيل الحشية بتليد والحفنة باليدين أه والأخبار في هذا الباب كثيرة وفيما ذكرناه كفاية والله أعلم.

مطلب فيما ختم به الإمام البخارى صحيحه قوله عليه الصلاة والسلام كلمتان خفيفتان إلى آخره:

(فصل) قدمنا فيما سبق أن الإمام البخارى ختم كتابه الصحيح بقوله ﷺ كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وقدمنها في أول رسالتنا هذه كلاما على اعراب هذا الحديث الشريف وملخصه أن كلمتان خبر مقدم وما بعدهما صفة لهما وقوله سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم كلمتان أؤيد بهما لفظهما في محل رفع مبتدأ مؤخر والجمل المتعددة إذا أريد لفظها من قبيل المفرد الجامد ولذا لا تتحمل ضميراً ولأنه محط الفائدة بنفسه ثم إن شارح البخارى ذكر فيشرحه على هذا الحديث فوائده مهمة أدركنا أن نذكر بعضاً منها اقتداء بأمتنا الاعلام فنقول قال وفي هذا الحديث أيضاً الاعتناء بشأن التسييح أكثر من التحميد لكثرة المخالفين فيه^(١) وذلك من وجهة تكريره أى التسييح

(١) قوله لكثرة المخالفين فيه أى لأن من رصف الله باتخاذ الصاحبة والولد والشريك لا يخبون عدداً بخلاف من أنكر إنعامه وإحسانه فهم قليل أه كاتبه.

بقوله سبحانه الله ويحمده سبحانه الله العظيم وقد جاءت السنة به أى بالتسبيح على أنواع شتى ففي مسلم عن سمرة بن جندب أن النبي ﷺ قال أفضل الكلام سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله وأكبر أى هى أفضل الذكر بعد كتاب عز وجل والموجب لفضلها اشتغالها على جملة أنواع الذكر من التنزيه لله عز وجل عن صفات النقص والحدوث ودالاتها على التمجيد والتمجيد وعلى جميع المطالب الالهية.

بيان اختلاف العلماء أيهما أفضل التسبيح أم التهليل:

وفى صحيح مسلم من حديث جويرية أنه ﷺ خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهى فى مسجدتها ثم رجع بعد أن أضحى وهى جالسة قال ما زلت على الحال التى فارقتك عليها قالت نعم قال لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن سبحانه الله ويحمده عدد خلقه ورضاء نفسه وزنه عرشه ومداد كلماته.

وفى الترمذى من حديث سعد ابى أبى وقاص رضى الله عنه أنه دخل مع النبي ﷺ على امرأة وبين يديها نوى أو حصى تسبح الله به فقال لها إلا أخبرك بما هو أيسر عليك من هذا أو أفضل تقولين سبحانه الله عدد ما خلق فى السماء وسبحان الله عدد ما خلق فى الأرض وسبحن الله عدد ما بين ذلك وسبحان الله عدد ما هو خالق والله أكبر مثل ذلك والحمد لله مثل ذلك ولا إله إلا الله مثل ذلك ولا حول ولا قوة إلا بالله مثل ذلك ا هـ.

أقول قد تقدم البحث فى معنى ذلك وهو أن من سبح الله عدد ما خلق الله عل يعطى ثوابا بعد ذلك مع أنه ما سبح إلا مرة واحدة ظاهر الأخبار أنه يعطى ثوابا بعدد ذلك وفضل الله واسع وتقدم ما فيه.

مبحث قول إبراهيم لتبيننا عليه الصلاة والسلام اقرأ أمتك منى السلام إلخ؛

وفي الترمذى عن ابن مسعود أنه قال قال النبي ﷺ لقيت إبراهيم عليه السلام ليلة أسرى بى فقال يا محمد اقرأ أمتك منى السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وإنها قيعان وإن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر اهـ. والقيعان جمع القاع وهو المستوى من الأرض والغراس جمع غرس وهو ما يغررس والغرس إنما يصلح فى الأرض الطيبة وينمو بالماء العذب أى اعلمهم أن هذه الكلمات تورث قائلها الجنة وإن الساعى فى اكتسابها لا يضيع سعيه لأنها المغرس الذى لا يتلف ما استودع فيه وقال الطيبى وههنا أشكال لأن هذا الحديث يدل على أن أرض الجنة خالية عن الأشجار والقصور ويدل ظاهر القرآن الكريم على أنها غير خالية عنها لأنها إنما سميت جنة لأشجارها المتكاثفة المظلة بالتفاف اغصانها وتركيب الجنة دائر على معنى الستر ويدل على أنها مخلوقة الآن أعدت للمتقين والجواب عن حديث إبراهيم عليه السلام أنها كانت قيعان ثم إن أمر الله تعالى أوجد بفضل وسعة رحمته فيها أشجار وقصورا على حسب أعمال العاملين لكل عامل منهم ما يختص به بحسب عمله ثم أن الله تعالى لما يسره لما خلق له من العمل لينال به ذلك الثواب جعله كالغراس لتلك الأشجار على سبيل المجاز إطلاقا للسبب على المسبب ولما كان سبب إيجاد الله الأشجار عمل العامل اسند الغراس إليه اهـ.

وفى القسطلانى ما هذا لفظه ولما كان التسييح مشروعًا فى الختام ختم البخارى رحمه الله تعالى دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام

وآخر دعواهم أن أحمد لله رب العالمين قال القاضي لعل المعنى أنهم إذا دخلوا بالسلامة من الآفات والفوز بأصناف الكرامات فحمدوه وأثنوا عليه بصفات الإكرام.

بيان قول السيدة عائشة رضی الله عنها ما جلس رسول الله ﷺ مجلسا ولا صلى صلاة إلا ختم بهؤلاء الكلمات:

ثم روى بإسناده إلى أم المؤمنين عائشة رضی الله عنها أيها أنها قالت ما مجلس رسول الله ﷺ مجلسا قرآنا ولا صلى صلاة إلا ختم ذلك بكلمات فقلت يا رسول الله أراك ما تجلس مجلسا ولا تتلو قرآنا لا تصلى صلاة إلا ختمت بهؤلاء الكلمات قال نعم من قال خيرا كن طابعا له على ذلك الخير ومن قال شرا كانت كفارة له سبحانه اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا الله أنت استغفرك وأتوب إليك وروى أيضا بسنده إلى علي رضی الله عنه أنه قال من أحب أن يكتال بالملكيات إلا وفي فليقل آخر مجلسه أو حين يقوم سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

قال جامع هذه الرسالة أسير وصمة الذنوب والأوزار المغتفر إلى رحمه ربه العزيز الغفار، وأنا أتوسل إلى الله عز وجل بلسان الذل والانكسار، وأتذلل لديه بجنان العجز والاحتقار، وأتشفع إليه بجاء النبي المختار، وبآله البررة الأطهار أن يجعل هذه الرسالة خالصة لوجهه الكريم، وسببا للفوز لديه بجنات النعيم إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وعلى الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين.

فهرست الرحلة الحجازية

الصفحة	الموضوع
١١	خطة الكتاب
١٢	مطلب فى أحكام الهجرة وفضائلها
١٣	مطلب فى أحكام الهجرة من بين أهل المعاصى
١٤	مطلب أول من هاجر لله سيدنا إبراهيم عليه السلام
١٤	مطلب فى انقلاب النار له هواء طيبة
١٥	مطلب فى هجرة نبينا محمد ﷺ إلى المدينة
١٨	معجزته ﷺ عند أم معبد
٢٠	قصة سراقه بن مالك حين لحق النبى ﷺ
٢١	بيعة الأنصار له ﷺ بالعقبة الأولى
	اليعة الثانية من الأنصار وفيها نزل قول تعالى أن الله اشترى من
٢٢	المؤمنين أنفسهم إلخ
٢٥	مطلب فى درجات المجاهدين
٢٦	مطلب فى الوعيد على من ترك الهجرة وهو قادر عليها
٢٧	مطلب فى ذكر الرحلة لطلب العلم
	رحلة الإمام أحمد رضى الله عنه حين بلغه أن رجلا من وراء النهر
٢٨	عنده أحاديث ثلاثية
٣٠	حقيقة الحديث الثلاثى
٣٠	مطلب فى ذكر أحاديث ثلاثية من مسند الإمام أحمد
٣٦	ذكر أحاديث صحيحة ترغب فى إتيان حرم المدينة والمجاورة فيها

- ٣٧ مضاعفة الثواب في المساجد الثلاث
- ٣٨ ذكر فضائل مسجد قباء وفضل الصلاة فيه
- ٣٩ بيان قوله ﷺ ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة
- ٤٠ فضل الرحلة لزيارة الإخوان ولصلة الأرحام
- ٤١ فضل أهل العلم وأهله العاملين
- ٤٣ مطلب في قوله ﷺ من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه
- ٤٤ قوله عليه الصلاة والسلام يا عباس اشتر نفسك
- ٤٥ حكاية شريف يروي أحاديث موضوعة
- التحذير من روى أحاديث لا يعلم راويها وأن نعمد الكذب عليه
- ٤٦ ﷺ من الكبائر العظام
- ٤٨ حكاية أدبية
- ٤٩ مطلب في مفاهيم الكتاب والسنة
- ٥٠ مطلب في قوله ﷺ العلم ثلاثة
- ٥١ مطلب في فضل علماء الحديث
- ٥٢ دعاؤه عليه السلام لأهل الحديث
- ٥٥ رحلة موسى عليه السلام إلى الخضر عليه السلام
- ٥٧ سبب رحلة موسى إلى الخضر عليه السلام
- ٦٠ مطلب في وعيد لمن يطلب العلم لغير الله
- ٦٢ حكاية امرأة وردها على عمر رضى الله عنه
- مسألة أمره ﷺ أبا هريرة بالتبشير لأهل الإيمان بالجنة ثم أمره
- ٦٣ بالإمسك عنه

- ٦٤ ذكر ما ورد في فضل التعليم للعلم الشرعى
- ٦٧ وصيته ﷺ لطلبة العلم
- ٦٨ ذكر مسائل عبد الله بن سلام
- ٦٩ ذكر ما يتبه قصة بن سلام
- ٧١ ذكر مناقب ابن سلام
- ٧٣ ذكر أحاديث كثر السؤال منها من جهة العربية
- ٧٤ حكاية النضر بن شميل مع المأمون
- ذكر ما ورد عن العلماء في تفسير القرآن العظيم هل يجوز بمقتضى
العربية أم لا
- ٧٥
- ٨٠ حكاية المرأتين من بنى إسرائيل
- ٨٣ رؤيا عجيبة
- ٨٤ إخباره عليه السلام عن صفة أهل الجنة وأهل النار
- ٨٥ قوله عليه السلام الدنيا ملعونة إلخ
- ذكر آيات جاء تفسيرها عن النبي عليه السلام وعن أصحابه وذكر
الحكمة في طلوع الشمس من مغربها
- ٨٦
- ٨٨ مطلب فى منع الشياطين من السماء ورميهم بالشهب
- ٨٨ قصة الجن الذين استمعوا قراءة النبي عليه الصلاة والسلام
- ذكر الشيخ عبد القادر الجبلى صاحب الكرامات المشهورة وذكر
بعض مروياته عن النبي عليه السلام
- ٩٠
- ٩٢ ضبط ألفاظ حديث أن من أفضل أيامكم إلخ

- ٩٢ حياة الأنبياء في قبورهم
بيان نهيه عليه الصلاة والسلام الانصارية عن تزكية ابنها المقتول
- ٩٤ شهيداً يوم أحد والجواب عن ذلك
ذكر المجمع عليه عند أهل الحق أنا نرجو للمحسن ونخاف على
- ٩٦ المسئء
- ٩٨ مسألة أحاديث العتق الواردة في فصل رمضان
- ٩٩ الأمر باتباع الجنائز
- ١٠٢ ذكر حكم غريب في البيع
- ١٠٣ حديث من قال حين يدخل السوق
- ١٠٥ مطلب فيما أشكل من الصلاة على ابن أبي
مسألة أحد أدباء دمشق عن آية من كتاب الله تدل على أن الله
- ١٠٧ تعالى فضل نبيه على جميع الأنبياء
- ١١٠ مقالة الوهاية
- ١١٠ مسألة قوله عليه السلام السيد الله
- ١١٢ مسألة قوله على السلام إنما أفضى على نحو ما أسمع
- ١١٤ ذكر ما ورد من النهى عن إسبال الأزار وفيه حكاية غريبة
مسألة قول الله تعالى قل للذين كفروا أن يتتبعوا يغفر لهم ما قد
- ١١٧ سلف
- مسألة الكافر إذا أسلم هل يثاب على ما سلف منه من فعل الخير
- ١١٨ وهو في الكفر أم لا

- ١١٩ ذكر الجواب عن قوله عليه السلام لو لم تؤثروا لكان أحسن
مسألة ما اشتهر عن الإمام أحمد في لعن يزيد هل ذلك صحيح أم
لا
- ١٢٠ إخباره عليه الصلاة والسلام بأن هلاك أمته يكون على يدي غلظة
إلخ
- ١٢٢ مسألة عن يزيد هل ورد في ذمة الأحاديث أم لا
سؤال بعض الشيعة عن قوله عليه السلام لعلى كرم الله وجهه أما
ترضى... إلخ
- ١٢٥ سؤال بعض الأدباء عن نزول سيدنا الحسن عن الخلافة لمعاوية ما
سببه
- ١٢٨ ذكر الدليل على صحة خلافه أبي بكر وعمر رضى الله عنهما
السؤال عن الحديث المكتوب على باب الحجرة الشريفة
- ١٣١ ذكر من ورد من الذم للعلماء الذين يزورون الأمر والجواب عن
ذلك
- ١٣١ حكاية الإمام ابن المبارك مع ابن علي
حكاية سفيان بن عيينة مع الرشيد
- ١٣٤ مسألة قوله عليه السلام من فعل كذا لم يرح رائحة الجنة ما ضبطه
مسألة بعد في قوله عليه السلام صنفان من أمتي من أهل النار لم
أرهما بعد ما معناها
- ١٣٥ مسألة فيمن قال سبحان الله وبحمده عدد خلق هل يعطى ثواب
بعد ذلك أم لا
- ١٣٦

- ١٣٩ شهادة الصحابة لابن سلام بالجنة
- ١٤١ مطلب فى فضائل على كرم الله وجهه
- ١٤٢ وصف ضرار لسيدنا على بطلب معاوية
- ١٤٤ بظل لعرش
صحيفة ذكر الأحاديث الشريفة التى فيها الخصال الموجبة للإظلال
- ١٤٥ مطلب قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم هل يفهم منه سقوط وجوب الأمر بالمعروف
- ١٤٧ جواب عن قوله ﷺ من حفظ على أمتى أربعين حديثا
- ١٥١ ذكر أحاديث تدل على مدح مكارم الأخلاق ومحاسنها
- ١٥٢ ذكر وصية النبى ﷺ بالصلاة وما ملكت أيمانكم
- ١٥٣ مطلب فى المحافظة على إتمام الركوع والسجود
- ١٥٤ مطلب فى ذم من لم يتم الركوع والسجود
- ١٥٥ مطلب فى ذكر الأحاديث المشتملة على الاخبار بالمغيبات المهمة
- ١٥٨ مطلب فيما نقل عن الإمام أحمد فى زيارة القبور
- ١٦٠ مطلب فى إباحة التوسل بالصالحين
- ١٦١ مطلب فيما نقل عن الإمام أحمد من فضل زيارة القبر المكرم
- ١٦٥ مطلب ذكر محمد بن عبد الوهاب
- ١٦٦ مطلب فى قوله ﷺ الخوارج كلاب الناس
- ١٦٨ تحذير من مفارقة الجماعة
- ١٧٢ مطلب حكاية الإمام برهان الدين الحنبلى مع تيمورلنك

- ١٧٥ مطلب هل ورد أن الله يدفع البلاء عن أهل الأرض بال صالحين
- ١٧٧ مطلب ذكر مسائل فقهية تباينت فيها أدلة الأئمة وهى سبع مسائل
- ١٨٥ مطلب فى رد كلام الوهابية بكلام الفاضل سليمان عبد الوهاب
- ١٩٠ مطلب فى ذكر الأحاديث التى أنكر بعض المتكلمين صحتها
- ١٩٤ مسألة فى الكسوف
- ١٩٥ ذكر الاختلاف فى إيمان فرعون
- ١٩٨ بيان قوله ﷺ ولا ينفع ذا الجدم منك الجدم
- ٢٠٠ مطلب فى قوله ﷺ ما جلس قوم مجلسا لم يذكروا الله فيه إلخ
- ٢٠٢ ذكر حكاية أدبية
- ٢٠٤ بيان الأحاديث المأخوذة من مسانيد الأئمة رضى الله عنهم
- ٢٠٦ مسألة قوله عليه السلام نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس
- ٢٠٧ مطلب قوله ﷺ حيب إلى من دنياكم ثلاث
- ٢٠٨ حكاية مدرس بيت المقدس إلخ
- قصة سيدنا موسى مع الخضر عليهما السلام غير التى وردت فى القرآن
- ٢١١ القرآن
- ٢١٣ بيان التلبية وصفتها وبيان فضل عرفة وتقبيل الحجر الأسود
- ٢١٨ مسألة قول عليه الصلاة والسلام إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام
- ٢٢٠ حكاية أديب فاضل فى قوله عليه السلام من أتى عرفا فصدقه
- حكاية شريف من أشرف مدينة فارس والبحث فى حديث كل مولود يولد على الفطرة
- ٢٢٣

- البحث فى قوله عليه السلام لا يزال الناس يتساءلون وفيه الأمر
 ٢٢٤ بالتفكير فى مصنوعات الله والنهى عن التفكير فى ذات الله
- البحث فى قوله عليه السلام لا تسبقونى بالركوع ولا بالسجود
 ٢٢٩ بيان حكم المصافحة بعد الصلوات
- ٢٣٢ بيان حكم الناس المسدى بالحرير الحكم بغير هل يحرم أم لا
- ٢٣٤ حكاية أديب
- ٢٣٥ مطلب قوله ﷺ الدنيا سجن المؤمن
- ٢٣٩ بيان ذكر التوبة
- ٢٤٠ مسألة قوله عليه الصلاة والسلام لله أفرح بعبدته المؤمن إلى آخره
- ٢٤٣ مطلب فى معنى تبديل سيئات التائب بحسنات
- ٢٤٤ مسألة هل عدم قبول التوبة مخصوص بمن شاهد طلوع الشمس أم
 هو ممتد إلى قيام الساعة
- ٢٤٦ ذكر ما يفعله الناس عند الصلاة على الجنابة يقول أحدهم ما
 تشهدون هذا الميت هل ورد به الشرع أم لا
- ٢٤٨ مطلب فى البحث عن الحديث المتواتر
- ٢٥٠ البحث فى مشروعية صلاة الضحى
- ٢٥٧ ذكر الأسطوانة التى كان بعض الصحابة يتحرى الدعاء عندها
- ٢٦٠ مبحث فى قوله عليه السلام فى صوم يوم عرفة
- ٢٦٣ مطلب فى قوله عليه السلام من فعل كذا غفر له ما تقدم من ذنبه
 وما تأخر
- ٢٦٤

- قول الله تعالى لعيسى عليه السلام إني باعث من بعدك أمة إلى
آخره ٢٦٦
- البحث في قول بعضهم لا يقال يقول الله كذا لإيهامه الحدوث ٢٦٦
- البحث في قوله عليه السلام لم يتكلم في المهد إلا أربعة . ٢٦٨
- مطلب في بيان حقيقة المعجزة ٢٧١
- مطلب في بيان كون كرامات الأولياء حق ٢٧٢
- مطلب في قصة سارة مع الجبار ٢٧٣
- مطلب في قوله ﷺ أن في المعارض لمندوحة عن الكذب ٢٧٤
- ذكر جماعة من المغرب كانوا يرفعون أصواتهم بالتكبير والتهليل
وهم قافلون من مكة ٢٧٥
- قصة جماعة من الملازمين للروضة الشريفة ٢٧٧
- مطلب في قوله ﷺ لأبي هريرة من لقيت من رواء هذا الحائط
يشهد أن لا إله إلا الله بشره بالجنة ٢٧٨
- ذكر شيء من فضائل المدينة ٢٨٠
- بيان قوله ﷺ من أطاعني فقد أطاع الله وفضل العلم بالسنة ٢٨٢
- بيان خفض الصوت في مسجده ﷺ وحكاية الإمام مالك مع
المنصور ٢٨٤
- مطلب من محبته ﷺ حب أهل بيته وأصحابه المكرمين ٢٨٥
- بيان أن حب بيت رسول الله فرض ٢٨٧
- بيان قوله ﷺ لعلى أن فيك مثلاً من ابن مريم ٢٨٨

- ٢٨٨ ذكر قوله تعالى محمد رسول الله والذين معه الآية
- ٢٨٩ ذكر فضائل أبي بكر وعمر رضى الله عنهما
- ٢٨٩ ذكر فضل الصلاة على النبي ﷺ
- مبحث فى أن من حدث عن عمله الصالح لغرض دينى لا يبطل ثوابه
- ٢٩١
- ٢٩٤ مطلب فى ذكر أحاديث مروية بألفاظ غريبة
- ٢٩٦ بيان فضل ملازمة سكنى المدينة
- ٢٩٧ مطلب فى بيان كيفية الحساب
- ٢٩٨ مطلب فى بيان كيفية وزن الأعمال
- ٣٠٠ مسألة ذكر حديث البطاقة
- البحث فى قوله عليه الصلاة والسلام يدخل الجنة من أمتى سبعون ألفاً إلخ
- ٣٠٣
- ٣٠٤ مسألة حديث وعدنى ربي وهو حديث الخثيات
- مطلب فيما ختم به الإمام البخارى صحيحه قوله عليه الصلاة والسلام كلمتان خفيفتان إلى آخره
- ٣٠٤
- ٣٠٥ بيان اختلاف العلماء أيهما أفضل التسيح أم التهليل
- مبحث قول إبراهيم لبنينا عليه الصلاة والسلام اقرأ أمتك منى السلام إلخ
- ٣٠٦
- بيان قول السيدة عائشة رضى الله عنها ما جلس رسول الله ﷺ مجلسا ولا صلى صلاة إلا ختم بهؤلاء الكلمات
- ٣٠٧

